[فہرس]ت مطالب تحفة الاخلاء فی عصمة الانبیاء علیہم السلام

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

الحمد لله على ذلك الكتاب الناطق بالصدق والصواب الذي لم يأت بمثله الزمان ولم ير لنظيره عيون اهل العصر والاوان كيف لم يؤلف نحوه فيشار اليه بالبنان المسمى

عضة البناني
تحفة الاخلاء

المولوي دوست محمد بن الملا

على طبق اشارة اعظم الامراء افخم الفضلاء الفقيه في الدين رئيس الاسلام والمسلمين حامي السنة ماحي البدعة يمين الدولة وزير الملك النواب محمد عليخان بهادر صولت جنگ ادام الله اقباله

قد طبع في المطبع العلوي باهتمام محمد علي بخش في اللكنو

بسم الله الرحمن الرحیم

الحمد لله الذی بعث الانبیاء والرسل لتبلیغ احکامه وجعلهم وسایط فیما
بینه وبین الخلق لایصال فیضانه وانعامه ونزّه سرائرهم من القصد الی
المعاصی الکبائر والصغائر وحفظ بواطنهم من تصرف خطرات الشیطان
الغوی الغادر والصلوة والسلام علی سید ولد آدم الذی هو الباعث
علی اخراج الممکن الی الوجود من العدم وعلی آله الذین هم هداة طرق الدین
ودلائل سبل الصدق والیقین وصحبه الذین هم ایدوا الاسلام والمسلمین
فاخرجوا عباد الله عن الضلال والعذاب المهین اما بعد فیقول العبد المفتاق الی
رحمت ربه الولی دوست محمد بن الملا امیر محمد الکابلی ستر الله عصیانهما الخفی والجلی

لما اختلف الآراء وحدثت الفتن، وانتبعت الاوهام وعظم الابتلاء والمحن،
وصارت رايات الجهل والفسق رافعة واعلام العلم والعرفان خافضة
واندرست معالم الدين، واختلطت الوهميات باليقين، وكانت مسئلة
عصمة الانبياء معركة الآراء بين العلماء العظام، ومنزلة اقدام الافهام في
ابحاث الفضلاء الكرام، امرني هو منبع بحار الفضل والافضال، مطلع
كوكبا العظمة والاقبال، ناشر العلم والجود والكرم، صاحب اللواء والفوج
والعلم، اوحد الزمان فريد الدوران، لانظير له في هذه الاوان، الذي
امره مطاع ونواله شاع الزائر للحرمين الشريفين، المتبع لسنة سيد الثقلين
الامير ابن الامير ابن الامير يمين الدولة وزير الملك النواب محمد علیخان بهادر
صولت جنگ دام اقباله وضاعف جلاله لازالت سنته السنية محط الرحال
الامال وعنايته الشاملة مناط الشوارد خواطر الرجال، ان اجمع كتابا مشتملا على
الحجج القطعية، والبراهين اليقينية على عصمة الانبياء والمرسلين،
وازيل شبهات الطاعنين المضلين، ليكون دافعا الاوهام في عصمة الانبياء
عليهم السلام وعونا للمسلمين، فيما هو من ضروريات الدين، فشرعت فيه مستعينا
بالله الودود، آخذا الدلائل والبراهين على المقصود، من الكتب المتعارفة

والزبر المتداولة كالتفسير الكبير والبيضاوي والكشاف والنيشابوري والخازن
والبحر المواج والمدارك والجمل وروح البيان والقشيري والدر المنثور وتفسير
لمحي الدين ابن العربي والتفسير الرحماني والوجيز والرؤفي وابو السعود
ومعالم التنزيل والتبيان والمظهري والعزيزي وتفسير سورة يوسف المسمى
بنفره كار والحسيني وتفسير محمدي وجواهر التفسير والجلالين وحاشيته
الكمالين والاكليل وحاشية شيخ زاده على البيضاوي وبحر المعاني وكالمشكاة
وشرحيها المرقاة واللمعات وشروح البخاري وفتح الباري والارشاد الساري والعيني
والكرماني وشرح النووي للمسلم وحادي الارواح الى بلاد الافراح وجامع البركات
والدراسات والمواهب اللدنيه وحاشية الدر المختار المسمى برد المحتار ومنها
الشعراني والعواصم لقواصم في اليواقيت وشرح الفقه الاكبر والتمهيد لابي شكور
السالمي وشرح المواقف والمقاصد وشرح التجريد وعين العلم وشروحه
وشرح التعرف والابريز والشفا للقاضي عياض وشرحه للملا علي القاري نقلت
اكثرها بالعبارات بلا تبديل وبعضها بالمعنى مع التغيير والتبديل والتقديم
والتاخير والحذف والتقدير والحقت بها في بعض المواضع تحقيقات واضحة و
تدقيقات غامضة وما قصرت في التنقيح والتوضيح وبينت المقصود

بالحق الصريح وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء فالمأمول
من الناظرين والمرجو من الطالبين والمحصلين ان وجدوا فيه خطاء
وخللا وسهوا وزللا ان يصلحوه بعين العناية والله المستعان في
البداية والنهاية ۔ شعر ۔ يا ناظرا في كتابي ان تجد غلطا ۔ اصلح بفضلك
ما يبدو من الخلل ۔ لا تعترض بدا ان كنت ذا كرم ۔ واعذر فلست
بمعصوم من الزلل ۔ وسميته بتحفة الاخلاء في عصمت الانبياء ورتبته
على مقدمة وثلاثة ابواب واليه المرجع والمآب اما المقدمة ففي بيان
معنى النبي والرسول والولي والنسبت بينهم ومعنى الزلت والمعصيت
والعصمة فالنبي هو لفظ منقول في العرف عن مسماه اللغوي اما المعنى اللغوي
فقيل هو المنبئ واشتقاقه من النبأ فهو حينئذ فعيل بمعنى فاعل مهموز اللام
لكنه يخفف ويدغم وانما سمي به من اشتهر بهذا الاسم لانبائه عن الله تعالى
قال سيبويه ليس احد من العرب الا ويقول تنبأ مسيلمة بالهمزة الا انهم
تركوا الهمزة في النبي كما تركوه في الذرية الا اهل مكة فانهم يهمزون هذه
الاحرف ولا يهمزون في غير هذه الاحرف وجمع النبي نبآء وقيل انه مشتق من
النبوة وهو الارتفاع يقال تنبى فلان اذا ارتفع وعلا وسمي به من اشتهر

بهذا الاسم لعلو شأنه وسطوع برهانه فهو فعيل بمعنى مفعول غير مهموز وجمعه انبياء
وقيل انه مشتق من النبي وهو الطريق سمي به لانه وسيلة الى الله تعالى واما معناه
في العرف فقال اهل الحق من الاشاعرة هو من قال الله تعالى له ممن اصطفاه
من عباده ارسلناك الى قوم كذا او الى الناس جميعا او بلغهم عني او نبئهم
او بعثتك ونحوه واما تعيين عدد الانبياء فالاولى عدم الاقتصار فيه
لان الله تعالى قد قال ومنهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك
ولا يؤمن في ذكر العدد ان يدخل فيهم من ليس منهم او يخرج منهم من هو فيهم وان جاء في
بعض الاحاديث على ما روي ان النبي عليه السلام سئل عن عدد الانبياء
فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا وفي رواية مائتا الف واربعة
وعشرون الفا لان خبر الواحد على تقدير اشتماله على جميع الشرائط المذكورة
في اصول الفقه لا يفيد الا الظن ولا عبرة بالظن في باب الاعتقادات
خصوصا اذا اشتمل على اختلاف رواية والرسول فعول من الرسالة وهي في الاصل
الكلام الذي ارسل الى الغير وخصت في اصطلاح العلماء بالكلام المشتمل على قواعد
علمية ويستعمل في الشريعة بمعنى بعث الله تعالى انسانا الى الخلق بشريعة سواء
امر بتبليغها او لا وقد يخص الرسول بمن ينزل عليه جبرئيل عليه السلام او يخص بكتاب

او بشريعة جديدة او بعدم كونه مامورا بمتابعة شريعة من قبله من
الانبياء ولهذا فسر الرسول بانه انسان بعثه الله تعالى الى الخلق لتبليغ احكام
الشريعة ومعه كتاب متجدد وفي فتح المبين الرسول انسان حر ذكر من بني
آدم يوحى اليه لشرع وامر بتبليغه سواء كان له كتاب نزل عليه ليبلغه
ناسخا لشرع من قبله او غير ناسخ له او انزل على من قبله او امر بدعوة
الناس اليه ام لم يكن له ذلك بان امر بتبليغ الوحي اليه من غير كتاب ولذلك
كثر الرسل اذ هم ثلاث مائة وثلاثة عشر وقلت الكتب وهي مائة واربعة
التي نزلت على ثمانية من الرسل خمسون على شيث عليه السلام وثلاثون على
ادريس عليه السلام وعشرة على ابراهيم عم وعشرة على آدم عليه السلام وواحد
وهو الزبور على داؤد عم والتوراة على موسى عم والانجيل على عيسى عليه السلام
والفرقان على محمد عليه الصلوة والسلام وهو افضل الانبياء وخاتمهم وقد نزل
صحف ابراهيم في اول يوم وقيل اول ليلة من رمضان وبعد خمس مائة سنة
نزل الزبور في اليوم الثالث عشر من رمضان وبعد خمس مائة نزل التوراة
في ليلة سادسة من رمضان وبعد مضى الف سنة ومائتين وسبع مائة سنة
الانجيل في اليوم الرابع من رمضان وبعد مضى ثلاث مائة وستين سنة

او سبع مائة سنة او خمس مائة وستين نزل الفرقان في ليلة هي خامسة
والعشرون من رمضان اما نزول صحف شيث وادريس عليهما السلام ففيه
اختلاف كثير واما اولوا العزم والقصد والثبات وحزم الارادة منهم
ستة آدم ونوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم اجمعين وبعضهم
على ان اولوا العزم عبارة عن اصحاب الشرائع الذين اجتهدوا في تاسيسها
وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعادات الطاغين فيها ومشاهيرهم نوح
وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم اجمعين وقد نظمهم بعضهم
بقوله ؎ اولوا العزم نوح والخليل ابن آزر وموسى وعيسى والحبيب محمد امام نبينا
صلى الله عليه وسلم فاعلى اولوا العزم دل عليه قوله تعالى وانك لعلى خلق عظيم
فان كونه على خلق عظيم ليستند شدة البلاء وقد قال ما اوذي نبي ما اوذيت
فرق بين عزم وعزم قال في الاسئلة المقحمة هذا القول هو الصحيح انتهى
ويدل على صحته من التبعيضية في قوله تعا فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقيل
هم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على اذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه
وابراهيم صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد
ويوسف على الجب والسجن وايوب على الضر وموسى قال قومه انا لمدركون قال كلا

ان معی ربی سیهدین و یونس علی بطن الحوت ودا ودبکی علی خطیئته اربعین
سنة وعیسی لم یضع لبنة علی لبنة وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها
صلوة الله علیهم اجمعین وقال بعضهم اولو العزم اثنا عشر نبیا ارسلوا الی
بنی اسرائیل بالشام فعصوهم فاوحی الله الی الانبیاء انی مرسل عذابی علی
عصاة بنی اسرائیل فشق ذلك علی الانبیاء فاوحی الله الیهم اختاروا لانفسکم
ان شئتم انزلت بکم العذاب وانجیت بنی اسرائیل وان شئتم انجیتکم
وانزلت العذاب ببنی اسرائیل فتشاوروا بینهم فاجتمع رأیهم علی ان
ینزل بهم العذاب وینجی بنی اسرائیل وسلط الله علیهم ملوك الارض
فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من سلخ جلد راسه ووجهه ومنهم من صلب
علی الخشب حتی مات ومنهم من احرق بالنار وقال بعضهم الانبیاء کلهم اولو العزم
الا یونس لعجلة کانت منه الا یری انه قیل للنبی علیه السلام ولا تکن کصاحب
الحوت وآدم لقوله تعالی ولقد عهدنا الی ادم من قبل فنسی ولم نجد له عزما
وهذا لیس بصحیح لان معنی قوله ولم نجد له عزما لم نجد له قصدا الی الخلاف کما
سنبینه انشاء الله تعالی فی مقامه ویونس لم یکن خروجه بترك الصبر کما یجیء
وقال قوم اولو العزم هم نجباء الرسل المذکورون فی سورة الانعام وهم

ثمانية عشر ابراهيم واسحق ويعقوب ونوح وداؤد وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى والياس واسمعيل واليسع ويونس ولوطا قال الله تعالى بعد ذكرهم اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده وعند البعض كل الرسل اولوا العزم ولم يبعث الله رسولا الا كان ذا عزم وحزم ورأي وكمال عقل ولفظة من فى الاية تبيين لا تبعيض والولى هو فعيل بمعنى فاعل من قولهم ولى فلان الشئ يليه فهو وال وولى واصله من الولى بسكون اللام و فتحها الذى هو القرب ومنه يقال وادى تلى وازها اى تقرب منها ومنه يقال للمصاحب المعاون ولى لانه يقرب منك بالمحبة والنصرة ولا يفارقك وعند اهل التصوف والسلوك هو العارف بالله وصفاته حسب ما يمكن المواظب على الطاعات المجتنب عن المعاصى المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات وقال بعضهم الولى هو الفانى عن حاله الباقى فى مشاهدة الحق لم يكن له عن نفسه اخبار ولا مع الغير قرار وفى شرح القصيدة الفارضية واما الولاية فهى التصرف فى الخلق بالحق وليست فى الحقيقة الا باطن النبوة لان النبوة ظاهرها الانبياء وباطنها التصرف فى النفوس باجراء الاحكام عليها والنبوة مختومة من حيث الانبياء اى الاخبار اذ لا نبى بعد محمد صلى الله عليه وسلم دائمة من حيث الولاية والتصرف

لان نفوس الاولياء من امة محمد صلى الله عليه وسلم حملت تصرف ولايته
يتصرفون في الخلق بالحق الى قيام الساعة فباب الولاية مفتوحة وباب
النبوة مسدودة وعلامة صحة الولاية اتباع النبي في الظاهر لانهما يأخذان
التصرف من ماخذ واحد اذ الولي هو المظهر لتصرف النبي فلا متصرف الا واحد
ومن هذا الوجه تكلم بعض الاتباع عن نفسه بخصائص النبي صلى الله عليه وسلم على
سبيل الحكاية فنزل نفسه من النبي عليه السلام منزلة الالة من المتصرف انتهى
ومن هذا علم ان النبوة افضل من الولاية كما ان الرسالة افضل من النبوة
على تقدير قال ابن عطاء رحمة الله عليه ان ادنى مراتب المرسلين اعلى مراتب
الانبياء وادنى مراتب الانبياء اعلى مراتب الصديقين وادنى مراتب
الصديقين اعلى مراتب الشهداء وادنى مراتب الشهداء اعلى مراتب الصالحين
وادنى مراتب الصالحين اعلى مراتب المؤمنين وقال ابن عبد السلام النبوة افضل
من الرسالة لتعلقها بالحق وتعلق الرسالة بالخلق ورد بان الرسالة فيها التعلقان
كما هو الظاهر وايضا نقل عن بعض السلف ان النبي افضل من الولي
لوجوه احدها ان الانبياء معصومون بخلاف الاولياء وثانيها ان الانبياء
مامونون عن سوء الخاتمة دون الاولياء وثالثها ان الانبياء مكرمون

بالوحی ومشاهدۃ الملک دون الاولیاء ورابعہا ان الانبیاء قد وصلوا من
درجۃ الکمال الی درجۃ التکمیل یعنی انہم مشرفون بالکمال علی وجہ لا یتصور
ذلک الکمال فی غیرہم ویکملون غیرہم علی وجہ لا یتصور فی غیرہم وخامسہا
ان الانبیاء من غایت القرب والوصول الی اللہ صار واشل من یری الشیئ
من قریب والاولیاء وان عاینوا اللہ لکنہم لیسوا فی غایت القرب مثل من
یری الشیٔ من بعید وسادسہا ان النبی یری اللہ تعالی کما یناسبہ ویسمع کلامہ
فی وقت الرویۃ بخلاف الولی لان الوصفین لا یجتمعان فیہ فی وقت واحد
وسابعہا ان النبی یجب علیہ معرفۃ نبوتہ ولا یجب علی الولی معرفۃ ولایتہ
وثامنہا انہ یجب علی النبی قصد اظہار المعجزۃ ولا یجب علی الولی اظہار الکرامۃ
قال فی اداب المریدین والفرق بین المعجزۃ والکرامۃ ان النبی یجب علیہ
اظہار المعجزۃ والولی یجب علیہ ان یکتم الکرامۃ الا انہ یظہرہ اللہ تعالی ولا یبلغ
ولی درجۃ النبی خلافا لبعض الناس ولا یسقط عنہ التکالیف غیرانہ اذا
صفا قلبہ مع اللہ تعالی سقط عنہ کلفۃ التکلیف لانفس وجوبہا وقال المحقق
التفتازانی فما نقل عن بعض الکرامیۃ من جواز کون الولی افضل من النبی کفر وضلال
وکذا ما قیل انہ قد یسقط عن ولی العبادات الظاہرۃ ویکون عبادتہ التفکر

كفر وضلال وكذا ما في الرسالة المكية اعلم ان القطب يساوي النبي في
الدرجة عند الله فقد اخطأ خطأ عظيما لان جمهور الاقطاب والاوتاد والابدال
مع سائر المومنين الذين هم امة نبي واحد لو جمع الكل بفضائلهم ودرجاتهم
ثم اغرقوا في بحر نبوة صاعوا وتلاشوا فلا ينبغي للعاقل الالتفات الى مثل
هذه الخرافات وتاسعها انه يجب على النبي ان يحكم بالمعجزة ولا يجب
على الولي ان يحكم على الكرامة وعاشرها ان الانبياء مامورون بتبليغ
الاحكام وارشاد الانام بخلاف الولي والحادي عشر انهم يبشرون
بالجنة ويوصلون الناس الى النار بدون الواسطة بخلاف الاولياء
والثاني عشر انهم يبينون ما يحتاج اليه قوام الناس من امور الدين والدنيا
بخلاف الاولياء والثالث عشر ان الانبياء لا يخافون من غير الله والاولياء
ليسوا كذلك والرابع عشر ان الهام الانبياء وحي وحجة قطعية والهام
الاولياء غير مفيد للعلم واليقين والخامس عشر ان اعين الانبياء تنام وقلوبهم
ايقاظ والاولياء ليسوا كذلك واعلم ان النبي ذو جهتين جهة الولاية
وهو باطن النبوة وجهة النبوة وهو ظاهر الولاية وهو بجهة الولاية يقبل
الفيض ويأخذه من الله تعالى وبجهة النبوة يوصل ذلك الفيض الى الخلق

ولاشك ان الجهة التي هي الى الله افضل واشرف من التي هي الى الخلق فما
نقل عن بعض الاولياء ان الولاية افضل من النبوة فمراده ان جهة ولاية النبي
افضل من جهة نبوته لان ولاية النبي كامل من ولاية الولي مع زيادة النبوة
عليه وليس مراده ان ولاية ولي تابع افضل من نبوة نبي متبوع وقال شارح
قصيدة الفارضية مثله هذه العبارة وما قيل ان الولاية افضل من النبوة لا يصح
مطلقا الا بقيد وهو ان ولاية النبي افضل من نبوته التشريعية لان نبوة
التشريع متعلقة بمصلحة الوقت والولاية لا تعلق لها بوقت دون آخر
بل قام سلطانها الى قيام الساعة فان قيل قد وقع في كلام خواجه محمد بن علي
ترمذي قدس سره وذهب اليه الشيخ سعد الدين الحموي قدس سره ان نهاية
الانبياء بداية الاولياء فهو دال على افضليت الولاية من النبوة في غير النبي
ايضا قلت ان الانبياء حصل لهم كمال الشريعة في آخر الامر كما قال لنبينا محمد صلى الله
عليه وسلم اليوم اكملت لكم دينكم والولي ما يحصل له متابعة الشريعة بكمالها لم يحصل
له الدخول في الولاية فما حصل للانبياء من الشرايع في آخر الامر حصل للاولياء
في الابتداء مثل لو سلك شخص بالاحكام التي نزلت هي في المكة ولم يلتفت
الى اللتي نزلت في المدينة لم يحصل له الولاية اصلاً فبداية ولاية الولي

عبارة عن متابعة جميع الاحكام وقبولها وهذه المرتبة حصلت للانبياء
فی انتهاء الامر الزلت بالفتح عند اهل الشرع هو وقوع المكلف فی امر غیر مشروع
فی ضمن ارتكاب امر مشروع ويؤيده ما فی التوضيح فی الركن الثانی فی بيان افعال
النبی علیه السلام الزلت هی فعل من الصغائر يفعله من غير قصد
وما قال الامام السرخسی رحمة الله تعالی اما الزلة فلا يوجد فيها القصد الی
عينها ولكن يوجد القصد الی اصل الفعل لانها ماخوذة من قولهم زل الرجل
فی الطين اذا لم يوجد القصد الی الوقوع ولا الی الثبات بعد الوقوع ولكن
وجد القصد الی المشی فی الطريق وانما يواخذ عليها لانها لا تخلوا عن نوع تقصير
يمكن للمكلف الاحتراز عنه عند التثبت واما المعصية حقيقة فهی فعل حرام
يقصد الی نفسه مع العلم بحرمته وقد يطلق اسم المعصية علی الزلت مجازا
واختلف فی معنی العصمة قال بعضهم انها عبارة عن عدم قدرة المعصية والمختار
عند الجمهور انها عبارة عن خلق مانع من ارتكاب المعصية غير ملجئ حتی لا يكون المعصوم
مضطرا الی ترك المعصية وفعل الواجب وهی ای العصمة قد تطلق علی الاجتناب
عن الكبائر والاخلاق الباطنة الذميمة وقد تطلق علی الاجتناب عن الصغائر
مع ذلك الاجتناب وقد تطلق علی عدم صدور ذنب لا عمدا ولا سهوا ولا خطأ

ومع ذلك عدم الواقع فی خطاء اجتہادی فی حکم شرعی قال فی الدراسات ملخصاله ان العصمت عبارۃ عن استحالۃ صدور الذنب والخطاء بالدلیل العقلی والحفظ عبارۃ عن عدم صدور الذنب والخطاء ولکن لا یدل الدلیل علی استحالتہ الاولی صفۃ الانبیاء والثانیۃ صفۃ الاولیاء الا المہدی لانہ ایضاً معصوم لضرورۃ صدق المخبر صلی اللہ علیہ وسلم الا انہ فرق بین عصمۃ الرسول وعصمۃ المہدی لان الرسول قام علی عصمتہ الدلیل العقلی والمہدی قام علی عصمتہ شہادۃ المعصوم عن الخطاء عقلاً فاشترکا فی استحالۃ الخطاء وامتناع الصدور منہما اما عقلا وخبرا ونقلا وما مستند استحالۃ النقل لا استحالۃ العقل فانتہی العصمت عصمتان حقیقیۃ واضافیۃ والاضافیۃ اما ہما ثلثۃ بعصمۃ الانبیاء علیہم السلام و غیرہا فالاولی مختصۃ بالانبیاء ولم توجد فی غیرہم والثانیۃ توجد فی اعلی الافراد من الاولیاء والثالثہ توجد فی غیرہم علی قدر المراتب وقال فی صیانۃ الاناس المحافظۃ علی ثلاثۃ اقسام احدہا المحافظۃ عن الذنوب مع امتناع صدورہا وہذہ التی تسمی بالعصمۃ خاصۃ بالانبیاء علیہم السلام وثانیہا المحافظۃ عن الذنوب مع امکان صدورہا وہذہ

مختصة بالصديقين ويمكن ان يقال لها انه مماثل للاول فى عدم صدور الذنب ومغائر له فى امكانه وثالثها المحافظة عن الذنوب فى الكثر الغير مع صدورها احيانا كما هو للصلحاء ما علا الصديقين

واما الباب الاول

ففى بيان اختلاف المذاهب التى فى عصمة الانبياء عليهم السلام والدلائل التى تدل على عصمتهم من الذنوب الصغائر والكبائر حال النبوة اختلف الناس فى عصمة الانبياء عليهم السلام وضبط القول فيه ان يقال الاختلاف فى هذا الباب يرجع الى اقسام اربعة احدها ما يقع فى باب الاعتقاد وثانيها ما يقع فى باب التبليغ وثالثها ما يقع فى باب الاحكام والفتيا ورابعها ما يقع فى افعالهم وسيرهم اما اعتقادهم الكفر والضلال فان ذلك غير جائز عند احد وقالت الفضلية من الخوارج انهم قد وقعت عليهم الذنوب والذنب عندهم كفر وشرك فلاجرم قالوا بوقوع الكفر منهم واجازت الامامية عليهم اظهار الكفر على سبيل التقية عند خوف الهلاك لان اظهار الاسلام حينئذ القاء النفس فى التهلكة وهذا من غاية حماقتهم فانه لو جوز هذا الامر العظيم عليهم لما بقى امان فى امر التبليغ وهو ظاهر كيف وما بنى الا بعث بين اظهر اعدائه فلعله كتم شيئا من الوحى خوفا منهم وخصوصا من مذهبهم الباطلة وحماقتهم

الكاملة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عاش من وقت البعثة الى وقت
الموت الا في اعدائه ولم يكن له صلى الله عليه وسلم قدرة لدفعهم مدة
عمره وكان يخاف منهم فاحتمل كتمانه صلى الله عليه وسلم شيئاً من الوحي فلا ثقة بالقرآن
وغيره وايضاً يفضي الى اخفاء الدعوة بالكلية وترك تبليغ الرسالة اذا ولى الاوقات
بالتقية وقت الدعوة للضعف لسبب قلة الموافق او عدمه وكثرة المخالفين
فانظر الى شناعتهم ومحاقتهم التي هي هذه الشناعات خذلهم الله الى يوم القيمة
اما النوع الثاني وهو ما يتعلق بالتبليغ فقد اجمعت الامة على كونهم معصومين
عن الكذب والتحريف فيما يتعلق بالتبليغ والا لارتفع الوثوق بالاداء
واتفقوا على ان ذلك كما لا يجوز وقوعه منهم عمداً لا يجوز ايضاً سهواً ومن الناس
من جوز ذلك سهواً قالوا لان الاحتراز عنه محال وممتنع اما فهموا ان الحكم
باستحالة احد النقيضين يستلزم الحكم بامكان النقيض الآخر فالحكم بان
الاحتراز عن الكذب والتحريف سهواً فيما يتعلق بالتبليغ ممتنع يستلزم امكان
عدم الاحتراز عنه وامكان الشيء لا يستلزم وقوعه بل قد يكون الممكن بالذات
ممتنعاً بالغير وههنا كذلك والكلام في الوقوع واما النوع الثالث وهو ما يتعلق
بالاحكام والفتيا فاجمعوا على انه لا يجوز خطأهم فيه على سبيل التعمد واما على

سهواً واما وقوعه في الصغائر ... اجمعا لعصمة الاعم

سبيل السهو فجوزه بعضهم واستدلوا بقصة اسارى بدر وبفتوى داؤد عليه السلام في حق صاحب الغنم وغيرهما واباه آخرون لانهم قالوا الوجوز تا السهو والغلط لاختلط الحق بالباطل من غير امتياز وهو مفوت لغرض البعثة وأما النوع الرابع وهو الذى يقع في افعالهم فقد اختلف الامة فيه على خمسة اقوال احدها قول من جوز عليهم الكبائر على جهة العمد وهو قول الحشوية والثاني قول من لا يجوز عليهم الكبائر لكنه يجوز عليهم الصغائر على جهة العمد الا ما ينفر كالكذب والتطفيف وهذا قول اكثر المعتزلة والقول الثالث انه لا يجوز ان ياتوا بصغيرة ولا بكبيرة على جهة العمد البتة بل على جهة التاويل وهو قول الجبائي والقول الرابع انه لا يقع منهم الذنب الا على جهة السهو والخطاء والنسيان ولكنهم ماخوذون بما يقع منهم على هذه الجهة وان كان ذلك موضوعا عن امتهم وذلك ان معرفتهم اقوى ودلائلهم اكثر وانهم يقدرون من الحفظ ما لا يقدر عليه غيرهم هذا قول الجاحظ وكثير من المتاخرين من المعتزلة كالنظام والاصم وجعفر بن بشر ونحن معاشر الاشاعرة القول الخامس انه لا يقع الذنب لا الكبيرة ولا الصغيرة لا على سبيل القصد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التاويل والخطاء وهو مذهب الرافضة واختلف الناس في وقت

العصمت على ثلاثة اقوال احدها قول من ذهب الى انهم معصومون من وقت مولدهم
وهو قول الرافضة وثانيها قول من ذهب الى ان وقت عصمتهم وقت بلوغهم
ولم يجوزوا منهم ارتكاب الكفر والكبيرة قبل النبوة وهو قول كثير من المعتزلة
وايضا قال الصوفية وبعض المتكلمين ان الانبياء معصومون لا يصدر عنهم ذنب
اصلا لا كبيرة ولا صغيرة لا عمدا ولا سهوا ولا خطاء في التاويل وبه قال الاستاذ
ابي اسحق الاسفرائني وابي الفتح الشهرستاني والقاضي عياض وقالوا لو جاز
منهم الصغيرة لجاز منهم الكبيرة ولو جاز منهم الكبيرة لجاز منهم الكفر والكفر يؤدي
الى بطلان الدين والشرائع وايضا قالوا لو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء
بهم في افعالهم لعدم التمييز بين افعالهم انه من القربة او الاباحة او الحظر
او المعصية مع انا مامورون بالاقتداء بهم بموجب قوله ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله وقد علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء بافعال النبي صلى الله
عليه وآله وسلم ولهذا نبذوا خواتيمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع نعله
واحتجوا برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضاء حاجة مستقبلا لبيت المقدس وقال
ابو شكور السالمي رحمة الله وقال اهل السنة والجماعة ان الانبياء عليهم السلام
قبل الوحي كانوا انبياء معصومين ولجب العصمة والرسول قبل الوحي كان رسولا

ونبيا اما مونا وكذلك بعد الوفات والدليل عليه قوله تعالى خبرا عن عيسى
عليه السلام تصديقا له حيث كان في المهد صبيا قال اني عبد الله آتاني الكتاب
وجعلني نبيا وروي عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم انه سئل متى كنت نبيا قال
كنت نبيا وآدم بين الماء والطين فاذا كانت نبوته بما قبل الوحي ثبت نبوت الكل
قبله وان كان ظهورها بعد اربعين سنة من تولدهم وقال بعضهم لا يطلقون
اسم الزلة على افعال الانبياء لانها نوع ذنب ويقولون فعلوا الفاضل وتركوا
المفضول وعتبوا عليه لان ترك الافضل منهم بمنزلة ترك الواجب من الغير
وثالثها قول من ذهب الى ان ذلك لا يجوز وقت النبوت واما قبل النبوت
فجائز وهو قول اكثر اصحابنا وقول ابي الهذيل وابي علي من المعتزلة والمختار
عندنا انه لم يصدر عنهم الذنب حال النبوت البتة لا الكبيرة ولا الصغيرة ويدل
عليه وجوه كثيرة احدها لو صدر الذنب عنهم لكانوا اقل درجة من عصاة الامة
وذلك غير جائز بيان الملازمة ان درجة الانبياء كانت في غاية الجلال
والشرف وكل من كان كذلك كان صدور الذنب عنه افحش الا ترى الى قوله تعالى
يا نساء النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين والمحصن يرجم
والغير يحد وحد العبد نصف حد الحر واما انه لا يجوز ان يكون النبي اقل حالا من الامة

فذلك بالاجماع وثانيها ان بتقدير اقدامه على الفسق وجب ان لا يكون
مقبول الشهادة لقوله تعالى ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ولكنه مقبول الشهادة
والا لكان اقل حالا من عدول الامة وكيف نقول ذلك وانه لا معنى للنبوة
والرسالة الا انه يشهد على الله تعالى بانه شرع هذا الحكم كذلك وايضا فهو
يوم القيمة شاهد على الكل لقوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول
عليكم شهيدا وثالثها ان بتقدير اقدامه على الكبيرة يجب زجره عنها فلم يكن
ايذائه محرما لكنه محرم لقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا
والاخرة ورابعها ان محمدا عليه السلام لو اتى بالمعصية لوجب علينا اقتداؤه
فيها لقوله تعالى فاتبعوني فيفضي الى الجمع بين الحرمة والوجوب وهو محال واذا
ثبت ذلك في حق محمد ثبت في حق سائر الانبياء ايضا ضرورة انه لا قائل بالفرق
وخامسها انه قال الله تعالى وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله فهذه الاية دلت
على ان الانبياء عليهم السلام معصومون عن المعاصي والذنوب لانها دلت على
وجوب طاعتهم مطلقا فلو اتوا بالمعصية لوجب علينا الاقتداء بهم في تلك المعصية
فتصير تلك المعصية واجبة علينا وكونها معصية يوجب كونها محرمة علينا فيلزم
توارد الايجاب والتحريم على الشئ الواحد وانه محال وسادسها قال الله تعالى

ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين نوله
ما تولى ونصليه جهنم وساءت مصيرا فهو دال على وجوب عصمت محمد صلى الله
عليه وسلم من جميع الذنوب اذ لو صدر عنه ذنب لجاز منعه وكل من منع غيره من
فعل يفعله كان مشاقا له لان كل واحد منهما يكون في شق غير شق الذي يكون
الاخر فيه فثبت انه لو صدر الذنب عن الرسول لوجبت مشاقة تلك مشاقة محرمة
بهذه الآية فوجب ان لا يصدر الذنب عنه وسابعها ان نعلم ببداهة العقل انه لا شئ
اقبح من النبي الذي رفع الله درجته وائتمنه على وحيه وجعله خليفة في عباده وبلاده
يسمع ربه يناديه لا تفعل كذا لا تفعل كذا فيقدم عليه ترجيحا للذات الدنيا
والشهوة وغير ملتفت الى نهي ربه ولا منزجر بوعيده هذا معلوم القبح بالضرورة
وثامنها انه لو صدرت المعصية من الانبياء لكانوا مستحقين للعذاب لقوله تعالى
من يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ولاستحقوا اللعن لقوله تعالى
الا لعنت الله على الظالمين ولا شك ان المعصية ظلم وقد اجمعت الامة على ان
احدا من الانبياء لم يكن مستحقا للعن ولا لعذاب فثبت انه ما صدرت
المعصية عنه وتاسعها انهم كانوا يامرون الناس بطاعة الله فلو لم يطيعوه لدخلوا
تحت قوله اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب

افلا تعقلون وقال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهكم عنه فلا يليق بواحد
من وعاظ الامة فكيف يجوز ان ينسب الى الانبياء عليهم السلام وعاشرها
قوله تعالى انهم كانوا يسارعون في الخيرات ولفظ الخيرات للعموم فيتناول الكل
ويدخل فيه فعل ما ينبغي وترك ما لا ينبغي فثبت ان الانبياء كانوا فاعلين
كل ما ينبغي فعله وتاركين كل ما ينبغي تركه وذلك ينافي صدور الذنب عنهم
والحادي عشر قوله تعالى وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار وهذا يتناول جميع الافعال
والتروك بدليل جواز الاستثناء فيقال فلان من المصطفين الاخيار الا في الفعلة
الفلانية والاستثناء يخرج من الكلام ما لولاه لدخل تحته فثبت انهم كانوا
اخيارا في كل الامور وذلك ينافي صدور الذنب عنهم وقال الله تعالى الله يصطفي من الملائكة
رسلا ومن الناس ان الله اصطفى ادم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على
العالمين وقال في ابراهيم ولقد اصطفيناه في الدنيا وقال في شان موسى
اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي وقال واذكر عبادنا ابراهيم و
اسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار
وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار فكل هذه الآيات دالة على كونهم موصوفين
بالاصطفاء والخيرية وذلك ينافي صدور الذنب عنهم الثاني عشر انه تعالى

حكى عن ابليس عليه اللعنة بقوله فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم
المخلصين فاستثنى من جملة من يغويهم المخلصين وهم الانبياء عليهم السلام
وقال الله تعالى فى صفة يوسف عليه السلام انه من عبادنا المخلصين واذا ثبت
وجوب العصمة فى حق البعض ثبت وجوبها فى حق الكل لانه لا قائل بالفرق الثالث
عشر قوله تعالى ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المومنين
فاولئك الذين ما اتبعوه وجب ان يقال انه ما صدر الذنب عنهم والا فقد
كانوا متبعين له واذا ثبت فى ذلك الفريق انهم ما اذنبوا فذلك الفريق
اما الانبياء او غيرهم فان كانوا هم الانبياء فقد ثبت فى النبى انه
لا يذنب وان كانوا غير الانبياء فلو ثبت فى الانبياء انهم اذنبوا لكانوا اقل درجة
عند الله من ذلك الفريق فيكون غير النبى افضل من النبى وذلك باطل بالاتفاق فثبت
ان الذنب ما صدر عنهم الرابع عشر انه تعالى قسم الخلق الى قسمين فقال اولئك
حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون وقال فى الصنف الاخر
اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون ولا شك ان حزب الشيطان هو الذى يفعل
ما يرتضيه الشيطان والذى يرتضيه الشيطان هو المعصية فكل من عصى الله تعالى
كان من حزب الشيطان فلو صدرت المعصية من الرسول لصدق عليه انه من حزب الشيطان

ولصدق عليه انه من الخاسرين ولصدق على هذه الامة انهم من حزب الله وانهم
من المفلحين فحينئذ يكون ذلك الواحد من هذه الامة افضل بكثير عند الله من
ذلك الرسول الخامس عشر ان الرسول افضل من الملك فوجب ان لا يصدر الذنب
من الرسول وانما قلنا انه افضل لوجوه احدها قال الله تعالى فی حق ابراهيم عليه السلام
ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داؤد وسليمان
وايوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى و
الياس كل من الصالحين واسماعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين
وذلك لان العالم اسم لكل موجود سوى الله تعالى فيدخل فی لفظ العالم الملائكة
فقوله تعالى وكلا فضلنا على العالمين يقتضى كونهم افضل من كل العالمين وذلك
يقتضى كونهم افضل من الملائكة وثانيها قال الله تعالى واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لادم فقد امروا بالسجود له وامر الادنى بالسجود للافضل هو المستحسن فى الفهم
وعكسه على خلاف الحكمة لان السجود اعظم انواع الخدمة واخدام الافضل
للمفضول مما لا تقبله العقول واذا كان ادم افضل منهم كان غيره من الانبياء
كذلك اذ لا قائل بالفصل لا يقال السجود يقع على انحاء فلعله لم يكن سجود تعظيم له
اذ يجوز ان يكون سجودهم لله وادم كان كالقبلة لهم وعلى تقدير كونه لادم

جاز ان يكون عرفهم فی السجود كونه قائما مقام السلام فی عرفنا فيكون غاية
فی التواضع والخدمة لان هذه قضية عرفية يجوز اختلافها باختلاف الازمنة
وايضا جاز ان يكون امرهم بالسجود وابتلاء لهم ليميز المطيع منهم عن العاصی
فلا يدل علی تفضيله عليهم فی شی من هذه الاحتمالات لانا نقول قوله ارئيتك
هذا الذی كرمت علی وانا خير منه خلقتنی من نار وخلقته من طين يدل علی انه
اسجاد تكرمة وتفضيل وينفی سائر الاحتمالات اذ لم يتقدم هناك ما يصرف اليه
التكريم سوی الامر بالسجود وثالثها قوله تعالی وعلم ادم الاسماء كلها الی قوله
قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا يدل علی ان ادم علم الاسماء كلها ولم يعلموها
والعالم افضل من غيره لان الاية سبقت لذلك ولقوله قل هل يستوی الذين
يعلمون والذين لا يعلمون ورابعها ان للبشر عوائق عن العبادة من شهوته وغضبه
وحاجاته الشاغلة لاوقاته وليس للملائكة شی من ذلك ولا شك ان العبادة
مع هذه العوائق ادخل فی الاخلاص واشق فتكون افضل لقوله عليه السلام افضل
الاعمال احمزها ای اشقها فيكون صاحبها اكثر ثوابا عليها وخامسها ان الانسان
مركب تركيبا بين الملك الذی له عقل بلا شهوة والبهيمة التی لها شهوة بلا عقل
فبعقله له حظ من الملائكة وبطبيعته له حظ من البهيمة ثم ان من غلب طبيعته

على عقله فهو شر من البهائم لقوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل وقوله ان شر الدواب عند الله الايه وذلك يقتضي بطريق قياس احد الجانبين على الاخر ان يكون من غلب عقله طبيعته خيرا من الملائكة وانما قلنا انه لما كان كذلك وجب ان لا يصدر الذنب عن الرسول لانه تعالى وصف الملائكة بترك الذنب فقال لا يسبقونه بالقول وقال لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون فلو صدرت المعصية من الرسول لامتنع كونه افضل من الملك لقوله تعالى ام نجعل الذين امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار السادس عشر روى ان خزيمة بن ثابت شهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم على رفق دعواه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف شهدت لي فقال يا رسول الله اني اصدقك على الوحي النازل عليك من فوق سبع سموات افلا اصدقك في هذا القدر فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماه بذي الشهادتين ولو كانت المعصية جائزة على الانبياء لما جازت تلك الشهادة السابع عشر قال الله تعالى في حق ابراهيم عليه السلام اني جاعلك للناس اماما والامام من يؤتم به فاوجب على كل الناس ان يؤتموا به فلو صدر الذنب عنه لوجب عليهم ان يؤتموا به في ذلك الذنب وذلك يفضي الى التناقض الثامن عشر قوله تعالى لا ينال عهدي الظالمين

والمراد بهذا العهد اما عهد النبوة او عهد الامامة فان كان المراد
عهد النبوة وجب ان لا تثبت النبوة للظالمين وان كان المراد عهد
الامامة وجب ان لا تثبت الامامة للظالمين واذا لم تثبت الامامة
للظالمين وجب ان لا تثبت النبوة للظالمين لان كل نبي لا بد
وان يكون اماما يؤتم به ويقتدى به والآية على جميع التقديرات
تدل على ان النبي لا يكون مذنبا التاسع عشر ان الرسول مشرع لنا بجميع
اقواله وافعاله فلو انه صدق عليه الوقوع في معصية ما لصدق تشريع المعاصي
ولا قائل بذلك لاحد وذكر في اصول الفقه ان كل ما فعله عم ولم يتضح فيه
امر الجبلة والخصوص فلا بد لنا من اتباعه فيه لقوله تعالى فليحذر الذين
يخالفون عن امره اي قوله وطريقه ولانه بعث لان يقتدى باقواله وافعاله قال الله تعالى
لابراهيم عم اني جاعلك للناس اماما وذلك بسبب النبوة انتهى العشرون
انه قد علم بالبداهة ان المعصية والذنب لا يكون الا باغواء الشيطان وتسلطه
والنص دال على عدم تسلط الشيطان على الانبياء كما قال الله تعالى ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان وقال حكاية عن ابليس لاغوينهم اجمعين الا
عبادك منهم المخلصين وايضا روى عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان الشيطان عرض لى قال عبد الرزاق في صورة
هرة فشدد علي ليقطع علي الصلوة فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى
ساريةٍ حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي
ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب فرده الله خاسئا وقال عليه الصلوة
والسلام حين لُدَّ في مرضه وقيل خشينا ان يكون بك ذات الجنب فقال انه
من الشيطان ولم يكن الله ان يسلطه علي وقد كثرت الاخبار والآثار بتصدي الشيطان
للنبي عليه السلام رغبة في اطفاء نوره واماتة نفسه وادخال شغل عليه اذ ايسوا
خاسرين فاذا كانوا محفوظين عن اغواء الشيطان وتسلطه كيف يصدر عنهم الذنب
والمعصية وللقوم حجج اخرى على تنزيههم من الكفر والشرك من وقت الولادة
احدها ما قال عليه السلام ما كفر بالله نبي قط وثانيها ما قال عليه السلام لما نشأت
بُغِّضت الي الاوثان وبغض الي الشعر ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الا مرتين
فعصمني الله تعالى منهما ثم لم اعد وقال الله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام في المهد
فقال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا فاذا ثبت تنزيههما من الكفر والشرك ثبت
تنزيه الكل لعدم القائل بالفرق لان الانبياء كلهم كنفس واحدة في الحكم ولهذا
كان تكذيب نبي واحد في حكم تكذيب كلهم كما قال الله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين

كذبت عاد المرسلين وكذبت ثمود المرسلين مع ان المرسل الى كل فرقة مما ذكرنا واحد من الرسل وما احسن ما قال المولوى فى المثنوى لتفهيم ما ذكرنا

عهد عيسى بود ونوبت آن او ‖ جان موسى او وموسى جان او ‖ وچه چراغ ار حاضر آيد در مكان

هر يكى باشد بصورت غير آن ‖ فرق نتوان كرد نور هر يكى ‖ چون بنورش روى آرى بى شكى

اطلب المعنى من القرآن قل ‖ لا نفرق بين احد من رسل ‖ وقالتها انه لو كانوا

غير عالمين بالله او صفاته او مشككين لنقل الينا والحال انه لم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا انبى واصطفى ممن عرف بكفر او شرك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل ولا يتوهم من قوله تعالى فى شان سيدنا ابراهيم عليه السلام فامن له لوط ان يكون سيدنا لوط عليه السلام متصفا قبل ذلك الوقت بضد الايمان مع انه صار نبيا بعد ذلك لان الايمان عبارة عن التصديق والمصدق به هناك نبوة سيدنا ابراهيم عليه السلام دون ما دعا اليه من التوحيد لانه كان موحدا منزها عن الكفر والشرك وانما صدقه فى نبوته لان النبى برئ عن تكذيب الانبياء وعلى تقدير كون المصدق بجميع مقالات سيدنا ابراهيم عليه السلام مع ما دعا اليه من التوحيد فهو ايضا لا يقتضى ان يكون سيدنا لوط عليه السلام منكرا قبل ذلك بل كان ... البعض وهو التوحيد

وكان خالى الذهن عن البعض الآخر فاذا رأى معجزته صدقه فى الكل فصار مصدقا له
فى جميع مقالاته وناصرا له فلهذا افسره بعض المفسرين بالنصرة اى ناصرا له لوط عليه السلام
ولا منافاة بين كون الشخص عالما بالشئ ومصدقا لشخص آخر فى ذلك الشئ المعلوم
كما ان جبرئيل عليه السلام كان عالما بالايمان والاسلام والاحسان مع انه صار مصدقا
للنبى عليه الصلوة والسلام من بعد سواله عن هذه الامور وكما ان شمعون عليه السلام
لما ارسل الى اهل الانطاكية بعد تكذيبهم لرسولين من جانب عيسى عليه السلام
فامن فى جميع من اهل الانطاكية مع انه ايضا كان من المرسلين والموحدين قبل
الارسال فلا يلزم من الايمان والتصديق لشخص فى امر علانية ان يكون ذلك
المصدق خاليا عن ذلك التصديق قبل ذلك وايضا ان قريشا ردت نبينا صلى الله عليه وسلم
بكل ما افترته وغيرها من كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها واختلفت مما نص الله او نقلت
الينا الرواة ولم نجد فى شئ من ذلك لغير الواحد منهم برفضه الهتهم وتقريعه لهم
بترك ما كان قد جاء معهم عليه ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه
فى معبوده محتجين ولكانوا ابق بحجتهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل اقطع واقطع
فى الحجة من توبيخه بنهيهم عن تركهم الصنم وما كان يعبد آباؤهم من قبل ففى
اطباقهم على الاعراض عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان

تنقل ولما سكتوا عنه كما لم يسكتوا عن تحويل القبلة وقالوا ما ولٰهم عن قبلتهم
التي كانوا عليها ورابعها قال الله تعالى ما ضل صاحبكم وما غوى والضلال
المنفي ههنا عبارة عن الكفر اي ما كفر صاحبكم فانتفى عنه عليه السلام الكفر
وانتفاء الكفر عنه عليه السلام انتفاء عن الانبياء كلهم لعدم القول بالفرق
وخامسها ما قال شارح التعرف في التصوف ان النبوة اعلى منزلة واقصى
مرتبة لا منزلة فوقها فاعطائه لنبي من الانبياء يقتضي سبق محبة الله تعالى معه
ومحبة الله صفة ازلية قديمة فلو جاز عليهم الكفر والكفر محل العداوة لزم
كونه تعالى عدوا لهم اولا ثم صار محبا لهم لاعطاء النبوة وهو باطل لاستلزامه
التغير في صفات الله تعالى ويعلم من هذا ان الانبياء عليهم السلام مامونون
من عزل النبوة وسوء الخاتمة والا لزم كونه تعالى عدوا لهم بعد ما كان محبا
وهو كما ترى وسادسها ايضا قوله ان النبي هو الذي بعث الى الخلق لان يخرج
العدو الظاهري من مقام العداوة الى مقام الولاية ومحال ان يصير العدو
بسببه وليا وهو عدو انتهى فتامل وسابعها قد تواترت من لدن آدم ابي البشر
الى نبينا صلى الله عليه وسلم انه لم يبعث نبي قط اشرك بالله طرفة عين وقد انعقد
الاجماع على عصمة الانبياء كلهم من الكفر والشرك وهو دليل قطعي يقيني لا يعارضه

دليل ظني والحاصل ان الله تعالى لما اصطفى الانبياء فى سابق علمه للنبوة واداء الرسالة رشحهم لذلك فى مبادى امورهم وحماهم عن مكائد الشيطان وصفا سرائرهم من الكدورات وشرح صدورهم بنوره وزينهم بالاخلاق الحميدة والعادات الجميلة وطهرهم عن الرجس والرذائل فلا يقع عنهم الذنب عمدا فى وقت من الاوقات ولا يقع عنهم الشرك مطلقا اى لا قصدا ولا سهوا ولا تاويلا ولا قبل النبوة ولا بعد النبوة اذا تحققت هذا فاعلم ان ما نقل عن الانبياء عليهم السلام مما يشعر بكذب او معصية فما كان منقولا بطريق الاحاد فمردود وما كان بطريق التواتر مصروف عن ظاهره ان امكن والا فمحمول على ترك الاولى والافضل يعنى ان كان له محل اخر لا يلزم منه نسبت الذنب الى الانبياء يحمل عليه وان كان خلاف الظاهر جمعا بين الادلة والا يحمل على ترك الاولى كما سيجئ فى الباب الثانى انشاء الله تعالى

الباب الثانى

فى بيان ادلة الطاعنين فى عصمة الانبياء عليهم السلام وبيان الاجوبة عن ادلتهم وهو مشتمل على فصول

الفصل الاول فى شان انبياء ادم عليه السلام

اعلم انه تمسك الطاعنون فى عصمة الانبياء عليهم السلام بايات واخبار كثيرة اما تمسكهم فى حق ادم عليه السلام فمن وجهين فى اعتقاده واعماله اما التمسك بالطعن

فی اعتقاده فبقوله تعالی هو الذی خلقکم من نفس واحدة وخلق منها زوجها
لیسکن الیها فلما تغشاها حملت حملا خفیفا فمرت به فلما اثقلت دعوی الله
ربهما لان اتیتنا صالحا لنکونن من الشاکرین فلما اتاهما صالحا جعلا له شرکاء
فی ما اتاهما فتعالی الله عما یشرکون لان النفس الواحدة هی آدم وزوجها
المخلوقة عنها هی الحواء فهذه الکنایات باسرها عائدة الیهما فقوله جعلا له
شرکاء فیما اتاهما فتعالی الله عما یشرکون یقتضی صدور الشرک عنهما لما روی
عن ابن عباس رضی الله تعالی عنهما هو الذی خلقکم من نفس واحدة وهی
نفس آدم وخلق منها زوجها ای حواء خلقها الله من ضلع آدم علیه السلام
من غیر اذی فلما تغشاها آدم حملت حملا خفیفا فلما اثقلت ای ثقل الولد
فی بطنها اتاها ابلیس فی صورة رجل وقال ما هذا یا حواء انی اخاف ان یکون
کلبا او خنزیرا او بهیمة وما یدریك من این یخرج امن دبرك فیقتلك
او ینشق بطنك فخافت حواء وذکرت ذلك لآدم علیه السلام فلم یزالا فی هم
من ذلك ثم اتاها وقال ان سألت الله ان یجعله صالحا سویا مثلك ویسهل خروجه
من بطنك تسمیه عبد الحارث وکان اسم الابلیس فی الملائکة الحارث فذلك
قوله فلما اتاهما صالحا جعلا له شرکاء فیما اتاهما ای لما آتاهما الله ولدا سویا صالحا

جعلا له شركا اى جعل آدم وحواء له شركا والمراد به الحارث والجواب انا لا نسلم
ان معنى الاية ما ذكرتم لانه فاسد ويدل على فساده وجوه الاول ان
قال الله تعالى فتعالى الله عما يشركون وذلك يدل على ان الذين اتوا بهذا الشرك جماعة
الثاني قال الله تعالى بعده ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون وهذا يدل على ان المقصود
من هذه الاية الرد على من جعل الاصنام شركاء لله وما جرى لابليس اللعين ذكر في
هذه الاية الثالث لو كان المراد ابليس لقال ايشركون من لا يخلق شيئا لم يقل
ما لا يخلق شيئا لان العاقل انما يذكر بصيغته من لا بصيغة ما
الرابع ان آدم عليه السلام كان من اشد الناس معرفة بابليس وكان
عالما بجميع الاسماء كما قال الله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها فكان لا بد و
ان يكون قد علم ان اسم ابليس هو الحارث فمع العداوة الشديدة التي بينه
وبين آدم ومع علمه بان اسمه هو الحارث كيف سمى ولد نفسه بعبد الحارث
وكيف ضاقت عليه الاسماء حتى انه لم يجد سوى هذا الاسم اسما الخامس ان الواحد
منا لو حصل له ولد يرجو منه الخير والصلاح فجائه انسان ودعاه الى ان يسميه
بمثل هذه الاسماء لزجره وانكر عليه اشد الانكار وآدم عليه السلام مع نبوته وعلمه
الكثير الذي حصل من قوله وعلم آدم الاسماء كلها وتجاربه الكثيرة التي حصلت له

بسبب الزلة التي وقع فيها لاجل وسوسة ابليس كيف لم يتنبه لهذا القدر
وكيف لم يعرف ان ذلك من الافعال المنكرة التي يجب على العاقل الاحتراز
منها السادس ان بتقدير ان آدم عليه السلام سماه بعبد الحارث فلا يخلو اما ان
يقال انه جعل هذا اللفظ اسم علم له او جعله صفة له بمعنى انه اخبر بهذا اللفظ
انه عبد الحارث ومخلوق من قبله فان كان الاول لم يكن هذا شركا بالله لان
اسماء الاعلام والالقاب لا تفيد في المسميات فائدة فلم يلزم من التسمية
بهذا اللفظ حصول الاشراك وان كان الثاني كان هذا قولا بان آدم عليه السلام
اعتقد ان لله شريكا في الخلق والايجاد والتكوين وذلك يوجب الجزم
بتكفير آدم وذلك لا يقوله قائل للتواتر وانعقاد الاجماع وعدم القائل با
والخبر المذكور فثبت بهذه الوجوه ان هذا القول فاسد ويجب على العاقل المسلم ان
لا يلتفت اليه اذا عرفت هذا فنقول في تاويل الاية وجوه صحيحة سليمة خالية
عن هذه المفاسد التاويل الاول ما ذكره القفال فقال انه تعالى ذكر هذه القصة
على تمثيل ضرب المثل وبيان ان هذه الحالة صورة حالة هؤلاء المشركين في
جهلهم وقولهم بالشرك وتقرير هذا الكلام كانه تعالى يقول هو الذي خلق كل واحد منكم
من نفس واحدة وجعل من جنسها زوجها انسانا يساويه في الانسانية فلما تغشى

الزوج زوجته وظهر الحمل دعا الزوج والزوجة ربهما لئن اتيتنا ولدا صالحا
سويا لنكونن من الشاكرين لآلائك ونعمائك فلما اتاهما الله ولدا صالحا
سويا جعل الزوج والزوجة لله شركاء فيما اتاهما لانهم تارة ينسبون ذلك الولد
الى الطبائع كما هو قول الطبائعيين وتارة الى الكواكب كما هو قول المنجمين وتارة
الى الاصنام كما هو قول عبدة الاصنام ثم قال الله تعالى فتعالى الله عما يشركون
اي تنزه الله عن ذلك الشرك وهذا الجواب في غاية الصحة والسداد والتاويل
الثاني بان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
وهم آل قصي والمراد من قوله هو الذي خلقكم من نفس واحدة اي من نفس قصي
وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما اتاهما ما طلبا من
الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما اتاهما حيث سميا اولادهما الاربعة
بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد اللات وجعل الضمير في يشركون لهما
ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك التاويل الثالث انا نسلم ان هذه الآية
وردت في شرح قصة ادم عليه السلام وعلى هذا التقدير ففي دفع هذا الاشكال
وجوه الاول ان المشركين كانوا يقولون ان ادم عليه السلام كان يعبد الاصنام
ويرجع في طلب الخير ودفع الشر اليها فذكر الله تعالى قصة ادم وحواء عليهما السلام

وحكى عنهما الهما فالآلات انيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين اى ذكر الله تعالى لو اتاهما ولدا سويا صالحا لاشتغلوا بشكر تلك النعمت ثم قال فلما اتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما اتاهما ثم قال فتعالى الله عما يشركون اى تعالى الله عن شرك هولاء المشركين الذين يقولون بالشرك وينسبون الى آدم عليه السلام ونظيره ان ينعم الرجال على رجل بوجوه كثيرة من الانعام ثم يقال لذلك المنعم ان ذلك المنعم عليه يقصد ذلك وايصال الشر اليك فيقول ذلك المنعم فعلت فى حق فلان كذا واحسنت اليه بكذا ثم انه يقابلنى بالشر والاساءت والبغى على سبيل التبعيد فكذا ههنا الوجه الثانى فى الجواب ان نقول ان هذه القصة من اولها الى آخرها فى حق آدم وحواء ولا اشكال فى شئ من الفاظها الا قوله فلما اتى هما صالحا جعلا له شركاء فيما اتى هما فنقول التقدير فلما اتى هما ولدا صالحا سويا جعلا له شركاء اى جعلا اولادهما له شركا على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذا فيما اتى هما اى فيما اتى اولادهما ونظيره قوله واسئل القرية اى اسئل اهل القرية فان قيل هذا الوجه لا يستقيم لان اشراك اولادهما لم يكن حين اتى هما صالحا بل بعده بازمنة متطاولة قلنا ليس كلمة لما للزمان المتضائف بل الممتد فلا يلزم ان يقع مضمون الشرط والجزاء فى يوم واحد او شهر او سنة بل يختلف ذلك باختلاف الامور فان قيل فعلى

هذا التأويل ما الفائدة في التثنية في قوله جعلا له شركاء قلنا لأن ولده ثنتان ذكر
وانثى فقوله جعلا المراد منه الذكر والانثى مرة عبر عنهما بلفظ التثنية لكونهما صنفين
ونوعين ومرة عبر عنهما بلفظ الجمع وهو قوله تعالى فتعالى الله عما يشركون فان قيل
لما كان العبارة بحذف المضاف كان المراد اولادهما وليس كل اولادهما مشركين فكيف حكم
بصيغة الجمع وكيف يصح على طريق العموم قلنا هذا من قبيل نسبت فعل البعض الى الكل كما في
قوله تعالى ايتها العير انكم لسارقون ويدل على صحت الوجه الثاني قوله عليه السلام في حديث
طويل عن انس انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبس المؤمنون يوم القيمة حتى يهموا بذلك
فيقولون لو استشفعنا الى ربنا فيريحنا من مكاننا فياتون آدم فيقولون انت آدم
ابو الناس خلقك الله بيده واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع
لنا عند ربك فيريحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي اصاب
اكلة من الشجرة وقد نهي عنها ولم يذكر هذه الخطيئة من آدم عليه السلام ولو كانت
تلك الخطيئة من آدم عليه السلام لكانت اغلظ من الاولى فعلم ان هذا النص مؤول
باولادهما الوجه الثالث في الجواب سلمنا ان الضمير في قوله جعلا له شركاء فيما
آتيهما عائد الى آدم وحواء عليهما السلام الا انه قبل اتيانه تعالى لهما ذلك الولد
السوي الصالح عزما على ان يجعلاه وقفا على خدمة الله تعالى وطاعته وعبوديته

على الاطلاق ونقول لهما فى ذلك عشارة كانوا ينتفعون به فى مصالح الدنيا
ومنافعها ونادرة كانوا يأمرونه بخدمة الله تعالى وطاعته وهذا العمل وان كان منا
قربة وطاعة الا ان حسنات الابرار سيئات المقربين فلهذا قال الله تعالى فتعالى
عما يشركون ويؤيده ما نقل عنه عليه السلام انه قال حاكيا عن الله سبحانه انا اغنى الاغنياء
عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه غيري تركته وشركه وعلى هذا التقدير فالاشكال
زائل الوجه الرابع فى التاويل ان نقول سلمنا صحة تلك القصة المذكورة الا
انا نقول انهم سموا بعبد الحارث لاجل انهم اعتقدوا انه انما سلم من الآفة والمرض
بسبب دعاء ذلك الشخص المسمى بالحارث وقد يسمى المنعم عليه عبد المنعم يقال فى المثل
انا عبد من تعلمت منه حرفا وآدم وحواء عليهما السلام سميا ذلك الولد بعبد الحارث
تنبيها على انه انما سلم من الآفة ببركة دعائه وهذا لا يقدح فى كونه عبد الله من جهة انه
مملوكه ومخلوقه الا ان حسنات الابرار سيئات المقربين فلما حصل الاشتراك فى
لفظ العبد لا جرم صار آدم عليه السلام معاتبا فى هذا العمل بسبب الاشتراك الحاصل
فى مجرد العبد والوجه الخامس فى التاويل ان المراد بقوله تعالى وجعلا له شركاء واحد منهما يعني
حواء وهذا كثير فى كلام العرب نسبة الفعل الصادر عن الواحد الى الجمع كما قال الله تعالى ونسيا
حوتهما وقال فلا جناح عليهما فيما افتدت به واخبر عن الواحد بلفظ الجمع فى قوله جعلا له

شركاء مع ان المطاع واحد وهو ابليس لان من اطاع ابليس فقد اطاع جميع الشياطين
والدليل على صحة الوجه الخامس ما روى سمرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه واله وسلم
انه قال لما ولدت حواء طاف بها ابليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث
فانه يعيش فسمته فعاش فكان ذلك من وحي الشيطان رواه الحاكم هذا التاويل وان كان
مرضيا لبعض الاذكياء لخلوه عن حذف المضاف وغيره كما في التاويلات الاخر الا انه
غير مرضي عندي لما فيه من نسبة الاشراك الى حواء وايضا قال ذلك البعض
انما اسند الشرك الى ادم عليه السلام لاجل عدم صيانة حال زوجته مع ان الرجال
قوامون على النساء فلما غفل عن حالها اسنده اليه فقال عز وجل جعلا له شركاء كما وقع
سليمان ع في الفتنة كما قال الله تعالى ولقد فتنا سليمان والقينا على كرسيه جسدا
ثم اناب بسبب عبادة زوجته جرادة بنت صيدون تصويرا في بيت سليمان عليه السلام بغير علمه
وما نظر هذا القائل الى انه لم لم يقع نوح ع في المحنة والمشقة بسبب اغلاط زوجته ولم
لم يقع لوط عليه السلام في الفتنة بسبب اعمال زوجته ولم لم ينسب شركهما اليه فافهم
واما التمسك في افعال ادم عليه السلام فبقوله تعالى فوسوس اليه الشيطان قال يا ادم هل ادلك على
شجرة الخلد وملك لا يبلى فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة
وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى وتمسكهم بها من سبعة اوجه الاول انه

كان عاصيا والعاصي لابد وان يكون صاحب الكبيرة وانما قلنا انه كان عاصيا
لقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى وانما قلنا ان العاصي صاحب الكبيرة لوجهين الاول
ان النص يقتضي كونه معاقبا لقوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم فلا معنى
لصاحب الكبيرة الا ذلك الثاني العاصي اسم ذم فوجب ان لا يتناول الا صاحب
الكبيرة الوجه الثاني في التمسك بانه كان غاويا لقوله تعالى فغوى والغي ضد الرشد
لقوله تعالى قد تبين الرشد من الغي فجعل الغي مقابلا للرشد فبالضرورة يكون صاحب الذنب
الوجه الثالث انه تائب والتائب مذنب انما قلنا انه تائب لقوله تعالى فتلقى آدم
من ربه كلمات فتاب عليه وقال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وانما قلنا التائب
مذنب لان التائب هو النادم على فعل الذنب والنادم على فعل الذنب مخبر عن كونه
فاعلا للذنب فان كذب في ذلك الاخبار فهو مذنب بالكذب وان صدق
فيه فهو المطلوب انه مذنب فعلى كلا التقديرين لا يخلو عن الذنب الوجه الرابع
انه ارتكب المنهي عنه في قوله الم انهكما عن تلكما الشجرة ولا تقربا هذه الشجرة وارتكاب
المنهي عنه عين الذنب الوجه الخامس سماه ظالما في قوله فتكونا من الظالمين وهو
سمى نفسه ظالما في قوله ربنا ظلمنا انفسنا والظالم ملعون لقوله الا لعنة الله على الظالمين
ومن يستحق اللعن كان صاحب كبيرة الوجه السادس انه اعترف بانه لولا مغفرة الله

اياه لكان خاسرا في قوله وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وذلك يقتضي كونه
صاحب الكبيرة والوجه السابع انه اخرج من الجنة بسبب وسوسة الشيطان وازلاله
جزاء على ما اقدم عليه من طاعة الشيطان وذلك يدل على كونه صاحب الكبيرة ثم قالوا
هب ان كل واحد من هذه الوجوه لا يدل على كونه فاعلا للكبيرة لكن مجموعها لا شك
في كونه قاطعا في الدلالة عليه ويجوز ان كل واحد من هذه الوجوه ان لم يدل على شيء لكن
مجموع تلك الوجوه يكون دالا على الشيء واجاب عن هذا التمسك بوجوه [قيت] اقواها نقل في البسا
ما قال الشيخ محي الدين قدس سره في الباب التاسع والثلاثين من الفتوحات
كانت معصية آدم عليه السلام عين منة الله عليه لان الانبيا عليهم السلام
لا ينتقلون من حالة الا الى اعلى منها فان الله تعالى اجتباهم واصطفاهم
ليسابق العناية فلا يمكر الله بهم ابدا ومن هبوط آدم وحواء الى الارض لم يكن
عقوبة لهما وانما كان عقوبة لابليس وحده فان آدم عليه السلام اهبط لصدق
وعد السابق بان يكون خليفة في الارض من بعد ما تاب الله عليه واجتباه وبعد
ما تلقى الكلمات من ربه بالاعتراف فكان اعترافه عليه السلام في مقابلة قول
ابليس انا خير منه فعرفنا الله تعالى مقام الاعتراف عند الله وما يستحق من سعادة
لنتخذ ذلك طريقا اذا خلفنا من امر ربنا فكان ما وقع من آدم عليه السلام في التعليم

لبنيه اذا وقعوا فی مخالفة کیف یکون خلاصهم وآما ابلیس فعرفنا الحق تعالے
بدعواه الخیریة ان کل من اتبعه فی هذه الدعوی طرد عن حضرت الله ولعن ورجم
لیحذر من یقول نحن خیر من فلان فلذلک کان هبوط ابلیس الی الارض عقوبة
له دون آدم وقال الشیخ ابو العباس العربی لم یعص آدم ربه معاذ الله وانما عصی
من کان فی ظهره من ذریته الذین هم اهل الشقاوة لان ظهره کالسفینة
لسائر اولاده وقد سنح لی ان اضرب لک مثلا تعلم به یقینا تنزیه ادم
علیه السلام من المعصیة ولا تقوم بعض واجب حق ابیک علیک
علیه السلام فاقول وبالله التوفیق اعلم انه سبحانه تعالی لما قضی فی سابق علمه
بالسعادة لقوم والشقاوة لقوم آخر ولم یبدل ذلک القول لدیه فلابد من فاتح
یفتح القبضتین فکان ابلیس فاتحا لقبضة الشقاوة وآدم علیه السلام فاتحا
لقبضة السعادة فابلیس شقی وآدم علیه السلام سعید هو وذریته الذین اقتفوا
آثاره فی التوبة والاعتراف فان آدم علیه السلام مع علمه بان ما وقع فیه کان نقضا
وقدره اعترف بذنبه وقال ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنکونن من
الخاسرین واضاف الذنب الی نفسه لیعلم بنیه کیف یخرجون اذا وقعوا فی
معصیة عن الاثم ولا یصرون علی المعاصی من غیر توبة والاعتراف کما وقع

فيه ابليس وجنوده من الانس والجن فكان حكم آدم عليه السلام فيما وقع له
مع الحق حكم عبد قال له الحق تعالى فيما بينه وبينه اني اريد ان اظهر في هذا الوجود
ما كان مكتوما في علمي وتحكم اسمائي في اهل حضراتها من السعداء والاشقياء
فتظهر على عبادي قبل ان اخرجهم من جواري فان علمي سبق ذلك وانا كريم ومن
شان الكريم ان لا يخرج احدا من جواره الا بحجة ظاهرة تقام عليه بين المحجوبين
عن سماع ما قلته لك من سري فاذا قلت لك لا تقرب هذه الشجرة فاعلم اني
اذنت لك في القرب منها فقرب لاقيم عليك الحجة واخرجك الى دار خلافتك
ترقيك باعمال فان هذه الدار التي انت فيها لا تكليف فيها ولا ترقي لاحد
باعماله كما هي اعمال اهل الجنة التي يؤول امر المومنين اليها بعد يوم القيمة
فلا يسمع العبد صاحب هذا السر الا ان يبادر الى ما اذن له فيه سبقه سرا من وراء
المحجوبين ولم يكن ذلك معصية الا عند المحجوبين عن سماع ذلك السر الذي اسره الحق
لآدم عليه السلام واما الحاضرون السامعون ذلك فليس ذلك بمعصية عندهم
فان الاذن من الحق في شيء والامر به واحد في تلك الحضرة فنعلم ان في نداء
الحق تعالى على آدم بالمعصية والغواية تفهيما عظيما لذرية المحجوبين الذين يتعدون
حدود الله [illegible] بابيهم في الندم والاستغفار والاعتراف فلم تكن تلك المعصية

مقصودة لآدم بالاصالة كما هي ذنوب الغاوين من ذريته وانما بكى آدم معاذرت الحق له في اكله من الشجرة سرا على ما مرتشريعا لذريته فكانت بكائه كثيرا صوريا فان قلت فلم لم يفتح لآدم قبضة السعادة بالطاعة الصرفة دون وقوعه في المعصية ثم توبة منها قلت انما كان المراد الفتح المذكور بعد وقوع المعصية ليظهر آدم بذلك سعة فضل الله تعالى ورحمه وحلمه على عباده الذين سبق في علمه انهم يقعون في معصية الله تعالى ولولا انه فتح قبضة السعادة بالطاعة المحضة لتعطلت حضرات كثير من الاسماء الالهية المتعلقة بالعالم المخالف اذ الطائع لا يحتاج الى مغفرة ولا رحمة لعدم من يغفر له او يرحم عليه او يحلم عليه ويؤيد ذلك حديث لو لم تذنبوا لذهب الله بكم واتى بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم انتهى ويدل على صحت ما نقلناه ما وقع بين آدم وموسى عليهما السلام من المحاجة فان موسى عليه السلام لما كان في عالم الاسباب لذلك لا يمكن فيه قطع النظر عن الوسائط والاكتساب عد على ادم النعم المختصة به ثم نسب فعله الى المعصية والخطيئة فقال انت ادم الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته واسكنك في جنته ثم اهبط الناس بخطيئتك منها الى الارض وآدم عليه السلام لما كان في عالم المثال وانه فع عنه والاسباب التكليف

وموجبات الكسب لعصيان واجتمع روحه معه روح موسى عند ربهما عدعلى موسى النعم المختصة به ثم استبعد منه نسبة الخطية اليه فقال انت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه واعطاك الالواح فيها تبيان كل شئ و قربك نجيا فبكم وجدت الله كتب التوراة قبل ان اخلق قال باربعين قال فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال افتلومنى على ان عملت عملا كتب الله على ان اعمله قبل انه خلقنى باربعين سنة يعنى ان صدور اكل الشجر عنى كائن فى علمه تعالى فهل يمكن ان يصدر عنى خلاف علم الله وانت يا موسى من الذين يشاهدون سر الله من وراء الاستار فكيف تغفل عن العلم السابق وتنسى الاصل الذى هو القدر وتذكر الاسباب فى الكسب الذى هو السبب وتنسب فعلى الى الخطيئة وهذا بعيد من شانك لان اكل الشجرة وان كان خطيئة لكنه عند المحجوبين عن مشاهدة السر وانت لست منهم فلذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم اى غلب فى حجته على موسى لانه اظهر ما كان بينه وبين الله فى السر قال صاحب الميزان الكبرى نا قلا عن قول شيخه على الخواص مثال واقعة لسيدنا ادم عليه الصلوة والسلام مثال ملك مطاع قال يوما لاهل حضرته الخاصة انى اريد ان احدث امرا فى الوجود وانزل كتبا وارسل رسلا بامر دينى واجعل لمن اطاعهم دار النعيم الجنة ولمن عصاهم دارا

نسمی النار واخرج من ظهر عبدی آدم ذریته یعمرون الارض واوجب الیهم التکالیف بعد ان اقدر علیه الاکل من شجرة وبعد ان نهاه عن القرب منها ظاهرا ثم اقدم علیه وعلی ذریته الذین عصموا الحجة مجازا صورة یا وعلی ذریته الذین لم یعصموا حقیقة لا مجازا ثم اخرجه من تلک الجنة التی اکل فیها من الشجرة الی دار اخری انزل منها فی الدرجة تسمی الدنیا واجعل کمال مقامه فیها فمن طلب ان یکون مکان آدم فلیتقدم فما اجترء احد من اهل الحضرة ان یتقدم لذلک غیر السید آدم فانه تقدم وقال انا لها طلبا لتنفیذ قضاء الله تعالی وقدره فی عباده فمن کان حاضرا المجلس هذا الاتفاق لم یحکم علی آدم بالمعصیة الخالصة وانما یحکم له بطاعة ربه فی ذلک عکس من کان غائبا عن هذا المجلس فانه یحکم علیه بالعصیان ولا بد کما هی حضرت المحجوبین من اولاد آدم فکان ذلک من اکبر المصالح لهم لیقعوا فی قضاء الله وقدره تارة بالمعصیة فیظهر حلمه وعفوه وتارة بالطاعة فیظهر کرمه ومجده فکان آدم علیه السلام تحمل عن اولاده المحجوبین بذلک البکاء الصوری الذی وقع عنه وکثرة الحزن غالبا ما کان یقع فیه اولاده الذین یتعدون حدود الله وکانه فتح بواقعته باب المغفرة لاولاده اذ لا بد للقبضة من قابض یفتحها بحکم القضاء والقدر لیترتب علی ذلک الحدود فی الدنیا والآخرة

وايضا قال قائل المذكورنا قلا عن شيخه المذكوران جميع ما وقع من آدم عليه السلام
من مسمى المعصية كالطاعة لله تعالى فان الله تعالى كان راضيا عنه حال اكله من الشجرة
كرضاه عنه حال كونه في الصلوة على حد سواء ومن قال في ابيه غير ذلك قياسا
على حال بني آدم فعليه الخروج من عهدته يوم القيمة وايضا اجاب قوم عن الكلام
الاول فقالوا المعصية مخالفة الامر والامر قد يكون بالواجب والندب
فانهم يقولون اشرت عليه في امر ولده في كذا فعصاني وامرته لبشرب الدواء
فعصاني واذا كان الامر كذلك لم يمتنع اطلاق اسم العصيان على آدم لا
لكونه تاركا للواجب بل لكونه تاركا للمندوب واجاب المستدل عن هذا بانا
بينا ان ظاهر القران يدل على ان العاصي مستحق للعقاب والعرف يدل على
انه اسم ذم فوجب تخصيص اسم العاصي بتارك الواجب لانه لو كان تارك المندوب
عاصيا لوجب وصف الانبياء باسرهم بانهم عصاة في كل حال لانهم لا ينفكون
عن ترك المندوب فان قيل وصف تارك المندوب بانه عاص مجازا والمجاز
لا يطرد قلنا لما سلمت كونه مجازا فالاصل عدمه واما قوله اشرت عليه في امر ولده
في كذا فعصاني وامرته لبشرب الدواء فعصاني قلنا لا نسلم ان هذا الاستعمال مروي
عن العرب ومن كان مسلم ان الاية تدل على صدور المعصية منه لكنه نعم ان المعصية

كانت من الصغائر لا من الكبائر وهذا قول عامة المعتزلة وهو ايضا ضعيف
لما بين ان اسم العاصي اسم للذم ولان ظاهر القرآن يدل على انه يستحق العقاب
وذلك لا يليق بالصغيرة واجاب ابو مسلم الاصفهاني بانه عصى في مصالح الدنيا
لا في ما يتصل بالتكاليف وكذلك القول في غوى وهذا ايضا بعيد لان
مصالح الدنيا تكون مباحة ومن يفعلها لا يوصف بالعصيان الذي هو اسم للذم
ولا يقال فيه انهما بغير مر واما التمسك بقوله تعالى فغوى فاجابوا عنه من وجوه احدها
انه خاب من نعيم الجنة وذلك لانه اكل من تلك الشجرة ليصير ملكه دائما ثم لما اكل
زال عما كان فيه فلما خاب سعيه وما نجح قيل انه غوى وتحقيقه ان الغي ضد الرشد
والرشد هو ان يتوصل بشئ يوصل الى المقصود فمن توصل بشئ الى شئ فحصل
له ضد مقصوده كان ذلك غيا وثانيها قال بعضهم غوى اى بشم من كثرة الاكل
قال صاحب الكشاف هذا وان صح على لغة من يقلب الياء المكسورة ما قبلها
الفا فيقول في فنى وبقى فنا وبقا وهم بنو طى فهو تفسير خبيث وثالثها انا نقول لا حكم
انما ينم لو اثبتم بالدلالة على ان ذلك كان حال النبوة وذلك ممنوع فلم لا يجوز
ان يقال ان آدم عليه السلام حال ما صدر عنه هذه الزلة ما كان نبيا ثم بعد ذلك
صار نبيا ولا استحالة فيه هذا الجواب كما هو جواب عن الوجه الثاني لذلك يكون جوابا

عن الوجوه كلها اي على تقدير صدور اكل الشجرة عنه عليه السلام حال كونه نبيا وعلى الاول
فالاولى عندي في الجواب عن الوجه الاول ان اتصاف آدم عليه السلام بالعصيان في قوله تعالى
وعصى آدم ربه اتصاف مجازي لا حقيقي لان العصيان والمعصية في الحقيقة عبارة عن فعل حرام صدر
عن الفاعل بقصد المخالفة كما قال الفاضل الكامل الشيخ اسمعيل في تفسيره المسمى بروح البيان
واعلم ان المعصية فعل حرام وقع عن قصد اليه والزلة ليست بمعصية ممن صدرت
عنه لانها اسم لفعل حرام غير مقصود في نفسه للفاعل ولكن وقع عن فعل مباح
فاطلاق اسم المعصية على الزلة في هذه الاية مجاز لان الانبياء معصومون
عن الكبائر والصغائر لا من الزلات عندنا قال فخر المحدثين زبدة المتاخرين
صاحب الكشف والتمييز يعني شاه عبد العزيز في تفسيره ما حاصله انه كانت
معصية آدم عليه السلام بطريق الزلة ومعنى الزلة ان يقصد الرجل امرا
مباحا او طاعة وقع في امر غير مشروع بسبب الغفلة وعدم الاحتياط فيكون
هذا الامر معصية صورة وطاعة معنى انتهى قال بعض اهل الكشف والشهود
ان زلة الانبياء عليهم السلام ليست من الحق الى الباطل بل معناه انهم زلوا
من الافضل الى الفاضل وانهم يعاتبون لجلال قدرهم ومكانتهم من الله تعالى
فهذه الاقوال كلها مؤيدة لما قلنا من ان اتصاف آدم عليه السلام بالعصيان

بحقيقي واما قول المستدل لما سلمت كونه مجازا فالاصل عدمه فهو مسلم
اذا لم تكن القرينة الصارفة عن الحقيقة موجودة واما اذا كانت القرينة
المذكورة موجودة فلا وههنا كذلك لان قوله تعالى فنسي ولم نجد له عزما يدل
دلالة واضحة على ان صدور اكل الشجرة عن آدم عليه السلام كان حال الغفلة
عن المنع واذا كان كذلك فلا يصدق عليه عليه السلام وانه فعل فعل الحرام
بحيثية الحرمة والمخالفة لعدم قصده المخالفة والعصيان لا يوجد عرفا بدون
قصد المخالفة والا لصدق على كل من اكل شيئا ناسيا او خطاء في صوم رمضان
اوغيره انه عاص والامر ليس كذلك الا انه عليه السلام لعلو رتبته وعظمت منزلته
عند الله لما نسي وغفل عن حفظ التعهد نزل منزلة القاصد مجازا فاطلق عليه
نا نيا سبب لقاصد المخالفة وبوجه آخر ان للانبياء عليهم السلام جهتان وتستين
نسبة الى الخلق كما قال الله تعالى قل انما انا بشر مثلكم ولقد جاءكم رسول من انفسكم ولقد
من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم ونسبة الى الله كما قال عليه الصلوة
والسلام انا لست كاحدكم ابيت عند الله وتنام عيناي ولا تنام قلبي فظواهرهم
مع الخلق يعلمونهم ويؤدبونهم ولو لم يكونوا مع الخلق ظاهرا لامتنع اخذ الشريعة
عنهم فلم تظهر فائدة البعث واذا كان الامر كذلك فجاز على ظواهرهم ما يجوز على

ظواهرنا من السهو والغفلة وغيرهما كالمعاشرة والمخالطة دون الكفر لما مر و
بباطنهم مع الحق لا تغفل اسرارهم عن مشاهدة الحق لحظة واحدة لان منازلهم
تتزايد فى الترقى ساعة فساعة كما يدل عليه ان النبى صلى الله تعالى عليه وسلم استغفر
سبعين مرة فى كل يوم فاسرارهم وبواطنهم تتزايد فى الترقى خوفا بعد خوف
ورجاء بعد رجاء ومحبة بعد محبة وشوقا بعد شوق ومعلوم بالهداية ان الباطن
اقوى وخير من الظاهر ولهذا لا يخرج احد من الايمان باجراء كلمة الكفر
على اللسان وقت الاكراه مع اطمينان القلب على التوحيد بخلاف العكس ولهذا
لا يجوز اداء الصلوة باداء الاركان مع عدم نيتها فاسرار الانبياء عليهم السلام
على الصحة والاستقامة دائما لا يحجب عن الحق لحظة فلا يقع التقصير والغفلة والسهو
على بواطنهم اصلا بل التقصير والغفلة ان وقع فعلى ظواهرهم ومعلوم ان وجود الفعل
بدون القصد كالعدم فى حق الحكم لما قال عليه الصلوة والسلام انما الاعمال بالنيات
اى صحت الاعمال بالنيات ولان تجرد الوجود غير موقوف على النية والقصد و
لما كانت زلاتهم لا عن قصد المخالفة صارت كالعدم فلهذا قال الله تعالى فيه
ولم نجد له عزما ولكنها لما كانت موجودة ظاهرا ترتب عليها العتاب كما هو فى الكتاب
من قوله عصى آدم ربه فغوى فاطلاق العصيان ههنا ليس على حقيقته لان العصيان

حقیقة عبارة عن مجموع قصد المخالفة والفعل فاطلاقه علی الفعل فقط بدون
قصد المخالفة اطلاق اللفظ علی جزء ما فهم منه ولا شك فی مجازیته ویؤیده
کلام العارف الکامل الشیخ جنید رحمة الله تعالی ان ما جری علی الانبیاء
جری علی ظواهرهم واسرارهم مستوفات بمشاهدة الحق وایضا یؤیده ما فی المیزان
الکبری حکایة عن علی الخواص قدس سره انه قال اعلم یا ولدی ان ما قصد الله تعالی
عن الانبیاء من مسمی المعصیة والخطیئة انما هو علی سبیل المجاز لان احدا منهم لم یخرج
من حضرت الاحسان فی لحظة فی لیل او نهار وتلك الحضرة مشاهدة للحق جل وعلا
فلا یصح لاحد فیها عصیان وانما یقع العصیان ممن یحجب عن شهوده تعالی فسمی
معاصی الانبیاء وخطیاتهم کلها صوریة لا حقیقیة والجواب عن الوجه الثالث
بان التوبة عن الذنوب لازمة سواء کانت صغیرة او کبیرة اما لان المفارقة
عنها لا تحصل الا بالندامة او لان فعل الصغیرة موجبة لنقصان الثواب فلا یعود
ذلك الا بالتوبة فآدم علیه السلام تاب عن زلته لاجل ما ذکرنا لا انه فعل
فعل الکبیرة واما ارتکاب الصغیرة سهوا او تاویلا فلا ینافی عصمة الانبیاء
لانهم معصومون عندنا عن الکبائر مطلقا وعن الصغائر عمدا الا اذا کانت
الصغیرة دالة علی الخسة فانهم مبرؤن عنها مطلقا کما ذکرنا فی الباب الاول

وايضاً يجوز ان يكون استغفاره وتوبته لاجل اولاده كما قال علي الخواص
قدس سره مما قال ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين
يعني معاشر اولادي الذين يعصون امرك فكانه بذلك كان مستغفراً عنهم
لا عن نفسه هو فهو كالشافع فيهم عند ربه وايضاً يجوز ان يكون استغفاره عليه السلام
لتعليم اولاده كما مر وجميع ما وقع له من تطائر التاج والثياب عن راسه
وبدنه والبكاء والندم كان صورياً لينقل ذلك عنه الى بنيه الذين لم يكونوا
موجودين حال نزوله الى الارض اعلم انه اختلف في النهي المذكور في قوله تعالى
ولا تقربا هذه الشجرة من انه للتحريم او للتنزيه فقال قائلون ان هذه
الصيغة للنهي التنزيه وذلك لان هذه الصيغة وردت تارة في
التنزيه واخرى في التحريم والاصل عدم الاشتراك فلا بد من جعل اللفظ حقيقة
في القدر المشترك بين القسمين وما ذلك الا ان يجعل حقيقة في ترجيح جانب
الترك على جانب الفعل من غير ان يكون فيه دلالة على المنع من الفعل او على الاطلاق
فيه لكن الاطلاق فيه كان ثابتاً بحكم الاصل فان الاصل في المنافع الاباحة
فاذا ضممنا مدلول اللفظ الى هذا الاصل صار المجموع دليلاً على التنزيه قالوا وهذا
هو الاولى بهذا المقام لان على هذا التقدير يرجع حاصل معصية آدم عليه السلام

الى ترك الاولى ومعلوم ان كل مذهب كان افضى الى عصمة الانبياء عليهم السلام
كان اولى بالقبول وقال اخرون بل هذا النهي نهي تحريم واحتجوا عليه بوجوه
احدها ان قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة كقوله ولا تقربوهن حتى يطهرن وقوله
ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن فكما ان هذا للتحريم فكذا هذا وثانيها
انه قال فتكونا من الظالمين معناه ان اكلتما منها ظلمتما انفسكما الا ترى انهما
لما اكلا قالا ربنا ظلمنا انفسنا وثالثها ان النهي لو كان نهي تنزيه لما استحق
آدم بفعله الاخراج من الجنة ولما وجبت التوبة عليه والجواب عن هذه الوجوه
اما عن الاول فنقول ان النهي وان كان في الاصل للتنزيه وكذا قد يحمل على التحريم
لكن لادلة منفصلة يعني ان النهي في الاصل للتنزيه كما قلنا واما كونه للتحريم في قوله
ولا تقربوهن ولا تقربوا مال اليتيم وامثالهما لا يضر مدعانا لانه بسبب امر منفصل لا
موضوع له النهي وعن الثاني ان قوله فتكونا من الظالمين اى فتظلما انفسكما بفعل
الاولى بكما تركه لانكما اذا فعلتما ذلك اخرجتما من الجنة التي لا تظمأن فيها ولا
لا تجوعان ولا تضحيان ولا تعريان الى موضع ليس لكما فيه شيء من هذا وعن الثالث
انا لا نسلم ان الاخراج من الجنة كان لهذا السبب بل بسبب آخر كما سيأتي بيانه ان شاء الله
تعالى في الجواب عن الوجه السابع وظهر من هذا جواب الوجه الرابع والخامس والسادس

ايضا لان ارتكاب المنهي عنه بالنهي التنزيه لا يكون كبيرة والظلم ههنا عبارة عن فعل ما الاولى له ان لا يفعله وبشارة لما ان من طلب لو زيادة تعرض كرها واشتغل بالحيالة فانه يقال له يا ظالم نفسه لم فعلت ذلك فان قيل هل يجوز وصف الانبياء عليهم السلام بانهم كانوا ظالمين او بانهم كانوا ظالمي انفسهم والجواب ان الاولى انه لا يطلق ذلك لما فيه من ايهام الذم وكان ادم عليه السلام لما ارتكب المنهي عنه بالنهي التنزيه وان كان ارتكابه ناسيا كما سيجيء عن قريب ان شاء الله تعالى صار مرتكبا للصغيرة لعلو شانه والصغائر معاقب عليها ان لم تغفر ولاجل هذا قال آدم عليه السلام وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين خلافا للمعتزلة لانهم لا يجوزون المعاقبة على الصغائر مع اجتناب الكبائر ولان عادة المقربين لما كانت جارية على استعظام الصغيرة من السيئات واستحقار العظيمة من الحسنات قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين والجواب عن السابع انا لا نسلم ان اخراج آدم عليه السلام كان لاجل ما ذكرتم بل كان اخراجه عليه السلام من الجنة الى الارض لاجل ما قال الله للملائكة اني جاعل في الارض خليفة فاقتضت الحكمة الازلية الالهية الى ذلك الاخراج ليفعل لوعده وليتصف ادم عليه السلام بالكمالات والتخطيات والتشريفات الا انه تعالى لما كان ذكرهما في الجنة مقام القرب ومن عادات الكريم ان لا يخرج من قربه احدا

الا بحجة قائمة على الاخراج ويتعين جعل الله اكل الشجرة من آدم عليه السلام سببا ظاهرا
لاخراجه ويؤيده قول القرطبي في تفسيره ان الصحيح في اهباط آدم عليه السلام وسكناه
في الارض ما قد ظهر من الحكمة الازلية في ذلك وهي نشر نسله فيها ليكلفهم ويمتحنهم
ويترتب على ذلك ثوابهم وعقابهم الاخروي اذ الجنة والنار ليستا بدار تكليف فكانت
تلك الاكلة سبب هباطهما من الجنة فاخرجهما لانهما خلقا منها وليكون آدم
خليفة الله في الارض ولله ان يفعل ما يشاء وقد قال اني جاعل في الارض خليفة
وهذه منقبة عظيمة وفضيلة شريفة كريمة انتهى محصوله هبوط التشريف لا الاهانة
والتمييز بين مقتضى السعادة والشقاوة لان ذلك من مقتضيات الخلافة الالهية
فان قيل ان هذا الكلام يعني كلام القرطبي يدل على كون الاكل سببا للاخراج كما صرح
به بقوله فكانت تلك الاكلة سبب هباطهما من الجنة فكيف يكون معنى هذا
قلت مراده ان الاكل من الشجرة سبب للاخراج من الجنة في الظاهر واما السبب الحقيقي
للاخراج فشيء آخر كما صرح به في صدر كلامه وهو عين المطلوب وقال بعض اهل العرفان
سر خروج آدم عليه السلام من الجنة انه رأى مرتبة من مراتب التوحيد اعلى من
المرتبة التي هو فيها فسألها من الله فقيل له لا تصل اليها الا بالبكاء فاحب
آدم ان يبكي فقيل له ان الجنة ليست موضع البكاء بل هي موضع السرور

بطلبه ونزل الى الدنيا فيكون ما صدر عنه ذنبا بالنسبة اليه باعتبار
قصوره مرتبته عن المرتبة المطلوبة على نهج حسنات الابرار سيئات المقربين
فلاجل الوصول الى تلك المرتبة بكى آدم بكاء شديدا كما روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لو جمع بكاء اهل الدنيا الى بكاء داود كان بكاء داود اكثر
ولو جمع كل ذلك الى بكاء نوح لكان بكاء نوح اكثر وانما سمي نوحا لنوحه على نفسه
ولو جمع كل ذلك الى بكاء آدم لكان بكاء آدم على خطيئته اكثر وقيل السر في
خروج آدم عليه السلام اظهار كمال المحمدي وجمال الاحمدي ولو علم ابونا آدم عليه السلام
انه يخرج من صلبه مثل محمد عليه السلام لصار ياكل الشجرة مع عروقها فكيف ثمرها ليسارع
في الخروج على وجه الارض وقال المولى الشهير بابن الكمال في رسالة الفضل والعدل
عتاب آدم عليه السلام بقوله الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما
عدو مبين عتاب تلطيف لا عتاب تعنيف وتعذيب وتنزيله من السماء الى الارض
بقوله اهبطوا جميعا تكميل وتبعيد تقريب كما في قول الشاعر شعر سأطلب بعد الدار عنكم
لتقربوا انتهى قال الشيخ نجم الدين قدس سره ان آدم خاطبه مولاه خطاب الابتلاء والامتحان
والنهي نهي تعزز كانه قال يا آدم ابحت تلك الجنة وما فيها الا هذه الشجرة فانها شجرة المحبة
والمعرفة والمحبة مطوية المحنة وان منعه منها كان تحريضا على تناولها فان الانسان

حتى يصير على ما منع فسكنت نفس آدم الى حواء والى الجنة والى ما فيها الا الشجرة
اى لحصول الاذن فيها ١٢
المنهي عنها لانها كانت منتهى القلب فكان للنفس فيها حظ ولا يزال يزداد توقانه
اى منتهى عنها ١٢
اليها فيقصدها حتى تناول منها فظهر بهم الخلافة والمحبة والمحنة واتصف بمظاهر الجمال
والجلال كالتواب في الغفور والعفو والقهار والستار والحاصل انه لما علم الله تعالى انه
يعني في الناسي ١٢
يأكل من الشجرة نهاه ليكون اكله عصيانا يوجب توبة ومحبة وطهارة من تلوث
الذنب كما قال الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاورثه ذلك النهي عن اكل الشجرة
عصيانا بسبب النسيان ثم توبة بسبب العصيان ثم محبة بسبب التوبة ثم طهارة
بسبب المحبة كما ورد في الخبر اذا احب الله عبدا لم يضره الذنب اى حفظه من الذنب
واذا وقع فيه وفقه للتوبة والندامة وكل زلة عاقبتها التوبة والتشريف
والاجتباء فقيل هي زلة تنزيه واستحقاق آدم اللوم بالنهي التنزيهي
من قبيل حسنات الابرار سيئات المقربين وقيل خلقنا في الدنيا ليميز الله
الخبيث من الطيب والمطيع من المخالف لاقتضاء الصفات الجلالية لان
الجنة ليست من مظاهر الجلال ولو خلقنا وبقينا في الجنة لما ظهر فينا صفات
الجلال كما لم تظهر في الملك فالحكمة الالهية اقتضت خلق الانسان في الدنيا
وظهور المخالفة منه ليظهر فيه الرحمة والغفران فلو بقي آدم في الجنة نصفا ثم

فضعف الكمال الذى هو التجليات القربية فخرج ليتحقق بمظاهر اسماء الجلال والجمال
ثم يرد الى عالم الجنان كاملاً مكملاً بانواع الفضائل والكمالات والمقصود
ايضاً كما سبق تميز الخبيث من الطيب وقد قدر الله تعالى ان يخرج من صلبه سيد المرسلين
صلى الله تعالى عليه وسلم واخوانه من الانبياء والاولياء والمؤمنين وخمر طينته بتراب
كل مؤمن وعدو فاخرجه الى الدنيا ليخرج من ظهره الذين لا نصيب لهم فى الجنة
وقد علم مما ذكرنا ان اخراج آدم عليه السلام من الجنة الى الارض ما كان فى
الحقيقة لسبب اكل الشجرة وما كان ذلك الاخراج للتعذيب والتذليل بل كان للاعزاز
والاكرام والاكمال فلا تكون سببه الكبيرة ثم اعلم ان القرآن وان دل على ان آدم عصى
وغوى لكن ليس لاحد ان يقول ان آدم كان عاصياً غاوياً ويدل على صحة قولنا
امور احدها قال العتبى يقال لرجل قطع ثوباً وخاطه قد قطعه وخاطه ولا يقال
خائط ولا خياط حتى يكون معاوداً لذلك الفعل معروفاً به ومعلوم ان هذه الزلة
لم تصدر عن آدم عليه السلام الا مرة واحدة توجب ان لا يجوز اطلاق هذا الاسم
عليه وثانيها ان على تقدير ان تكون هذه الواقعة انما وقعت قبل النبوة لم يجز
بعد ان قبل الله توبته وشرفه بالرسالة والنبوة اطلاق هذا الاسم عليه كما لا يقال لمن
اسلم بعد الكفر انه كافر بمعنى انه كان كافراً فيتقدير ان يقال ان هذه الواقعة

وقعت بعد النبوة لم يجز ايضا ان يقال ذلك لانه عليه السلام تاب عنها وكما
ان الرجل المسلم اذا شرب الخمر او زنى ثم تاب وحسنت توبته لا يقال له بعد ذلك
انه شارب خمر او زان فكذا ههنا وثالثها ان قوله عاص وغاو يوهم
كونه عاصيا في اكثر الاشياء وغاويا عن معرفة الله تعالى ثم لم ترد هاتان اللفظتان
في القرآن مطلقتين بل مقرونتين بالقصة التى عصى فيها فكانه قال عصى في كيت
وكيت وذلك لا يوهم التوهم الباطل الذى ذكرنا ورابعها انه يجوز من الله ما لا يجوز
من غيره كما يجوز للسيد في عبيده وولده عند معصية من اطلاق القول ما لا يجوز لغير
السيد ثم اختلف في ان ارتكاب الزلة المذكورة صدر عن آدم عليه السلام حال
كونه ناسيا للنهي او ذاكرا له فيه قولان الاول قول طائفة من المتكلمين انه
فعله ناسيا واحتجوا بقوله تعالى فنسى ولم نجد له عزما ومثلوه بالصائم فيشتغل بامر
ويستغرقه ويغلب عليه فيصير ساهيا عن الصوم ويأكل في اثناء ذلك السهو عن
قصد لا يقال هذا باطل من وجهين الاول ان قوله تعالى ما نهاكما ربكما عن هذه
الشجرة الا ان تكونا ملكين وقوله وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين يدل على انه
ما نسى النهي حال الاقدام وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ما يدل
على ان آدم قد تعمد لانه قال لما اكلا منها بدت لهما سوآتهما خرج آدم

فتعلقت به شجرة من شجر الجنة فحسبته فناداه الله تعالى افرارا مني فقال بل حياء
منك فقال له اما كان فيما منحتك من الجنة مندوحة عما حرمته عليك قال
بلى يا رب ولكن وعزتك ما كنت ارى ان احدا يحلف بك كاذبا فقال وعزتي
لاهبطنك منها ثم لا تنال العيش الا كدا الثاني وهو انه لو كان ناسيا لما
عوتب على ذلك الفعل اما من حيث العقل فلان الناسي غير قادر على الفعل
فلا يكون مكلفا به لقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها واما من حيث النقل
فلقوله عليه الصلوة والسلام رفع القلم عن ثلاث فلما عوتب عليه دل ان ذلك
لم يكن على سبيل النسيان لانا نقول اما الجواب عن الاول فهو انا لا نسلم ان
آدم وحواء قبلا من ابليس ذلك الكلام ولا صدقاه فيه لانهما لو صدقاه لكانت
معصيتهما في ذلك التصديق اعظم من اكل الشجرة لان ابليس لما قال لهما ما نهاكما
ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين فقد القى اليهما
سوء الظن بالله ودعاهما الى ترك التسليم لامره والرضاء بحكمه والى ان
يعتقد فيه كون ابليس ناصحا لهما وان الرب تعالى قد غشهما ولا شك ان
هذه الاشياء اعظم من اكل الشجرة فوجب ان تكون المعاتبة في ذلك اشد
وايضا كان آدم عليه السلام عالما بتمرد ابليس عن السجود وكونه مبغضا له

وحاسد الله على ما آتاه الله من النعم فكيف يجوز من العاقل ان يقبل قول عدو
مع هذه القرائن وليس في الآية انهما اقدما على ذلك الفعل عند ذلك
الكلام او بعده ويدل على ان آدم كان عالما بعداوته قوله تعالى ان هذا
عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى واما ما روي عن ابن عباس فهو
مروي بالآحاد فكيف يعارض القرآن وفي القرآن فنسي ولم نجد له عزما واما الجواب عن الثاني
فهو ان العتاب انما حصل على ترك التحفظ من اسباب النسيان وهذا الضرب
من السهو موضوع عن المسلمين وقد كان يجوز ان لا يواخذوا به وليس بموضوع
عن الانبياء لعظم خطرهم ومثلوه بقوله يا نساء النبي لستن كاحد من النساء ثم قال
من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وقال عليه السلام
اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء ثم الامثل فالامثل فان قيل كيف يجوز ان
يؤثر عظم حالهم وعلو منزلتهم في حصول شرط في تكليفهم دون تكليف غيرهم قلنا
سمعت ان حسنات الابرار سيئات المقربين ولهذا كان على النبي صلى الله تعالى
عليه وآله وسلم من التشديدات في التكليف ما لم يكن على غيره ولان جفاء الحبيب
على الحبيب شديد وقال بعضهم ان الباعث على ارسال الرسل تعليم سائر الناس
وتأديبهم فالناس كانوا يحتاجون الى اقامة الطاعة يحتاجون الى اصلاح تقاصيرهم

بل الثانی ان یدمر الاول فلو لم تصدر عن الانبیاء الا الطاعة ولم یواخذوا
بالزلات ولم یرجعوا بالتوبة والاستغفار الی الله یهمل علی غیرهم طریق اصلاح التقاصیر
فلهذا اعوتبوا علی الزلات لیعلم غیرهم ان الانبیاء مع علو منزلتهم وقربهم من الله
اخذوا بالصغائر التی صدرت عنهم نسیانا او تاویلا ولم یستغنوا عن التوبة
والاستغفار فالواحد منا مع کثرة ذنوبه من الصغائر والکبائر وقلة طاعته وبعد
منزلته ومرتبته من الله لا بد ان یشتغل طول عمره بالتوبة والندامة والبکاء
لان التوبة بمنزلة الصابون فکما ان الصابون یزیل الاوساخ الظاهرة فکذلک
التوبة تزیل الاوساخ الباطنة والعبد اذا رجع عن السیئات واصلح عمله اصلح
الله شانه واعاد علیه نعمه الفائتة فی المثنوی ؎ چون خدا خواهد که ما یاری کند
میل ما را جانب زاری کند ٭ ای خنک چشمی که آن گریان اوست ٭ وی همایون
دل که آن بریان اوست ٭ آخر هر گریه آخر خنده ایست ٭ مرد آخربین مبارک بنده ایست
باش چون دولاب نالان چشم تر ٭ تا ز صحن جان بروید خضرة ٭ وقال بعض العلماء
ان آدم علیه السلام اکل من الشجرة وقت کونه سکران لان حواء سقته الخمر حتی
سکر ثم فی اثناء السکر فعل ذلک قالوا وهذا لیس ببعید لانه علیه الصلوة والسلام
کان ماذونا له فی تناول کل الاشیاء سوی تلک الشجرة فاذا حملنا الشجرة

على انه كان ماذونا فى تناول الخمر ولقائل ان يقول ان خمر الجنة لا يسكر لقوله تعالى فى صفة خمر الجنة لا فيها غول واما القول الثانى وهو انه عليه السلام فعله عامدا فههنا اربعة اقوال احدها ان ذلك النهى كان نهى تنزيه لا نهى تحريم وقد تقدم الكلام فى هذا القول وعلته الثانى انه كان ذلك عمدا من آدم عليه السلام وكان ذلك كبيرة وقد عرفت فساده بما قدمنا الثالث انه عليه السلام فعله عمدا لكن كان معه من الوجل والفزع والاشفاق ما صير ذلك فى حكم الصغيرة وهذا القول ايضا باطل لان المقدم على ترك الواجب و فعل المنهى عمدا وان فعله مع الخوف الا انه يكون مع ذلك عاصيا مستحق للعن والذم والخلود فى النار ولا يصح وصف الانبياء عليهم السلام بذلك ولانه تعالى وصفه بالنسيان فى قوله فنسى ولم نجد له عزما وذلك ينافى العمدية القول الرابع وهو اختيار اكثر المعتزلة انه عليه السلام اقدم على الاكل بسبب اجتهاد اخطاء فيه وذلك لا يقتضى كون الذنب كبيرة بيان اجتهاد الخطاء انه لما قيل له ولا تقربا هذه الشجرة فلفظ هذه قد يشار به الى الشخص وقد يشار به الى النوع وروى ان النبى عليه الصلوة والسلام اخذ حريرا وذهبا وقال هذان حل لاناث امتى حرام على ذكورهم واراد به نوعهما وروى انه عليه السلام توضأ مرة

وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلوة الا به واراد نوعه فلما سمع آدم عليه السلام

قوله تعالى ولا تقربا هذه الشجرة ظن ان النهي انما يتناول تلك الشجرة المعينة

فتركها وتناول من شجرة اخرى من ذلك النوع الا انه كان مخطئا في ذلك

الاجتهاد لان مراد الله تعالى من كلمة هذه كان النوع لا الشخص والاجتهاد

في الفروع اذا كان خطأ لا يوجب استحقاق العذاب واللعن لاحتمال كونه

صغيرة مغفورة كما في شرعنا وهذا القول ايضا باطل لان كلمة هذا في اصل اللغة

للاشارة الى الشئ الحاضر والشئ الحاضر لا يكون الا شيئا معينا فكلمة هذا

في اصل اللغة للاشارة الى الشئ المعين فاما ارادة الاشارة بها الى النوع فذلك

على خلاف الاصل وايضا فلانه تعالى لا يجوز الاشارة عليه فوجب

ان يكون قد امر بعض الملائكة بالاشارة الى ذلك الشخص فكان ما عداه خارجا

عن النهي لا محالة اذا ثبت هذا فنقول المجتهد مكلف بحمل اللفظ على حقيقته

فآدم عليه السلام لما حمل لفظة هذا على المعين كان قد فعل الواجب ولا يجوز له

حمله على النوع قيل يمكن ان يقال في المسئلة وجه آخر وهو انه تعالى لما قال ولا تقربا

هذه الشجرة ونهيهما معا فظن آدم عليه السلام انه يجوز لكل واحد منهما وحده

ان يقرب من الشجرة وان يتناول منها لان قوله ولا تقربا نهي لهما على الجمع ولا يلزم

من حصول النهي حال الاجتماع حصوله حال الانفراد فلعل الخطاء في هذا الاجتهاد
انما وقع من هذا الوجه وقيل الاصل ان الانبياء عليهم السلام لا يجوز لهم الاجتهاد
لان الاجتهاد اقدام على العمل بالظن وذلك انما يجوز في حق من لا يتمكن
من تحصيل العلم اما الانبياء فانهم قادرون على تحصيل اليقين فوجب ان لا يجوز
لهم الاجتهاد لان الاكتفاء بالظن مع القدرة على تحصيل اليقين غير جائز عقلا
وشرعا انتهى وفيه ضعف ظاهر والحق انه عليه السلام ما ارتكب هذه الزلة
بالاجتهاد بل صدرت عنه ناسيا للنهي كما مر ان قيل اذ نسي آدم عليه السلام وفعل
ما فعل فلم اخذ وعوتب لان النسيان مرفوع عن الانسان قلت رفع النسيان
اما ان يكون مختصا بهذه الامة كما يدل عليه قوله عليه السلام رفع عن امتي الخطاء
والنسيان وما استكرهوا عليه رواه الطبراني عن ثوبان وما كان مرفوعا
عن الامم السابقة لان المواخذة على الخطاء والنسيان لم تكن ممتنعا عقلا
فان الذنوب كالسموم فكما ان تناول السموم عمدا كان او خطاء يفضي الى الهلاك
كذلك الذنوب يفضي الى العقاب لو لم يغفر الله وان كان بغير عزم ويؤيده ما قال الكلبي
كانت بنو اسرائيل اذا نسوا شيئا مما امروا به او خطاؤا عجلت عليهم العقوبة فحرم
عليهم من مطعوم او مشروب على حسب ذلك الذنب انتهى ولهذا جرى على آدم

مطاعم الجنة ومشاربها وامّا ان حسنات الابرار سيّئات المقربين فالخطاء والنسيان وان كان مرفوعًا عن الانسان لا يؤخذ بهما في الاخرة بالنار لكن الخواص من الناس لعلو درجتهم مؤخذون بهما وبما هو ترك الاولى والافضل لا بالنار في الاخرة بل في الدنيا بالعتاب والهجران من المعاملات كان الشيطان لما قال لآدم وحواء عليهما السلام ما نهيكما ربكما من هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقال انى لكما لمن الناصحين احدث فيه عليه السلام ميلا طبعيا الى اكل الشجرة ثم انه كف نفسه عنه مراعات لحكم الله تعالى الى ان نسى ذلك وزال المانع عن اكله فحمله طبعه عليه فان قيل لما كان الاكل بميلان طبعه عليه السلام فما وجه اضافة الاخراج الى الشيطان في قوله تعالى فازلهما الشيطان عنها فاخرجهما مما كانا فيه وفي قوله لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة قلت لما كان الانسان قادرا على الفعل والترك ومع التساوي يستحيل ان يصير مصدرا لاحد هذين الامرين الا عند انضمام الداعي اليه والداعي عبارة في حق العبد عن علم او ظن بكون الفعل مشتملا على مصلحة فاذا حصل ذلك العلم او الظن بسبب تنبيه منبه عليه كان الفعل مضافا الى ذلك المنبه لما لاجله صار الفاعل بالقوة فاعلا بالفعل ولما كان الشيطان هو الموسوس الباعث على ميلان طبعه عليه السلام والمنبه على فائدة الاكل

اضاف الاخراج اليه فان قيل الوسوسة عبارة عن الكلام الخفى الذى يلقيه الشيطان
الى قلب البشر ليميز بين له ما هو المنكر شرعًا وابليس كافر والكافر لا يدخل الجنة
فكيف وسوس لآدم عليه السلام اقول انه ممنوع من الدخول على وجه التكرمة كما
يدخلها الملائكة ولم يمنع من الدخول للوسوسة ابتلاء لآدم وحواء او نقول ان
آدم وحواء عليهما السلام كانا يخرجان الى باب الجنة وابليس كان يقرب من الباب
ويوسوس اليهما وقال الحسن ابليس كان فى الارض يوسوس من الارض الى الجنة
بالقوة التى جعلها الله تعالى وهذا بعيد لان الوسوسة كلام خفى والكلام الخفى
لا يمكنه ايصاله من الارض الى السماء وقال ابو القاسم البلخى وابو مسلم الاصفهانى
بل كان آدم عليه السلام وابليس فى الجنة وليست تلك الجنة هى دار الثواب
وجنة الخلد بل كانت بعض من جنات الارض وحملا الاهباط فى قوله تعالى
وقلنا اهبطوا على الانتقال من بقعة الى بقعة كما فى قوله تعالى اهبطوا مصرا واحتجا
عليه بوجوه احدها ان هذه الجنة لو كانت هى دار الثواب لكانت جنة الخلد ولو كان
آدم فى جنة الخلد لما لحقه الغرور من ابليس بقوله هل ادلكما على شجرة الخلد وملك
لا يبلى ولما صح قوله ما نهيكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من
الخالدين فانه تعالى اذا اسكن آدم جنة الخلد وملك لا يبلى فكيف لم يرد عليه ويقل له

كيف تدلني على شئ انا فيه وكيف ركن الى قول ابليس ونصيحته ولكنه لما كان
في غير دار الخلد اخرجه بما اطمعه من الخلود وثانيها ان من دخل هذه الجنة لا يخرج منها
لقوله تعالى وما هم منها بمخرجين وثالثها ان ابليس لما امتنع من السجود لعن
فما كان يقدر مع غضب الله عليه على ان يصل الى جنت الخلد ورابعها الجنت التي
هي دار الثواب لا يفنى نعيمها لقوله تعالى اكلها دائم ولقوله تعالى واما الذين
سعدوا ففي الجنت خالدين فيها الى ان قال عطاء غير مجذوذ واى غير مقطوع
فهذه الجنت لو كانت هي التي دخلها آدم عليه السلام فلما فنيت لكنها تفنى لقوله تعالى
كل شئ هالك الا وجهه ولما اخرج منها آدم عليه السلام لكن نخرج منها وانقطعت
تلك الراحات وخامسها انه لا يجوز في حكمته تعالى ان يبتدئ الخلق في جنة يخلدهم
فيها ولا تكليف لانه تعالى لا يعطي جزاء العاملين من ليس بعامل ولانه لا يهمل عباده
بل لا بد من ترغيب وترهيب ووعد ووعيد وسادسها انه لا نزاع في ان الله تعالى
خلق آدم عليه السلام في الارض ولم يذكر في هذه القصة انه نقله الى السماء ولو كان
تعالى قد نقله الى السماء لكان ذلك اولى بالذكر لان نقله من الارض الى السماء
من اعظم النعم فدل ذلك على انه لم يحصل وذلك يوجب ان المراد من الجنة التي
قال الله تعالى اسكن انت وزوجك الجنة جنة اخرى غير جنت الخلد وسابعها

انه تعالى اخبر على لسان جميع رسله ان جنت الخلد انما يكون الدخول فيها يوم القيمة ولم يأت زمان دخولها بعد وثانيها انه قد وصفها الله تعالى لنا في كتابه بصفاتها ومحال ان يصف الله شيئا بصنعة ثم يكون ذلك الشئ بغير تلك الصفة التي وصفها به في جدنا الله وصف الجنت التي اعدت للمتقين بانها دار المقامة فمن دخلها اقام بها ولم يقم ادم بالجنت التي دخلها ووصفها بانها جنة الخلد وآدم لم يخلد فيها ووصفها بانها دار ثواب وجزاء لا دار تكليف وامر ونهي ووصفها بانها دار سلامة مطلقة لا دار ابتلاء وامتحان وقد ابتلى فيها ادم باعظم الابتلاء ووصفها بانها دار لا يعصى الله فيها احد ابدا وقد عصى ادم ربه في جنة التي دخلها ووصفها بانها ليست دار خوف ولا حزن وقد حصل لادم فيها من الخوف والحزن ما حصل وسماها دار السلام ولم يسلم فيها آدم من الفتنة ووصفها بانها دار القرار ولم يستقر فيها آدم وقال الله تعالى لا يمسهم فيها نصب وقد ندا فيها آدم هاربا فارا وطفق يخصف ورق الجنت على نفسه وهذا هو النصب بعينه واخبر بانه لا لغو فيها وقد سمع لغوا ابليس واثمه واخبر انه لا يسمع فيها لغوا ولا كذابا وقد سمع فيها آدم كذب ابليس وقد سماها الله تعالى مقعد صدق وقد كذب فيها ابليس وحلف على كذبه وقد قال الله تعالى

للملائكة انی جاعل فی الارض خلیفة ولم یقل انی جاعل فی الجنة الماوی فقالت
الملائكة اتجعل فیها من یفسد فیها و یسفك الدماء ومحال ان یکون هذا فی
جنة الخلد وتاسعها انه قد روی عن النبی علیه السلام ان آدم نام فی جنة
وجنة الخلد لا نوم فیها بالنص واجماع المسلمین فان النبی علیه السلام سئل
اینام اهل الجنة فی الجنة قال لا النوم اخو الموت والنوم وفات وقد نطق
به القرآن والوفات تنقل حال ودار السلام مسلمة من تنقل الاحوال والنائم
میت اوکالمیت والجنة اللتی هی دار الخلد لیست موضع الموت وعاشرها
ان الله تعالی لما خلق آدم اعلمه ان لعمره اجلا ینتهی الیه وانه لم یخلقه للبقاء
کما روی الترمذی فی جامعه من حدیث ابی هریرة قال قال رسول الله صلی الله
علیه وسلم لما خلق الله آدم و نفخ فیه الروح عطس فقال الحمد لله باذنه فقال له
ربه یرحمك الله یا آدم اذهب الی فلنك الملائكة الی ملاء منهم جلوس
فقل السلام علیکم ثم رجع الی ربه فقال ان هذه تحیتك وتحیة بینك بنیهم فقال له
ویداه مقبوضتان اختر ایهما شئت فقال اخترت یمین ربی وکلتا یدی ربی
یمین مبارکة ثم بسطها فاذا فیها آدم وذریته قال یارب ما هولاء قال هولاء
ذریتك فاذا کل انسان مکتوب عمره بین عینیه فاذا رجل اضوء هم

او مرا ضوء هم قال یارب من هذا قال هذا ابنك داؤد وقد كتبت له عمرا
اربعین سنة قال یارب زد فی عمره قال ذالك الذی كتبت له قال ای رب
فانی قد جعلت له من عمری ستین سنة قال انت وذاك قال ثم اسكن الجنة
ما شاء الله ثم اهبط منها وكان آدم یعد لنفسه فاتاه ملك الموت فقال له آدم
قد عجلت قد كتب لی الف سنة قال قد جعلت لابنك داؤد ستین سنة فجحد
فجحدت ذریته ونسی فنسیت ذریته قال فمن یومئذ امر بالكتاب والشهود
قال هذا حدیث حسن غریب من هذا الوجه وقد روی من غیر وجه عن ابی هریرة
فهذا صریح فی ان آدم لم یخلق فی دار البقاء التی لا یموت من دخلها وانما خلق
فی دار الفناء التی جعل الله لها ولسكانها اجلا معلوما فان قیل اذا كان
آدم قد علم ان له عمرا مقدرا واجلا ینتهی الیه وانه لیس من الخالدین فكیف
لم یعلم كذب ابلیس فی قوله هل ادلكم علی شجرة الخلد وفی قوله او تكونا من
الخالدین والجواب من وجهین احدهما ان الخلد لا یستلزم الدوام
والبقا بل هو المكث الطویل الثانی ان ابلیس لما حلف له وغره
واطمعه فی الخلو ونسی ما قدر له من العمر هذه الوجوه التی ذكرت لاثبات
ان جنة آدم غیر دار الخلد وكلها ضعیفة اما ضعف الوجه الاول فلان

دخول آدم فی دار الخلد لا یستلزم علمه بکونها دار الخلد ومن این لکم ان الله
قد علمه بجمیع صفاتها وآما ضعف الوجه الثانی فسیجیئ انشاء الله تعالی فی تزئیف
الوجه الثامن وآما ضعف الوجه الثالث فلما بینا ان ابلیس منع من الدخول
الی الجنت علی وجه التکرمة لا عن مطلق الدخول والصعود الی هناک صعودا
عارضا لتمام الابتلاء والامتحان الذی قدره الله تعا وقدر اسبابه وان لم یکن
المکان مقعدًا او مستقرا له کما کان وقد اخبر الله تعا عن الشیاطین انهم کانوا
قبل مبعث رسول الله صلی الله تعا علیه وسلم یقعدون من السماء مقاعد للسمع
فیستمعون الشیئ من الوحی وهذا صعود الی هناک ولکنه صعود عارض لا یستقرون
فی المکان الذی یصعدون الیه ولا تنافی بین هذا الصعود والامر بالهبوط
وکونه ملعونا فی قوله تعا اهبطوا بعضکم لبعض عدو وفی قوله ان علیک لعنتی
وآما ضعف الوجه الرابع فلان الهلاک یطلق علی معان آحدها العدام
بعد الوجود وثانیها خروج الشیئ من الانتفاع وثالثها افتراق الاجزاء او بمعنی
خروجها من الانتفاع ودوامها باعتبار بقی ذاتها فجاز ان تفتر وان تخرج
من الانتفاع لحظة ثم تعاد علی ما کانت وذلک کاف فی هلاکها
فتکون دائمة ذاتا هالکة صورة فی آن او نقول ان اکلها

دائم بدلاً ای کلما فنی منه شیٔ جیٔ ببدله فان دوام اکل بعینه غیر متصور

لانه اذا اکل فقد فنی وذلك ای دوام اکلها علی سبیل البدل لا ینافی هلاکه

اونقول ان المراد بهلاك کل شیٔ انه هالك فی حد ذاته لضعف الوجود الامکانی

فالتحق بالهالك المعدوم وأما ضعف الوجه الخامس فلان ذلك الدخول

ما کان جزاء عمل بل کان تکرماً وتفضلاً من الله کما جاء فی روایة اسحٰق

ابن بشیر وابن عساکر عن عطاء ثم قال له ربه یا آدم ادخل الجنة

تحیة وتکرما والسر فی ادخال الجنة قبل العمل انه لولم یدخل ولم یعاین

نعم الجنان یحتمل ان یختار العاجل الخسیس علی الآجل النفیس ویتبع

هواه ولا یجتهد فی رعایة ما کلف به فادخل الجنة اولا لیعرف نعیم الذی

اعدله عیانا فیکون الیه اشوق وعن فواته لسوء تدبیره اقلق وذلك

لان الانسان مجبول علی الاشتیاق الی ما عاینه من الخیرات وراغب فیه کل

الرغبة اذ لیس الخبر کالمعاینة وتقولکم انها دار جزاء وثواب لا دار تکلیف وقد

کلف الله تعالیٰ آدم بالنهی عن الاکل من تلك الشجرة بل کلف آدم علیه السلام اشد التکلیف

لان السکون فی موضع تحصیل فیه ما یکون مشتهی له مع منعه من تناوله اشد التکالیف

وایضا لیس دلیل خلق آدم فی الجنة بل فی الارض کما تدل علیه النصوص هما کان

دخوله فيها لاجل الخلود والدوام لان قوله اسكن انت يدل دلالة ظاهرة
على اخراجه لانه خلق لاجل الخلافة فكان اسكانه الجنة كالمقدمة على ذلك
ولان السكون لا يدل على التمليك كما يقول احد لغيره اسكنتك داري فلا يصير
الدار ملكا له بخلاف وهبتك داري فههنا لم يقل الله وهبت منك الجنة حتى
يدل على عدم الخروج وايضا قوله لا تقربا اشعار بالخروج من الجنة وان اسكانه
فيها لا يدوم لان المخلد الدائم لا يحظر عليه شيء ولا يؤمر ولا ينهى واما ضعف الوجه
السادس فلان احتجاجكم بكون آدم خلق في الارض لا ريب في ذلك لكن
من اين لكم انه كمل خلقه فيها وقد جاء في بعض الآثار ان الله تعالى القاه على
باب الجنة اربعين صباحا فجعل ابليس يطوف به ويقول لله ما خلقت
فلما رآه اجوف علم انه خلق لا يتمالك فقال لئن سلطت عليه لاهلكنه ولئن سلط
علي لاعصينه مع ان قوله تعالى وعلم آدم الاسماء الى قوله اعلم غيب السموات والارض
يدل على انه كان في السماء معهم حيث انبأهم بتلك الاسماء والا فهم لم ينزلوا
كلهم الى الارض حتى سمعوا منه ذلك ولو كان خلقه قد كمل لم يمتنع ان يصعد به
الى السماء ثم يهبط ... ثم يهبطان الى الارض فقد اصعد المسيح عليه السلام
الى السماء ثم ينزله الى الارض قبل يوم القيامة وقد اسرى ببدن رسول الله

صلى الله عليه وسلم وروحه فوق السموات واما ضعف الوجه السابع فلان
قولكم ان الله سبحانه اخبر بلسان جميع رسله ان جنت للخلد انما يقع الدخول فيها
يوم القيمة ولم يأت زمن دخولها بعد مسلم فى دخول الذى هو دخول استقرار ودوام
واما دخول العارض فيقع قبل يوم القيمة وقد دخل النبى عليه السلام الجنت
ليلة الاسراء وارواح المومنين والشهداء فى البرزخ فى الجنت وهو غير دخول الذى اخبر الله
به فى يوم القيمة فدخول الخلود انما يكون يوم القيمة لا الدخول العارض فالكلية
كاذبة والجزئية لا تثبت مدعى كم وبهذا ظهر الجواب عن استدلالكم بكونها دار المقام
ودار الخلد كما ذكرتم فى الوجه الثامن واما ضعف الوجه التاسع ايضا فلان ما ذكرتموه
فيه من وصول العرى والنصب والحزن لادم واستماعه اللغو والكذاب
وغيرها فهذا كله حق لا ينكره احد من اهل الاسلام ولكنا متناعه اذا دخلها
المؤمنون يوم القيمة كما يدل عليه سياق الايات كلها فان نفى ذلك مقرون
بدخول المؤمنين فهذا لا ينفى ان يكون فيها ما ذكر من وصول العرى وغيره لهم
ثم تصيير الامر عند دخول المؤمنين اياها الى ما اخبر الله تعالى عنه واما
قولكم انها دار جزاء وثواب لا دار تكليف وقد كلف الله تعالى ادم
بالنهى عن الاكل من الشجرة فدل ذلك على ان تلك الجنة دار تكليف

لا دار خلود فجوابه من وجهين احدهما انه انما يمتنع ان يكون دار تكليف
اذا دخلها المؤمنون يوم القيمة فحينئذ ينقطع التكليف واما وقوع التكليف
فيها في دار دنيا فلا دليل على امتناعه البتة كيف وقد ثبت عن النبي
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم انه قال دخلت البارحة الجنة فرايت
امرأة توضأت الى جانب قصر فقلت لمن انت الحديث وغير ممتنع ان
يكون فيها من يعمل بامر الله و يعبد الله قبل يوم القيمة بل هذا هو الواضح
فان من فيها الآن مامورون بامر من قبل ربهم لا يتعدونها سواء تسمى
ذلك تكليف او لم يسم الوجه الثاني ان التكليف فيها لم يكن بالاعمال
التي يكلف بها الناس في الدنيا من الصيام والصلوة والجهاد ونحوها وانما
كان حجرا عليهما في شجرة واحدة من جملة اشجارها وهذا القدر لا يمتنع وقوعه
في دار الخلد كما ان كل احد محجور عليه ان يقرب اهل غيره فيها فان اردتم بكونها
ليست دار تكليف امتناع وقوع مثل هذا فيها في وقت من الاوقات
فلا دليل عليه وان اردتم ان تكاليف الدنيا منتفية عنها فهو حق ولكن
لا يدل على مطلوبكم فظهر من هذا جواب الوجه الثاني والتاسع ايضا واما ضعف
الوجه العاشر فلان علم آدم عليه السلام باجله لا ينافي ادخاله جنت الخلد

واسكانه فيها مدة قليلة كما كان لنبينا عليه الصلوة والسلام ليلة الاسرا وقال
جمهور اصحابنا ان الجنت التي اسكن فيها آدم وحواء عليهما السلام هي
دار الخلد وهو الحق عندي بوجوه احدها ان قولنا هذا هو الذي فطر الله
عليه الناس صغيرهم وكبيرهم لا يخطر بقلوبهم سواه واكثرهم لا يعلم في ذلك
نزاعا أجيب عنه بان المسئلة سمعية لا تعرف الا باخبار الرسل ونحن
وانتم انما بلغنا هذا من القرآن لا من المعقول والفطرة فالمتبع فيه ما دل عليه
كتاب الله وسنة رسول الله ونحن نطالبكم بصاحب واحد او تابع او اثر
صحيح وحسن يصرح بانها جنت الخلد التي اعدها الله للمؤمنين بعينها ولن تجدوا
لذلك سبيلا وقد وجدنا كم من كلام السلف ما يدل على خلافه ولكن لما وردت
الجنت مطلقة في هذه القصة وافقت اسم الجنة التي اعدها الله لعباده
في اطلاقها وبعض وصافها ذهب كثير من الاوهام الى انها هي بعينها
فان اردتم بالفطرة هذا فليس بشي وان اردتم ان الله فطر الخلق على ذلك
كما فطر الخلق على حسن العدل وقبح الظلم وغير ذلك من الامور الفطرية فدعوى
باطلة لانا اذا رجعنا الى فطرتنا لم نجد بذلك كعلمها بوجوب الواجبات
واستحالة المستحيلات اقول هذا الجواب مردود باطل من اوله الى آخره

اما ابطلان قول المجيب بان المسئلة سمعية الى قوله ولن تجد والذلك سبيلا فلما اخرجه ابن ابي حاتم عن ابي العالية انه قال خلق الله آدم يوم الجمعة وادخله الجنت يوم الجمعة فجعله في جنات الفردوس انتهى وليس هذا الا التصريح بجنت الخلد لان جنات الفردوس ليست اسما وعلما لجنت من جنان الارض ولا لجنة في السماء سوى جنت الخلد بالاجماع بل لاعلى درجة منها لقوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا ولما روى عن النبي صلى الله تعالى عليه واله وسلم انه قال الجنت مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس اعلاها درجة ومنها الانهار الاربعة فاذا سئلتم الله الجنت فاسئلوه الفردوس فان فوقها عرش الرحمن ولما روى عن قتادة انه قال الفردوس وسط الجنت وافضلها ولما روى عن كعب انه قال ليس في الجنات اعلى من جنت الفردوس وفيها الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر واما بطلان قوله ولكن الى قوله هي بعينها فلانه اعترف بذهاب الاذهان الى ارادة دار الخلد من لفظة الجنت للاطلاق ولا شك في ان اللفظ اذا طلق مطلقا وتبادر الاذهان الى فهم معنى واحد منه بعينه يكون ذلك هو المراد للافظ الا اذا دلت القرينة على عدم ارادة اللافظ ذلك ولم نجد فيما نحن فيه قرينة عدم ارادة الله تعالى

من تلك الجنة دار الثواب بل انعقد الاجماع على ان ارادة الله من تلك الجنة هو دار الخلد والاجماع حجة من حجج الشرع وقدمنا انقا من تصريح رواية ابن ابي حاتم عن ابي العالية فقد ثبت بالاجماع والنص الصريح ان المراد من جنت آدم دار الخلد لا غيرها واما بطلان قوله فان اردتم الى آخره فلما اقول من تعيين مرادنا بالفطرة ان الله تعالى فطر الخلق على ذلك كما فطر الخلق على حسن العدل وقبح الظلم الا ان الامور الفطرية البديهية قد يقع فيها الخفاء بعدم الالف فلا يقدح عدم وجدان فطرة بعض المعتزلة والقدرية على ذلك كوجدان الفطرة بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات في كون ذلك من الفطريات فافهم وثانيا ما روى مسلم في صحيحه من حديث ابي مالك عن ابي حازم عن ابي هريرة وابي مالك عن ربعي عن حذيفة قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الله الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون يا ابانا استفتح لنا الجنة فيقول وهل اخرجكم من الجنة الا خطيئة ابيكم الحديث وهذا يدل على ان الجنة التي اخرج منها بعينها التي يطلب منه ان يستفتحها وفي الصحيحين من حديث احتجاج آدم وموسى وقول موسى اخرجتنا ونفسك من الجنة ولو كانت في الارض فهم قد خرجوا الى بساتين فلم يخرجوا

من الجنة وكذلك قول آدم للمؤمنين يوم القيامة وهل اخرجكم من الجنة الا خطيئة
ابيكم وخطيئة لم تخرج من حيثيات الدنيا والجواب عنه انا ما ذكرتم انما يدل على
تاخر آدم عن الاستفتاح للخطيئة التي تقدمت منه في دار الدنيا وانه بسبب
الخطيئة حصل له الخروج من الجنة فاين في هذا ما يدل على انها جنة المأوى
بالمطابقة او التضمن والالتزام وكذا قول موسى له اخرجتنا ونفسك
من الجنة فانه عليه السلام لم يقل له اخرجتنا من جنة الخلد وقولكم انهم خرجوا الى
بساتين من جنس الجنات التي في الارض واسم الجنة وان اطلق على تلك البساتين
لكن بينها وبين جنة آدم من التفاوت ما لا يعلمه الا الله وهي كالسجن بالنسبة
اليها واشتراكهما في كونهما في الارض لا ينفي تفاوتهما واعلم ان كل من
تامل في الحديث المذكور وله دخل في القواعد العلمية لحكم باليقين ان جنة
آدم بعينها الجنة المطلوبة منه استفتاحها لان لفظ الجنة معرف باللام
في القولين والقاعدة ان المعرفة اذا اعيدت معرفة يراد بالثانية عين
الاولى كما في قوله تعالى ان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وثالثها قال الله تعالى وقلنا اهبطوا
بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فهذا يدل على ان هبوطهم
كان من الجنة الى الارض من وجهين احدهما ان الهبوط نزول من علو

الى اسفل والثانى ان ذكر قوله ولكم فى الارض مستقر عقيب قوله
اهبطوا يدل على انهم لم يكونوا قبل ذلك فى الارض ثم اكد هذا بقوله فى سورة
الاعراف فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ولو كانت الجنة فى
الارض لكانت حيوتهم فيها قبل الاخراج وبعده واجيب بان استدلالكم بقوله تعالى
وقلنا اهبطوا عقيب اخراجهم من الجنة لا يكون مثبتا لمدعاكم لانه لا يستلزم
النزول من السماء الى الارض وغاية ان يدل على النزول من مكان
عال الى اسفل منه وهذا غير منكر فانها كانت جنة فى اعلى الارض فاهبطوا
منها الى الارض اسفل منها ومعلوم ان الامر لآدم وزوجته وعدوهما
فلو كانت الجنة فى السماء لما كان عدوهما متمكنا منها بعد اهباطه
الاول لما ابى السجود لآدم فالآية اذا من اظهر الحجج عليكم واما قوله تعالى
ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين فهذا ايضا لا يدل على انهم لم يكونوا قبل
ذلك فى الارض فان الارض اسم جنس وكانوا فى اعلاها واطيبها وافضلها فى
محل لا يدركهم فيه جوع ولا عرى ولا ظمأ ولا ضحى فاهبطوا الى الارض يعرض لهم
فيها ذلك كله وفيها حيوتهم وموتهم وخروجهم من القبور فالجنة التى اسكنوها
لم يكن دار الطيب لا تعب ولا اذى والارض التى اهبطوا اليها هى محل التعب

والنصب والاذى وانواع المكاره أقول ان هذا الجواب وان كان يتمشى
عند المخالفين لكنه ليس بشئ فى الواقع لان المسئلة شرعية كما هو مسلم
عند الفريقين ولم نجد فى الكتاب ولا فى السنة ولا فى الآثار تصريحا
على ان تلك الجنة كانت فى مكان عال من الارض واما عدم تمكن ابليس
من الصعود الى السماء والدخول الى الجنة مطلقا فليس عليه دليل بل قد ثبت
بنص الكتاب صعود الشياطين الى السماء لاستراق السمع قبل مبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم نعم منع ابليس من الدخول فى الجنة على وجه التكرمة وهو لا يفيد
المجيب فائدة ما ومن العجب انه قد وصف الله تعالى جنة آدم بصفات لا تكون الا
فى جنة الخلد فقال تعالى ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها
ولا تضحى وهذا لا يكون فى الدنيا اصلا فان الرجل ولو كان فى اطيب منازلها
فلا بد ان يعرض له شئ من ذلك وقابل سبحانه تعالى بين الجوع والعرى والظمأ
والضحى وذلك احسن من المقابلة بين الجوع والعطش والعرى والضحى فان الجوع
ذل الباطن والعرى ذل الظاهر والظمأ حر الباطن والضحى حر الظاهر فينفى
عن ساكنها ذل الظاهر والباطن وحر الظاهر والباطن وهذا شان ساكن
جنة الخلد واجيب بان تلك الصفات لا تكون فى الارض التى اهبطوا اليها

فمن اين لكم انها لا تكون فى الارض التى اهبطوا منها اقول هذا الجواب
مردود بما ذكرت فى رد الجواب الثالث وايضا لا بد فى اثبات هذا الفرق
من دليل ولم يوجد ومجرد الاحتمال لا يكفى وخامسها انه لو كانت تلك الجنة
فى الدنيا ليعلم آدم كذب ابليس فى قوله هل ادلكم على شجرة الخلد وملك لا يبلى
فان آدم كان يعلم ان الدنيا منقضية فانية وان ملكها يبلى واجيب عنه
بوجهين احدهما ان اللفظ انما يدل على الخلد وهو اعم من الدوام الذى لا انقطاع
له فانه فى اللغة المكث الطويل ومنه قولهم رجل مخلد اذا اسن وكبر ونظيره
اطلاقهم القديم على ما تقادم عهده وان كان له اول كما قال الله تعالى كالعرجون القديم
وثانيهما ان العلم بانقطاع الدنيا ومجئ الاخرة انما يحصل بالوحى ولم يتقدم
آدم بنبوة يعلم بها ذلك وهى وان نبأه الله واوحى اليه وانزل عليه صحفا
لكن كان ذلك بعد اهباطه الى الارض قال الله تعالى اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم
منى هدى الآية اقول وبالله التوفيق ان هذا الجواب ايضا مردود بوجوه اما الوجه
الاول فان الخلود وان كان فى اللغة عبارة عن المكث الطويل مطلقا لكن المراد
ههنا الدوام الذى لا انقطاع له لانه هو الفرد الكامل منه ولاقتضاء المقام
لان آدم عليه السلام لو فهم من قول ابليس المكث الطويل فقط لا الدوام الذى لا انقطاع

لما اغتر بقوله كما هو عند الخصم اذ يبعد من العاقل العمل بقول العدو لفائدة قليلة ترجع الى العدم اذ متاع الدنيا قليل كما قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل وبهذا الاعتبار اختار موسى عليه السلام الموت بعد تخيره في الحياة طويلة كما لا يخفى مع انه لم يكن فيه غرور بقول العدو فلما اغتر آدم عليه السلام بقول ابليس في الطمع في الخلد كما هو عندكم علم انه فهم من الخلد المكث المقيد بقيد عدم الانقطاع وذلك لا يتصور في الدنيا بل ذلك شان جنة المأوى واما الوجه الثاني فلان العلم بانقطاع الدنيا ومجئ الآخرة كما يعلم بالوحي والنبوة يعلم بكمال العقل ايضا ولهذا ذهبت المعتزلة الى ان المراد بالرسول في قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا العقل لانه هو المميز والحكماء قائلون بانقضاء هذه الدار ووجود الحشر مع عدم قولهم بالسمعيات وعلمهم بالشرعيات ولا شك ان آدم عليه السلام كان كامل العقل وعالما بأجله وفنائه وآجال الناس فاذا كان كذلك فلا بد ان يعتقد انقضاء الدنيا لانه عليه السلام والدنيا باسرها سيان في الامكان والوجود الظلي والعقل حاكم بان ما يجوز على فرد واحد من افراد الطبيعة من حيث الطبيعة يجوز على سائرها فلما كان عليه السلام عالما بفنائه وفناء سائر الناس كما ذكر كيف كان معتقد العدم انقضاء الدنيا

ثم علمه بانقضاء الدنيا لا يتصور منه الطمع فی خلود نفسه الا فی دار الثواب
تامل فانه دقیق وسادسها ان الالف واللام فی لفظة الجنة فی قوله تعالی اسکن انت
وزوجک الجنة لا یفیدان العموم لان سکون جمیع الجنان محال فلا بد من
صرفها الی المعہود السابق والجنة التی هی المعہودة المعلومة بین المسلمین
هی جنة الخلد فوجب صرف اللفظ الیها اجیب عن هذا بان الالف واللام
اذا دخل علی لفظ الجنة لا یدلان علی جنة الخلد فلا یلزم ان المراد بالجنة
فی قوله تعالی انا بلوناهم کما بلونا اصحاب الجنة ایضا جنة الخلد وکلام
المبین کذلک اقول لفظ الجنة معرفا باللام یدل علی جنة الخلد اذا لم یکن
السیاق دالا علی ارادة غیرها ففی قوله تعالی انا بلوناهم کما بلونا اصحاب الجنة
یدل السیاق وهو قوله اذ اقسموا لیصرمنها الآیة علی ارادة غیر جنة الخلد بخلاف
جنة آدم وسابعها ما روی عن ابی موسی الاشعری رضی الله عنه ان الله تعالی
لما اخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلمه صنعة کل شیٔ فثمارکم هذه
من ثمار الجنة غیر ان هذه تتغیر وتلک لا تتغیر اجیب بان هذا الاثر لا زیادة
فیه علی ما دل علیه القرآن لان زوده منها وهذا لا یقتضی ان تکون جنة الخلد
ونحن اين لکم ان الجنة التی اسکنها آدم کان التغیر یعرض لثمارها کما

بعض هذه الثمار وقد ابقى الله فى هذا العالم طعام عزير وشرابه مائة سنة لم يتغير
اقول هذا الجواب مردود بانه لما سلم المجيب كون الاثر دالا على ما دل عليه
القران وقد ظهر مما سبق من الادلة ان الجنة المذكورة فى القران فى قوله تعالى
واسكن انت وزوجك الجنة هو دار الخلد لزم ان تكون الجنة المذكورة
فى الاثر ايضا دار الخلد وهو المدعى والمطلوب وايضا لا نفهم ماذا اراد المجيب
بقوله وهذا ين لكم الخزان اراد بعدم التغير المفهوم من قوله المذكور عدم تغير فى
وقت من الاوقات كما هو المتبادر من ظاهر العبارة لانه يصدق على الجنة
المذكورة انها حادثة وكل حادث متغير فى وقت من الاوقات فينتج من القياسين
المذكورين الجنة المذكورة متغيرة فى وقت من الاوقات وايضا لا يكون المثال
حينئذ مطابقا للممثل له وان اراد بعدم التغير المفهوم منه عدم تغيرها الى وقت
معين مثلا الى مائة سنة او الف فلا يدل الاثر عليه او الى وقت ما فثمارهما
ايضا كذلك فكيف يصح المقابلة بان هذه تغيرت وتلك لا تغير وتمامها انه تعالى
قد ضمن لادم ان تاب ليرد تاب ان يعيده اليها كما فى رواية ابن عباس رضى الله
عنهما فى قوله فتلقى ادم الخ قال يا رب الم تخلقنى بيدك قال بلى قال اى رب
الم تنفخ فى من روحك قال بلى قال اى رب الم تسكنى جنتك قال بلى قال

اى رب لم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ارئيت ان تبت واصلحت
اراجعى انت الى الجنة قال بلى اجيب بان ضمانه تعالى لآدم العود الى الجنة لبشرط
التوبة لاشك فيه ولكن من اين يعلم ان الضمان انما يتناول عوده الى تلك الجنة
بعينها بل اذا اعاده الى جنة الخلد فقد وفى سبحانه ضمانه حق الوفاء ولفظ العود
لا يستلزم الرجوع الى عين الحالة الاولى ولا زمانا ومكانا ولا الى
نظيرها كما فى قوله تعالى وما يكون لنا ان نعود فيها اقول المتبادر من العود
رجوع الشئ الى الحالة الاولى مما يناسبه واما العود فى قوله تعالى وما يكون لنا
ان نعود فيها وفى قوله او لتعودن فى ملتنا بمعنى الصيرورة مجازا من قبيل اطلاق
الملزوم على اللازم وان سلم ان العود لا يستلزم الرجوع الى الحالة الاولى كما زعمه
المجيب فاقول ايضا ان الرجوع الموعود لآدم عليه السلام هو الرجوع الى الجنة
التى اخرج منها لانه عليه السلام قال اولا اى رب لم تسكنى جنتك ثم قال ان تبت
واصلحت اراجعى انت الى الجنة قال بلى انى اعيدك اليها بهذا الشرط فالالف
واللام فى قول آدم الى الجنة لا تخلو اما ان تكونا للجنس او للاستغراق او للعهد
لا جائز ان تكونا للجنس لاجماع ولا للاستغراق لعدم وقوعه بل لعدم تصوره فلابد
من ان تكونا للعهد والمعهود المذكور هى التى اسكن فيها ثم اخرج منها فعلم بالضرورة

انه تعالى ضمن عوده الى الجنة المخرج منها فلو كانت هي جنة من جنان الارض لوجب دخول آدم عليه السلام فيها ثانيا بعد الاخراج لا نجاز الوعد ولم ينقل بسند ا احد من الناس فلا بد من دخوله فيها يوم القيمة ولا يتصور ذلك الا في جنة الخلد كما هو مسلم عند الفريقين فكان اخراجه بعد اسكانه ايضا منها وهو المقصود وعندي دلائل اخرى تدل على اثبات مدعانا وبطلان مدعى الخصم وقد سنحت لي اثناء التاليف اولها هو ان جنة آدم عليه السلام لو كانت في الارض كما زعم ضمار ها لا تخلو لعا ان تكون فانية بعد خروجه عليه السلام منها او باقية اما الاول اي كونها فانية بالسرعة بعد خروجه منها باطل للاثر المذكور لابي موسى الاشعري فانه دال على عدم تغيرها وفنائها واما الثاني وهو كونها باقية على الارض الى زماننا هذا ايضا باطل والا لزم ان تكون لانتفاعنا لقوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا لانه دال على ان جميع ما في الارض فهو لانتفاعنا والجنة المذكورة ايضا مما في الارض فتكون لانتفاعنا ولم يثبت ان واحدا من اولاد آدم عليه السلام انتفع بتلك الجنة فيصدق على تلك الجنة وثمارها خصوصا على شجرة المنهي عنها وامثالها من نوعها انها ما خلق لاجل منافعنا بل خلق بعضها لا ضرار بنيا وبعضها مهملة وهذا ينافي صدق القضية الموجبة الكلية المفهومة

من قوله خلق لكم ما فى الارض جميعا فثبت من هذا ان جنت آدم عليه السلام
ما كانت فى الارض بل كانت هى جنت الماوى وثانيها ان قوله تعالى اذ قال ربك
للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حمأ مسنون فاذا سويته ونفخت
فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى ان
يكون مع الساجدين قال يا ابليس ما منعك ان لا تكون من الساجدين قال
لم اكن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم
وان عليك اللعنة الى يوم الدين يدل دلالة ظاهرة على ان آدم عليه السلام
كان فى جنت الخلد لان ظاهر الآية يدل على انه تعالى كما نفخ الروح فى آدم عليه السلام
وجب على الملائكة ان يسجدوا له لان قوله فاذا سويته ونفخت فيه من
روحى فقعوا له ساجدين مذكور بفاء التعقيب وذلك يمنع من التراخى وقوله
فسجد الملائكة كلهم اجمعون توكيد بعد توكيد ولو اكتفى بقوله فسجد الملائكة
احتمل ان يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم زال هذا الاحتمال فظهر انهم باسرهم سجدوا
ثم بعد هذا بقى احتمال آخر وهو انهم سجدوا دفعة واحدة ولما ثبت نزولهم الى الارض
بتمامهم ثبت كون آدم عليه السلام فى السماء وقت السجود له ولا يجوز ان يكون
آدم فى الارض ويسجد له الملائكة فى السماوات وفوقها لان السجود لا يجوز

فی موضع لا یکون المسجود له فیه موجودا کما یفهم من قوله تعالی فاینما تولوا فثم وجه الله

وایضا قوله تعالی یا ابلیس ما منعك ان تکون مع الساجدین مع جواب ابلیس

بقوله لم اکن لاسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون وامر الله تعالی الیه

بقوله فاخرج منها فانك رجیم مشعر بان ابلیس ابی من السجود الی ادم حال کونه فی

جنت الخلد لان الضمیر فی قوله فاخرج منها راجع الی دار الخلد مکما ابی ابلیس

من السجود قال له یا ابلیس ما منعك فبعد جواب ابلیس بقوله لم اکن لاسجد لبشر

خلقته من صلصال من حمأ مسنون قال الله تعالی له فاخرج منها فانك رجیم فاذا

ثبت کون ابلیس فی جنت الخلد وقت الاباء عن السجود لابد ان تکون ادم علیه السلام

ایضا فیه لما ذکرنا وقال الثها ان ما مر فی محاجة آدم وموسی علیهما السلام من قول

موسی لآدم واسکنك فی جنة یدل علی ان جنت آدم هی دار الخلد لان اضافة

الجنت الی الضمیر الراجع الی الله تعالی للاختصاص فمعنی قول موسی اسکنك الله تعالی جنت

المختصة له تعالی وانعقد الاجماع باختصاص جنت الخلد لله تعالی فعلم

من هذا ان ادم کان ساکنا فی دار الخلد ثم اخرج منها وهو المطلوب ومن هھنا

علم ان قول المخالف ابعد من العقل واغرق فی الوهم کالهذیانات والخرافات

التی تناقلها المعتبرون مثل قولهم بانه کان لعاد ابنان شداد

وشديد فملكا بعده وقهر البلاد والعباد فمات شديد وخلص الملك لشداد
فملك الدنيا ودانت له ملوكها وكان يحب قراءة الكتب القديمة فسمع بذكر
الجنة وصفتها فدعت نفسه الى بناء مثلها عتوا على الله وتجبرا روى وهب بن
منبه عن عبد الله بن قلابة انه خرج فى طلب ابل له شردت فبينما هو يسير
فى صحارى عدن اذ وقع على مدينة فى تلك الفلوات عليها حصن وحول الحصن
قصور كثيرة فلما دنا منها ظن ان فيها احدا يسأله عن ابله فلم ير خارجا ولا داخلا
فنزل عن دابته وعقلها وسل سيفه ودخل من الباب فاذا هو ببابين عظيمين
وهما مرصعان بالياقوت الاحمر فلما راى ذلك دهش ففتح الباب ودخل فاذا
هو بمدينة لم ير احد مثلها واذا فيها قصور فى كل قصر منها غرف وفوق الغرف
غرف مبنية بالذهب والفضة واحجار اللؤلؤ والياقوت واذا ابواب تلك
القصور مثل مصاريع باب المدينة يقابل بعضها بعضا وهى مفروشة كلها باللؤلؤ
وبنادق المسك والزعفران فلما عاين ذلك ولم ير احدا هاله ذلك ثم نظر الى
الازقة فاذا فى تلك الازقة اشجار مثمرة وتحت تلك الاشجار انهار مطردة يجرى
ماؤها فى قنوات من فضة فقال الرجل فى نفسه هذه الجنة وحمل معه من لؤلؤ
ترابها ومن بنادق مسكها وزعفرانها ورجع الى اليمن واظهر ما كان معه

وحدث بما راى فبلغ ذلك معاوية فارسل اليه فقدم عليه فسأله عن ذلك
فقص عليه ما راى فارسل معاوية الى كعب الاحبار فلما اتاه قال له يا ابا اسحق
هل فى الدنيا مدينة من ذهب وفضة قال نعم هى ارم ذات العماد بناها شداد
ابن عاد قال محمد ثنى محدثها فقال لما اراد شداد بن عاد عملها امر عليها مائة
قهرمان مع كل قهرمان الف من الاعوان وكتب الى ملوك الارض ان يمدوهم
بما فى بلادهم من الجواهر فخرجت القهارمة يسيرون فى الارض ليجدوا ارضا
موافقة فوقفوا على صحراء نقية من التلال واذا فيها عيون ماء ومروج فقالوا
هذه الارض التى امر الملك ان نبنى فيها فوضعوا اساسها الجزع اليمانى
واقاموا فى بنائها ثلثمائة سنة وكان عمر شداد تسعمائة سنة فلما اتوه وقد
فرغوا منها قال انطلقوا فاجعلوا حصنا يعنى سورا واجعلوا حوله الف قصر وعند
كل قصر الف علم ليكون فى كل قصر وزير من وزرائى ففعلوا وامر الملك وزرائه
وهم الف وزير ان يتهيئوا للنقلة الى ارم ذات العماد وكان الملك واهله
فى جهازهم عشر سنين ثم ساروا اليها فلما كانوا من المدينة على مسيرة يوم وليلة
بعث الله عليه وعلى من كان معه صيحة من السماء فاهلكتهم جميعا ولم يبق منهم
احد اخر قال كعب وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك احمر اشقر قصير على

حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج في طلب ابل له ثم التفت فابصر عبد الله بن قلابة
فقال هذا والله ذلك الرجل انتهى فهؤلاء لم ينظروا الى ان هذه المدينة لم يسمع
لها خبر من يومئذ في شيء من بقاع الارض وصحاري عدن التي زعموا انها بنيت
فيها في وسط اليمن وما زال عمرانه متعاقبا ولم ينقل عن هذه المدينة خبر ولا ذكرها
احد من الاخباريين ولا من كلامهم وايضا يفهم من كلامهم انها موجودة الى الآن
فيرد عليهم بعض ما يرد على ابي مسلم واتباعه وقول القصاص ان ابليس دخل الجنة
في فم الحية لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه لما اراد ابليس ان يدخل
الجنة منعته الخزنة فاتى الحية وهي دابة لها اربع قوائم كانها البختية
وهي كاحسن الدواب بعد ما عرض نفسه على سائر الحيوانات فما قبله واحد منها
فابتلعته الحية وادخلته الجنة خفية من الخزنة فلما دخلت الحية الجنة خرج
ابليس من فمها واشتغل بالوسوسة فلا جرم لعنت الحية وسقطت قوائمها وصارت
تمشي على بطنها وجعل رزقها في التراب وعدو لبني آدم ان هذا وامثاله
مما لا يجب ان يلتفت اليه لان ابليس لو قدر على الدخول في فم الحية فلم يقدر
على ان يجعل نفسه حية ثم يدخل الجنة ولانه لما فعل ذلك بالحية فلم عوقبت الحية
مع انها ليست بعاقلة ولا مكلفة فافهم فانه موضع تامل واما كيفية الوسوسة

بان ابليس لما دخل الجنة قال لآدم وحواء عليهما السلام ما نهكما ربكما عن هذه الشجرة
الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين فلم يقبلا ذلك منه فلما ايس من ذلك
عدل الى اليمين على ما قال وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين فلم نصيد قاله
ايضا ثم بعد ذلك عدل الى شئ آخر وهو انه شغلهما باستيفاء اللذات المباحة
حتى صارا مستغرقين فيه فحصل بسبب استغراقهما فيه نسيان النهي فعند ذلك حصل
ما حصل والله اعلم بحقائق الامور

الفصل الثاني في شان انبيا نوح عليه السلام

اعلم ان الطاعنين في عصمة الانبياء تمسكوا على عدم عصمته بامور احدها قوله
تعالى قال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك
ولا يلدوا الا فاجرا كفارا رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين
والمؤمنات الآية بان هذه الآية تدل على صدور الذنب عنه عليه السلام من وجوه
اولها انه دعا على قومه باهلاك كلهم وفيه استيصال واهلاك نسلهم وهو فعل
منكر وفساد عظيم كما في الخبر لما خلق الله تعالى اسباب المعيشة جعل البركة في الحرث
والنسل فاهلاكها غاية الافساد انتهى مع احتمال ان يولد منهم من يؤمن
بالله والمرتكب للفعل المنكر مذنب وثانيها ان الباعث على دعائه عليهم تخليص
نفسه عن ايذائهم ودفع غضبه بالاهلاك وفيه اتباع النفس واتباع النفس حرام

والمرتكب للحرام مذنب وثالثها انه عليه السلام لم يصبر على اذى القوم مع
ان الصبر واجب على الانبياء وتارك الواجب مذنب ورابعها انه استغفر
عقيب الدعاء كما قال رب اغفرلي ولوالدي والمستغفر مخبر عن كونه فاعلا للذنب
فان كذب في ذلك الاخبار فهو مذنب بالكذب وان صدق فيه فهو المطلوب
انه مذنب فعلى كلا التقديرين لا يخلو عن الذنب وخامسها انه حكم على الله
فيما لم يعرفه كما قال ولا يلدوا الا فاجرا كفارا والحكم على الله من غير علم ذنب
والجواب عن تمسكهم اما عن الوجه الاول فان نوح عليه السلام عرف بالنص
والاستقراء انهم لا يلدوا الا فاجرا كفارا اما النص فقوله تعالى واوحي الى
نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واما الاستقراء
فهو انه لبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما فعرف طبايعهم وجربهم وكان
الرجل منهم ينطلق بابنه اليه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان ابي اوصاني
بمثل هذه الوصية فيموت الكبير وينشاء الصغير على ذلك علم قطعا ويقينا
ان الخير كله مقطوع عنهم لا يطمع في ايمانهم اصلا فحياتهم مفسدة محضة لا فائدة
فيها فالاولى هلاكهم لتتخلص الارض عن الفساد وليكون الدين كله لله فلاجل
هذا دعا عليهم بالهلاك واستيصال النسل وهو لا يكون فسادا وعدوانا منه

مطلقا بل اذا كان لا لغرض صحيح ودعائه عليهم رحمة بهم خوفا ان يشتد عليهم
غضب الله عز وجل اكثر مما كانوا فيه ولذا امرنا نبينا صلى الله عليه وسلم ان
يقول احدنا اذا فات من وقوعه فى فتنة اللهم توفنى اذا كان الوفات خيرا لى
فعلم ان دعائه عليهم لم يكن لاجل اتباع النفس حاشا الانبياء عن ذلك وكما ذكرنا
ظهر الجواب عن الوجه الثانى والخامس ايضا كما قال الشيخ محى الدين قدس سره
من قوله ليست دعوة نوح التى يعتذر منها يوم القيمة قوله لا تذر على الارض
من الكافرين ديارا انما هو قوله انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا
كفارا لكونه تحكم على الله فيما لم يعرفه لا يليق بعلو شانه تامل فان قيل لما كان
دعائه عليهم بالوحى فما الفائدة فى اخباره عند علام الغيوب بقوله انك
ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قلت الاخبار اظهار
الشكوى اليه تعالى كما قال الله تعالى حكاية عن ام مريم رب انى وضعتها انثى
اظهارا للتحسر فان قيل ان المكلفين من قومه كفار فكذبوه وحزنوه واذوا
بانواع الايذاء فهم مصرف العقاب والعذاب واما صبيانهم فلا جرم عليهم فلا
عذبوا مع عدم صدور الذنب منهم قلت فى الجواب ما على قول من قال ان الله
يبيس اصلاب رجالهم واعقم ارحام نسائهم قبل الطوفان باربعين سنة او سبعين

سنة فلا اشكال لعدم وجود الصبيان فيهم ويؤيد هذا قوله تعالى واستغفروا ربهم الى قوله ويمددكم باموال وبنين فانه يدل بحسب المفهوم على انهم اذا لم يستغفروا فانه تعالى لا يمدهم بالبنين واما على قول من قال بوجود الصبيان فيهم كما هو فالاشكال وارد فجوابه ان صبيانهم لم يغرقوا على وجه العقاب والعذاب بل كما يموتون بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة فى تعذيب الاباء والامهات اذا ابصروا اطفالهم يغرقون والجواب الشافى عن هذا ان الله سبحانه وتعالى متصرف فى خلقه وهو المالك المطلق يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون واما الجواب عن الوجه الثالث فانا لا نسلم عدم صبر نوح عليه السلام بل هو صابر كما قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم اصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل ولا شك ان نوحا عليه السلام اول رسول من اولى العزم لان قومه اذوه بانواع الايذاء من الضرب والتكذيب ونسبة الجنون اليه من اول البعثة الى وقت الطى فان كما روى ان الله تعالى ارسل نوحا الى قومه فجاءهم يوم عيد لهم وكانوا يعبدون الاصنام ويشربون الخمور ويواقعون النساء كالبهائم من غير ستر فناداهم بصوت عال ودعاهم الى التوحيد ففزعوا ثم نسبوه الى الجنون وضربوه انتهى وقال الله تعالى فقال الملاء الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا الاية

وروى عن النبي عليه السلام انه قال ان نوحا كان اذا جادل قومه ضربوه حتى
يغشى عليه فاذا افاق قال اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون انتهى وقد ثبت كثرة
مجادلته مع قومه كما قال الله تعالى قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا الاية وقال ابن
عباس رضي الله عنهما بعث نوح على راس اربعين من عمره ولبث يدعوا قومه تسعمائة
وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة وكان عمره الفا وخمسين انتهى
فعلم بما سمعت انه عليه السلام جادل مع قومه من وقت البعثة الى وقت الطوفان وهم اذوه
بانواع الايذاء وهو صبر على ذلك في تلك المدة الطويلة فانظر الى انه اي نبي
من الانبياء قد صبر على ايذاء قومه الف سنة الا خمسين عاما سواه ولما
اوحى اليه انه لن يومن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون
اي لا تحزن حزن بائس مستكين ولا تغتم بما يتعاطون من التكذيب والايذاء
في هذه المدة الطويلة فقد انتهى افعالهم وحان وقت الانتقام منهم جود من الله
ايماء الى ان يدعو عليهم بالاهلاك ولا فالانبياء كلهم صابرون حاملون
للايذاء كما في المثنوى ؎ ناحمولى انبيا را امر دان ٭ ورنه حمال است
بد را حلم شان ٭ طبع را كشتند در حمل بدى ٭ ناحمولى كر بود هست ايزدى ٭
واما الجواب عن الوجه الرابع فهو انه عليه السلام استغفر للمومنين والمومنات

الا انه ادخل نفسه معهم فى الاستغفار تبركا كما قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله
عليه وسلم استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات مع انه قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
وثانيهما اى ثانى الامرين قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب ان ابنى من اهلى
وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل
غير صالح فلا تسئلن ما ليس لك به علم انى اعظك ان تكون من الجاهلين قال رب
انى اعوذ بك ان اسئلك ما ليس لى به علم والا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين
بان هذه الآية انه تدل على صدور الذنب عن نوح عليه السلام من وجوه الاول
ان قرأت عمل بالرفع والتنوين قرأة متواترة فهى محكمة وهذا يقتضى عود الضمير
فى قوله انه عمل غير صالح اما الى ابن نوح واما الى ذلك السوال فالقول بانه عائد الى
ابن نوح عليه السلام لا ينتظم الا باضمار وهو خلاف الظاهر ولا يجوز المصير اليه الا عند
الضرورة ولا ضرورة ههنا لانا اذا حكمنا بعود الضمير الى السوال المتقدم فقد استغنينا
عن هذا المصير فثبت ان هذا الضمير عائد الى هذا السوال فكان التقدير ان هذا السوال
عمل غير صالح اى قولك ان ابنى من اهلى لطلب نجاته عمل غير صالح وذلك يدل
على ان هذا السوال كان ذنبا ومعصية الثانى ان قوله فلا تسئلن نهى له عن السوال
والمذكور السابق هو قوله ان ابنى من اهلى فدل هذا على انه تعالى نهاه عن ذلك

السوال فكان ذلك السوال ذنبا ومعصية الثالث ان قوله فلا تسئلن ما ليس
لك به علم يدل على ان ذلك السؤال كان قد صدر لا عن العلم والقول بغير العلم
ذنب لقوله وان تقولوا على الله ما لا تعلمون الرابع ان قوله تعالى انى اعظك
ان تكون من الجاهلين يدل على ان ذلك السوال كان محض الجهل وهذا يدل
على غاية التقريع ونهاية الزجر وايضا جعل الجهل كناية عن الذنب مشهور فى القران
قال تعالى يعملون السوء بجهالة وقال الله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام اعوذ
بالله ان اكون من الجاهلين الوجه الخامس ان نوحا عليه السلام اعترف باقدامه
على الذنب والمعصية فى هذا المقام فانه قال انى اعوذ بك ان اسئلك ما ليس
لى به علم والا تغفر لى وترحمنى اكن من الخاسرين واعترافه بذلك يدل
على انه كان مذنبا الوجه السادس ان هذه الاية تدل على ان نوحا نادى ربه
لطلب تخليص ولده من الغرق والاية المتقدمة فى القران وهى قوله ونادى
نوح ابنه وقال يا بنى اركب معنا تدل على انه عليه السلام طلب ابنه لموافقته
فنقول اما ان يقال ان طلب هذا المعنى من الله كان سابقا على طلبه الموافقة
من الولد او كان بالعكس والاول باطل لان بتقدير ان يكون طلب هذا المعنى
من الله سابقا على طلبه من الدين لكان قد سمع من الله تعالى انه لا يخلص ذلك

الا بن من الغرق وانه تعالى نهاه عن ذلك الطلب وبعد هذا كيف قال له يا بني
اركب معنا ولا تكن مع الكافرين واما ان قلنا ان هذا الطلب من كان الابن كان
متعذرا فكان قد سمع من الابن قوله سآوي الى جبل يعصمني من الماء وظهر بذلك
كفره فكيف طلب من الله تخليصه فهذه الآية من الوجوه الستة تدل على صدور الذنب
والمعصية من نوح عليه السلام والجواب على وجه الاجمال انه لما دلت الدلائل الكثيرة
على وجوب تنزيه الله تعالى الانبياء عليهم السلام من المعاصي والذنوب وجب حمل هذه الوجوه
المذكورة على ترك الافضل والاكمل وحسنات الابرار سيئات المقربين فبهذا السبب
حصل هذا العتاب والامر بالاستغفار ولا يدل على سابقية الذنب كما قال الله تعالى
اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد
ربك واستغفره انه كان توابا ومعلوم ان مجيء النصر والفتح ودخول الناس في دين الله
افواجا ليست بذنب يوجب الاستغفار وقال الله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات وليس جميعهم مذنبين فدل ذلك على ان الاستغفار قد يكون بترك
الافضل واما على وجه التفصيل فاقول اما اولا فلان العمل ههنا بمعنى الكسب
والفعل ولا يبعد ان يكون المعنى انه كسب غير صالح من غير اختيار الى تقدير
مضاف وقد ورد في الحديث تسمية الولد كسبا كما قال عليه السلام ان اطيب

ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه واما ثانيا فلان الضمير في قوله تعالى
انه عمل غير صالح راجع الى ابن نوح عليه السلام فجعل ذاته ذات العمل لان الرجل
اذا اكثر عمله وكرمه يقال انه عمل وكرم مبالغة وقد كثر في كلام العرب اطلاق
العمل على الشيء ومنه قول الخنساء اخت صخر تصف ناقة فقدت ولدها بنحر او موت
او بدسه نزعى اذا غفلت حتى اذا ادكرت × فانما هى اقبال وادبار × وعلى
كلا الوجهين لا حاجة الى الاضمار وقد اعجبني حماقة فرقة الطاعنة الطاغية
انهم يفرون ويهربون من الاضمار ويلهمون خلاف الظاهر مع كثرت وقوعه
في كلام الله وكلام العرب ولا يبالون عن انتساب الذنوب الى الانبياء
عليهم السلام مع كثرة الدلائل القطعية والبراهين اليقينية على عصمته
كما مر في الباب الاول عافانا الله عن هذه العقيدة الشنيعة وامثالها واما
قوله ولا يجوز المصير اليه الا عند الضرورة ولا ضرورة ههنا فغير صحيح ايضا لوجود الضرورة
الايمانية كما يقتضيه الايمان الكامل لا عند من ليس له نصيب من الايمان
واعلم انه تعالى قد وعد نوحا عليه السلام بان ينجيه واهله فاخذ نوح عليه السلام
لظاهر اللفظ واتبع التاويل بمقتضى هذا الظاهر ولم يعلم ما غاب عنه ولم يشك
في وعد الله تعالى فاقدم على هذا السؤال لهذا السبب لا لاولى لما ان يسكت لانه تعالى

استثنى من اهله من سبق عليه القول فقد دل له على الحال واستغناه عن السؤال
لان الاستثناء دال على ان فى اهله من هو غير ناج ولكنه لما شارف ولده الغرق
اشتبه عليه الامر واختلج فى قلبه ان ابنه من المستثنى منهم لا من المستثنين
بسبب نفاق ولده وعدم ظهور الكفر عنه او بسبب الشفقة المفرطة التى تكون للاب
فى حق الابن فاقدم على السؤال فنهاه الله تعالى عنه واخبره بان ابنه منافق
ليس من اهل دينه الذين وعد بنجاتهم لكفره وعمله الذى هو غير صالح
واعلمه الله بانه مغرق مع الذين ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم ولا يقضى على نوح
عليه السلام معصية سوى ما ذكرناه من تاويله واقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن
له فيه ولا نهى عنه فالزلة الصادرة عن نوح عليه السلام هى عدم استقصائه فى
تعرف ما يدل على نفاق ابنه وكفره بل اجتهد فى ذلك وكان يظن انه مؤمن
مع ان الخطاء فى ذلك الاجتهاد لانه كان كافرا فلم يصدر عنه الا الخطاء فى
هذا الاجتهاد وهو ليس بذنب الا انه لما كانت حسنات الابرار سيأت المقربين
عاتبه الله تعالى على سواله ما ليس له به علم وسمى سواله جهلا وزجره بقوله انى اعظك
ان تكون من الجاهلين فاشفق من اقدامه على السؤال المذكور وخاف من ذلك
الهلاك فلجأ الى ربه عز وجل وخشع له وعاذ به وسئله المغفرة والرحمة

فقال رب اني اعوذ بك ان اسألك ما ليس لي به علم وان لا تغفر لي وترحمني اكن من الخاسرين لما ذكرنا من ان حسنات الابرار سيئات المقربين وجاز ان يكون طلب هذا المعنى من الله بعد طلبه من الابن وتعلل امتناعه قوله سآوي الى جبل يعصمني من الماء ولا يدل هذا القول على كفر ابنه لجواز ان يكون امتناعه من الدخول لكراهة الاحتباس في السفينة وظنه ان الصعود على الجبل يجري مجرى الركوب في السفينة في انه يصونه من الغرق فان قيل ان قول نوح عليه السلام لابنه لا عاصم اليوم الا من رحم يدل على انه علم من ابنه الكفر فكيف طلب من الله نجاة ابنه الكافر قلت ان هذا القول لا يدل على علمه بكفر ابنه لجواز ان يقرر عند ابنه انه لا ينفعه الا الايمان والعمل الصالح وقصد هذه الحالة لانه قد بقي في قلبه ظن ان ذلك الابن مؤمن فنادى ربه طالبا منه ان يخلصه بطريق من الطرق اما بان يمكنه من الدخول في السفينة واما بان يحفظه على قلة جبل فعند ذلك اخبره الله تعالى بان ابنه منافق وكانت امة نوح عليه السلام على ثلاثة اقسام كافر يظهر كفره ومؤمن يعلم ايمانه ومنافق مستور حاله وقد كان حكم المؤمنين النجاة وحكم الكافرين هو الغرق وكان ذلك معلوما واما اهل النفاق فبقي حكمه مخفيا وكان ابن نوح عليه السلام منهم وكان يجوز فيه كونه مؤمنا وكانت الشفقة الفطرية

التي تكون من الاب على الابن نحمله على الوجوه الصحيحة لا على كونه كافرا
هذا
فلما رآه معتزل عن القوم طلب منه ركوب السفينة ساوي الى جبل واندفع
لتحقيق ايضا ما قيل ان نوح عليه السلام لما قال رب لا تذر على الارض من الكافرين
ذلك
ديارا كيف احب نجاة ابنه الكافر لما بينا انه عليه السلام لم يعلم بكفر ابنه ولولا
ما احب نجاته فان قيل لما ثبت ان طلب هذا المعنى من الله كان بعد طلبه عن ابنه
اليوم
وبعد استماع قوله ساوي الى جبل وبعد جوابه عليه السلام لابنه بقوله لا عاصم
من امر الله الا من رحم وحال بين بعد هذه المكالمة قد اغرق ابنه لقوله تعالى
وحال بينهما الموج فكان من المغرقين فما الفائدة في السوال من الله تعالى
بعد هلاك ابنه قلت جاز انه عليه السلام اراد بالسوال من الله تخليص ابنه
ولم يعلم هلاكه لحيلولة الموج بينهما وايضا جاز ان تكون فائدة السوال من الله
بعد هلاك ابنه طلب الحكمة في عدم نجات ابنه مع انه تعالى قد وعده
بان ينجيني اهله وجاز ان يكون طلب هذا المعنى من الله سابقا على طلبه من الولد
الا انه عليه السلام امر ابنه بالركوب بعد استماعه قوله تعالى انه ليس من اهلك
بناء على ظن ان الابن لما شاهد سبب الغرق والاهوال العظيمة جاز له
ان يعرض عن الكفر ويقبل الايمان فصار امره بالركوب في الحقيقة امرا له

بالایمان ومجانبة الکفر والاستتار الخ مع الکفار فی الکفر والضلال والنجاة
مع المؤمنین بدخوله محل النجاة لان الایمان سبب لرکوب فی السفینة ولکنه
لما کان من الکافرین ماقبل قول ابیه بل دفعه بالعنف والخشونة کما فی المثنوی

همچو کنعان کاشنا میکرد او * که نخواهم کشتی نوح عدو * هی بیا در کشتی بابا نشین
تا نگردی غرق طوفان ای مهین * گفت نی من آشنا آموختم * من بجز شمع تو شمعی افروختم
هین مکن کین موج طوفان بلاست * دست و پای آشنا امروز لاست * باد قهرست و
بلای شمع کش * جز که شمع حق نمی پاید خمش * گفت میرفتم بران کوه بلند * عاصم است آنکه
مرا از هر گزند * هین مکن که کوه کاهست این زمان * جز حبیب خویش را ندهد امان
گفت من کی پند تو بشنوده ام * که طمع کردی که من زین دوده ام * خوش نیامد گفت تو
هرگز مرا * من بری ام از تو در هر دو سرا * این دم سرد تو در گوشم نرفت * خاصه اکنون
که شدم دانا و زفت * گفت بابا چه زیان دارد اگر * بشنوی یکبار تو پند پدر *
همچنین میگفت او پند لطیف * همچنان میگفت او دفع عنیف * نی پدر از
نصح کنعان سیر شد * نی دمی در گوش آن ادبیر شد * اندرین گفتن بدند و موج تیز
برسر کنعان زد و شد ریز ریز * وقالتها قوله تعالی قالوا یا نوح قد جادلتنا
فاکثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا ان کنت من الصادقین قال انما یأتیکم

به الله ان شاء وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان
كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون بان هذه الآية تدل على صدور الذنب
عن نوح عليه السلام من وجوه الاول انه جوز الاغواء على الله والثاني انه قال
بالجبر والقول بالجبر ذنب عظيم ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صنفان
من امتي ليس لهما في الاسلام نصيب المرجية والقدرية انتهى ولا شك ان
المرجية هم الجبرية القائلون بعدم اختيار العبد في افعاله ويقولون ان اضافة
الفعل الى العبد كاضافة الفعل الى الجماد وثالثها ان في قوله المذكور تسلية للكفار والزام
حجتهم على الانبياء بانه لا يكون الا ما شاء الله فاذا كان كفرهم باغواء الله ومشيته
فهم لا يقدرون على فعل هو خلاف مشيته الله فصاروا معذورين في عدم ايمانهم
فلله والله حجتهم هذه بوجوه كثيرة كما قال سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما
اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا
بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا
تخرصون والقول بما هو مردود عند الله ذنب عظيم والجواب انه عليه السلام
قال لا ينفعكم نصحي الخ ردا على قومه وانكارا عليهم لان اولئك الكفار كانوا
جبرية وكانوا يقولون ان كفرهم بارادة الله تعالى فعند ذلك قال نوح ع

ان كان الامر كما قلتم فاذا لا ينفعكم نصحي مثاله ان يعاقب الرجل ولده على ذنبه
فيقول الولد لابيه لا اقدر على غير ما انا عليه فيقول الوالد فلن ينفعك اذا نصحي ولا زجري
وليس المراد انه يصدقه على ما ذكره بل يقول على وجه الانكار لذلك والدليل
على هذا المراد انه عليه السلام ارسل لتعليم الكفار وارائة طريق الحق لهم ومجادلتهم
معهم فيه فلو كان الامر كما زعم الطاعن لصار نوح منقطعا في مناظرتهم لانهم يقولون
له في ذلك انك سلمت ان الله اذا اغوانا فانه لا يبقى في نصحك ولا في جدنا
واجتهادنا فائدة فاذا ادعيت بان الله تعالى اغوانا فقد جعلتنا معذورين
فلم يلزمنا قبول هذه الدعوة ومعلوم ان نوحا عليه السلام لا يجوز ان يذكر كلاما يصير هو
بسببه مفحما ملزما عاجزا عن تقرير حجة الله عليهم فقد علم مما ذكرنا ان نوحا عليه السلام
ما صدر عنه ذنب سوى زلة واحدة التي يعتذر عنها يوم القيمة كما يدل عليها
حديث الشفاعة وتلك الزلة عبارة عن قوله رب ان ابني من اهلي وان
وعدك الحق وانت احكم الحاكمين **الفصل الثالث في شان سيدنا ابراهيم**
عليه السلام انه تمسك الطاعنون في عصمة الانبياء على عدم عصمته عليه السلام
بامور احدها قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب
الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن

من القوم الضالين فلما رائ الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت
قال يا قوم اني بريئ مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
حنيفا وما انا من المشركين بانه عليه السلام قال بربوبية الشمس والقمر
والكواكب وهو ذنب عظيم اعلم اولا انه اختلف المفسرون فمنهم من قال انه عليه السلام
قال هذا القول حال كونه في الغار قبل مخالطته مع قومه ومنهم من قال انه عليه السلام
قال هذا القول عند قومه بعد مخالطته معهم ثم اختلفوا فمنهم من قال ان غرضه من
هذا القول تحصيل المعرفة لنفسه ومنهم من قال ان الغرض منه الزام القوم والجاءهم
الى التوحيد ثم اختلف القائلون بالقول الاول من الاختلاف الثاني فمنهم
قائلون بان هذا كان قبل البلوغ ومنهم قائلون بانه كان بعد البلوغ وجريان
قلم التكاليف عليه واتفق اكثر المحققين على فساده واحتجوا عليه بحجج الحجة الاولى
ان القول بربوبية النجم كفر بالاجماع والكفر غير جائز على الانبياء بالاجماع
وبالبراهين التي ذكرناها في الباب الاول الحجة الثانية ان ابراهيم
عليه السلام كان قد عرف ربه قبل هذه الواقعة والدليل على صحة ما ذكرناه
انه تعالى اخبر عنه انه قال قبل هذه الواقعة لابيه آزر اتتخذ اصناما الهة
اني اريك وقومك في ضلال مبين الحجة الثالث انه تعالى حكى عنه

انه دعى على اباه الى التوحيد وترك عبادت الاصنام بالرفق حيث قال يا ابت لم تعبد
ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئًا وفى هذه الواقعة انه دعى اباه الى التوحيد
وترك عبادت الاصنام بالكلام الخشن واللفظ الموحش ومن المعلوم ان
من دعا غيره الى الله تعالى فانه يقدم الرفق على العنف واللين على الغلظ ولا يجئ
فى التعنيف والتغليظ الا بعد المدة المديدة واليأس التام فدل هذا
على ان هذه الواقعة انما وقعت بعد ان دعى اباه الى التوحيد مرارا واطوارًا
ولا شك انه انما اشتغل بدعوة ابيه بعد فراغه من مهم نفسه فثبت ان هذه
الواقعة انما وقعت بعد ان عرف الله بمدة **الحجة الرابعة** ان هذه الواقعة
انما وقعت بعد ان اراه الله ملكوت السموات والارض حتى رأى من فوق
العرش والكرسى وما تحتهما الى ما تحت الثرى ومكان منصبه فى الدين
كذلك وعلمه بالله كذلك كيف يليق به ان يعتقد الهية الكواكب **الحجة الخامسة**
ان دلائل الحدوث فى الافلاك ظاهرة من خمسة عشر وجها او اكثر ومع
هذه الوجوه الظاهرة كيف يليق باقل العقلاء نصيبا من العقل والفهم ان
يقول بربوبية الكواكب فضلا عن اعقل العقلاء واعلم العلماء **الحجة السادسة**
انه تعالى قال فى صفة ابراهيم عليه السلام اذ جاء ربه بقلب سليم واقل مراتب القلب السليم

ان يكون سليما عن الكفر وايضا مدحه فقال ولقد آتينا ابراهيم رشده
من قبل وكنا به عالمين اي آتيناه رشده من قبل من اول زمان الفكرة
وقوله وكنا به عالمين اي بطهارته وكماله ونظيره قوله تعالى الله اعلم
حيث يجعل رسالته **الحجة السابعة** قوله وكذلك نري ابراهيم ملكوت
السموات والارض وليكون من الموقنين اي وليكون بسبب تلك
الاراءة من الموقنين ثم قال بعده فلما جن عليه الليل والفاء تقتضي الترتيب
فثبت ان هذه الواقعة انما وقعت بعد ان صار ابراهيم من الموقنين العارفين بربه
الحجة الثامنة ان هذه الواقعة انما حصلت بسبب مناظرة
ابراهيم عليه السلام مع قومه والدليل عليه انه تعالى لما ذكر هذه القصة قال و
تلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه ولم يقل على نفسه فعلم ان هذه المباحثة
انما جرت مع قومه لاجل ان يرشدهم الى الايمان والتوحيد لا لاجل ان
ابراهيم كان يطلب الدين والمعرفة لنفسه ومن هذا ظهر ضعف ما قالوا
ان ابراهيم عليه السلام انما اشتغل بالنظر في الكواكب والقمر والشمس حال كونه
في الغار كما ذهب اليه اكثر المفسرين وذكروا ان ملك ذلك الزمان
رأى رؤيا وعبرها المعبرون بانه يولد غلام ينازعه في ملكه فامر ذلك

الملك بذبح كل غلام يولد فحملت ام ابراهيم به وما اظهرت حبلها للناس فلما جاءها الطلق ذهبت الى كهف فى جبل ووضعت ابراهيم وسدت الباب بحجر فجاء جبرئيل عليه السلام ووضع اصبعه فى فمه فمصه فخرج منه رزقه وكان يتعهده جبرئيل عليه السلام وكانت الام تأتيه احيانا وترضعه وبقى على هذه الصفة حتى كبر وعقل وعرف ان له ربا فسئل الام فقال لها من ربى فقالت انا فقال ومن ربك فقالت ابوك فقال للاب ومن ربك فقال ملك البلد فعرف ابراهيم عليه السلام جهلهما بربهما فنظر من باب ذلك الغار ليرى شيئا يستدل به على وجود الرب سبحانه فراى النجم الذى هو اضوء النجوم فى السماء فقال هذا ربى الى آخر القصة لانه لو كان الامر كذلك فكيف يقول يا قوم انى برئ مما تشركون مع انه ما كان فى الغار قوم ولا صنم ولانه تعالى قال وحاجه قومه قال اتحاجونى فى الله وكيف يحاجونه وهم بعد ما راوه وهو ما راهم وهذا يدل على انه عليه السلام انما اشتغل بالنظر فى الكواكب والقمر والشمس بعد ان خالط قومه وراٰهم يعبدون الاصنام ودعوه الى عبادتها فذكر قوله لا احب الآفلين ردا عليهم وتنبيها لهم على فساد قولهم ولانه تعالى حكى عنه انه قال للقوم وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله

وهذا یدل علی ان القوم کانوا خوفوہ بالاصنام کما حکی عن قوم ھود علیہ السلام
انہم قالوا لہ ان نقول الا اعتراک بعض آلھتنا بسوء ومعلوم ان ھذا الکلام
لا یلیق بالعاد ولما دلت الدلائل المذکورۃ علی ان ھذہ المناظرۃ انما جرت
لابراھیم علیہ السلام وقت اشتغالہ بدعوۃ القوم الی التوحید فاندفع القول
الاول من الاختلاف الثالث کما قیل انہ تعالی کان قد خص ابراھیم ع
بالعقل الکامل والقریحۃ الصافیۃ فخطر ببالہ قبل بلوغہ اثبات الصانع
سبحانہ فتفکر فرأی النجم فقال ھذا ربی فلما شاھد حرکتہ قال لا احب الآفلین
ثم انہ تعالی اکمل بلوغہ فی اثناء ھذا البحث فقال فی الحال انی بریء مما تشرکون
وھذا الاحتمال وان کان مما لا باس بہ لکن ما ذکرناہ من الحجج تاباہ فتعین
انہ علیہ السلام قال ھذا القول بعد بلوغہ لکن لیس غرضہ من اثبات ربوبیۃ
الکواکب بل الغرض منہ احد امور سبعۃ **الاول** ان یقال ان ابراھیم
علیہ السلام لم یقل ھذا ربی علی سبیل الاخبار بل الغرض منہ انہ کان یناظر
عبدۃ الکواکب وکان مذھبہم ان الکواکب ربہم والھہم فذکر ابراھیم ع
ذلک القول الذی قالوہ بلفظہم وعبارتہم حتی یرجع الیہ فیبطلہ ومثالہ ان الواحد
منا اذا ناظر من یقول بقدم الجسم فیقول الجسم قدیم فاذا کان کذلک فلم نراہ

ونشاهده مركبا متغيرا فسهو انما قال الجسم قديما اعادة لكلام الخصم حتى يلزم المحال عليه فكذا ههنا قال هذا ربي والمقصود منه حكاية قول الخصم ثم ذكر عقيبه ما يدل على فساده وهو قوله لا احب الآفلين وهذا الوجه هو المعتمد في الجواب لانه تعالى قد دل على هذه المناظرة بقوله وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه **الوجه الثاني** ان تقول قوله هذا ربي معناه هذا ربي في زعمكم واعتقادكم ونظيره ان يقول الموحد للمجسم على سبيل الاستهزاء ان الهه جسم محدود اي في زعمه واعتقاده قال الله تعالى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا وقال الله تعالى ويوم يناديهم فيقول اين شركائي وكان نبينا صلوة الله عليه يقول يا اله الآلهة والمراد انه تعالى اله الالهة في زعمهم وقال ذق انك انت العزيز الكريم اي عند نفسك **والوجه الثالث** في الجواب ان المراد منه الاستفهام على سبيل الانكار الا انه اسقط حرف الاستفهام استغناء عنه لدلالة الكلام عليه **والوجه الرابع** في الجواب ان يكون القول مضمرا فيه والتقدير قال يقولون هذا ربي واضمار القول كثير كقوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا اي يقولان ربنا وقوله والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم

الا ليقربونا الى الله زلفى اى يقولون ما نعبدهم فكذا ههنا التقدير ان
ابراهيم عليه السلام قال لقومه يقولون هذا ربي هذا هو الذى يربني و
يربيني والوجه الخامس ان يكون ابراهيم ذكر هذا الكلام على سبيل الاستهزاء
كما يقال لذليل ساد قوما هذا سيدكم على سبيل الاستهزاء الوجه السادس
انه صلى الله عليه وسلم اراد ان يبطل قولهم بربوبية الكواكب بعرفهم جهلهم
وخطائهم فى تعظيم النجوم وعبادتها الا انه عليه السلام كان قد عرف من
تقليدهم لاسلافهم وبعد طباعهم عن قبول الدلائل انه لو صرح بالدعوة الى الله
تعالى لم يقبلوه ولم يلتفتوا اليه فمال الى طريق به يستدرجهم الى استماع الحجة وذلك
بان ذكر كلاما يوهم كونه مساعدا لهم على مذهبهم بربوبية الكواكب مع ان قلبه
صلوات الله عليه كان مطمئنا بالايمان ومقصوده من ذلك ان يتمكن من ذكر الدليل
على ابطاله وافساده وان يقبلوا قوله ومثل هذا كمثل الحوارى الذى ورد على
قوم كانوا يعبدون صنما فاظهر تعظيمه فاكرموه لذلك حتى صاروا يصدرون
عن رائه فى كثير من امورهم الى ان دهمهم عدو والا قبل لهم به فشاوروه
فى امر هذا العدو فقال الراى عندى ان ندعوا هذا الصنم حتى يكشف عنا
ما نزل بنا فاجتمعوا حول الصنم يتضرعون اليه فلم يغن شيئا فلم تبين لهم

انه لا ينفع ولا يضر ولا يدفع دعاهم الحادى وامرهم ان يدعوا الله عز وجل
ويسألوه ان يكشف عنهم ما نزل بهم فدعوا الله مخلصين فقطع عنهم ما كانوا يحذرون
فاسلموا جميعًا وتمام التقرير انه لما لم يجد الى الدعوة طريقا سوى هذا الطريق وكان
عليه السلام مامورا بالدعوة الى الله كان بمنزلة المكره على كلمة الكفر ومعلوم ان
عند الاكراه يجوز اجراء كلمة الكفر على اللسان قال الله تعالى الا من اكره
وقلبه مطمئن بالايمان فاذا جاز ذكر كلمة الكفر لمصلحة بقاء شخص واحد فبان
يجوز اظهار كلمة الكفر لتخليص عالم من العقلاء عن الكفر والعقاب المؤبد
بل كان ذلك اولى وايضا المكره على ترك الصلوة لو صلى حتى قتل استحق
الاجر العظيم ثم اذا جاء وقت القتال مع الكفار وعلم انه لو اشتغل بالصلوة
انهزم عسكر الاسلام فههنا يجب عليه ترك الصلوة والاشتغال بالقتال حتى
لو صلى وترك القتال اثم ولو ترك الصلوة وقاتل استحق الثواب بل نقول ان
من كان في الصلوة فرأى طفلا او اعمى اشرف على غرق او حرق وجب
عليه قطع الصلوة لانقاذ ذلك الطفل او ذلك الاعمى عن ذلك البلاء فكذا
اذا
ههنا ان ابراهيم عليه السلام تكلم بهذه الكلمة ليظهر من نفسه موافقة القوم حتى
عبدوه
اذا
اذا رد عليهم الدليل المبطل لقولهم كان قبولهم لذلك الدليل اتم وانتفاعهم باستماعه

احمل ومما يقوي هذا الوجه انه تعالى حكى منه مثل هذا الطريق في موضع آخر وهو قوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين وذلك لانهم كانوا يستدلون بعلم النجم على حصول الحوادث المستقبلة فوافقهم ابراهيم على هذا الطريق في الظاهر مع انه كان بريئا عنه في الباطن ومقصوده ان يتوسل بهذا الطريق الى كسر الاصنام فاذا اجازت الموافقة في الظاهر ههنا مع انه كان بريئا عنه في الباطن فلم لا يجوز ان يكون مسئلتنا كذلك ونقل عن صاحب الفصوص ان روحه اجتمعت مع روح ابراهيم عليه السلام فقال له يا ابت ما قولك في الانوار الثلاثة فانك معصوم عن اعتقاد الالوهية في حين من الاحيان فقال انما قلت ذلك اقامة للحجة على قومي الا ترى الى ما قال الحق تعالى في القرآن وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه انتهى فبما ذكر تحققت ان ابراهيم عليه السلام لم يقل هذا القول على سبيل الجزم والاعتقاد بل كان غرضه عليه السلام الزام الخصم وابطال قول القوم فما قال بعضهم ان ابراهيم عليه السلام كان حينئذ مسترشدا طالبا للتوحيد حتى وفقه الله تعالى واتاه رشده فلم يضره ذلك في حالة الاستدلال وقال البغوي وكان ذلك في حالة طفوليته قبل قيام الحجة عليه فلم يكن كفرا **وقال البيضاوي**

انما قال ذلك زمان مراهقته او اول اوان بلوغه وقال بعضهم ان
استدلاله بالكواكب والشمس والقمر كان وهو ابن خمسة وعشر شهرا
فهذا اوان كان لا باس به لكن الصحيح ما ذكرت اولا اذ الانبياء معصومون
عن الكفر في كل حال من الاحوال ولا يجوز ان يكون لله رسول يأتي
عليه وقت من الاوقات الا وهو لله موحد وبه عارف ومن كل معبود
سواه برئ وكيف يتوهم هذا على من عصمه الله وطهره واتاه رشده
من قبل واراه ملكوت السموات والارض افبرؤية الكوكب يقول
معتقدا هذا ربي حاشا ابراهيم عن ذلك لان منصبه اعلى واشرف من
ذلك قال في الشفاء قال الله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل
اى هديناه صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطا اصطفاه قبل بدء
خلقه وقال بعضهم لما ولد ابراهيم عليه السلام بعث الله اليه ملكا يأمره
عن الله تعالى ان يعرفه بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك
رشده انتهى فما قال في المواقف وشرحه ان صدور هذا الكلام يعني هذا ربي
عنه كان قبل تمام النظر في معرفة الله وكم بينه وبين النبوة اذ لا يتصور
نبوة الا بعد تمام ذلك النظر فلا اشكال اذ يحتاج انه لم يعتقده فيكون كذبا

صادر اقبل البعثة انتهى ليس كما ينبغي نعم ما اجاب به الشارح المذكور ثانيا
بقوله ولك ان تقول انما قال ذلك على سبيل الغرض كما في برهان الخلف
ارشاد للصائبية اذ حاصل ما ذكره ان الكواكب لو كانت اربابا كما
تزعمون لزم ان يكون الرب متغيرا آفلا وهو باطل فهو صحيح لا اشكال
فيه اعلم ان ابراهيم عليه السلام استدل بافول الكواكب على انه لا يجوز
ان يكون ربا له وخالقا له والافول عبارة عن غيبوبة الشئ بعد ظهوره
واذا عرفت هذا فلسائل ان يسئل ويقول الافول انما يدل الحدوث من
حيث انه حركت وعلى هذا التقدير يكون الطلوع ايضا دليلا على الحدث فلم
ترك ابراهيم عليه السلام الاستدلال على حدوثها بالطلوع وعول في اثبات
هذا المطلوب على الافول والجواب لا شك ان الطلوع والغروب لشتركان
في دلالة على الحدوث الا ان الدليل الذي يحتج به الانبياء في معرض دعوة
الخلق كلهم الى الله لا بد وان يكون ظاهرا جليا بحيث يشترك في فهمه الذكي
والغبي والعاقل ودلالة الحركة على الحدوث وان كانت يقينية الا انها
دقيقة لا يعرفها الا الافاضل من الخلق اما دلالة الافول فانها دلالة ظاهرة
يعرفها كل احد فان الكوكب يزول سلطانه وقت الافول فكانت دلالة

الافول على هذا المقصود انتهى وايضا فان احسن الكلام ما يحصل فيه حصة الخواص
وحصة الاوساط وحصة العوام فالخواص يفهمون من الافول الامكان وكل
ممكن محتاج والمحتاج لا يكون مقطوع الحاجة فلا بد من الانتهاء الى ما يكون
منزها عن الامكان حتى تنقطع الحاجات بسبب وجوده كما قال وان الى ربك
المنتهى واما الاوساط فانهم يفهمون من الافول مطلق الحركة فكل
متحرك محدث وكل محدث فهو محتاج الى القديم القادر فلا يكون الآفل
الها بل الاله هو الذى احتاج اليه ذلك الآفل واما العوام فانهم يفهمون
من الافول الغروب وهم يشاهدون ان كل كوكب يقرب من الافول والغروب
فانه يزول نوره وينتقص ضوءه لا ضوءه ويذهب سلطانه ويصير كالمعزول
ومن يكون كذلك لا يصلح للالهية فهذه الكلمة الواحدة اعنى قوله لا احب
الآفلين كلمة مشتملة على نصيب المقربين واصحاب اليمين واصحاب الشمال
فكانت اكمل الدلائل وافضل البراهين وفيه دقيقة اخرى وهو انه عليه الصلوة
والسلام انما كان يناظرهم وهم كانوا منجمين ومذهب اهل النجوم ان
الكوكب اذا كان فى الربع الشرقى ويكون صاعدا الى وسط السماء
كان قويا عظيم التاثير اما اذا كان غربيا وقريبا من الافول فانه يكون

ضعيف التاثير قليل القوة فنبه بهذه الدقيقة على ان الاله هو الذي لا تتغير قدرته الى العجز وكماله الى النقصان ومذهبكم ان الكوكب حال كونه فى الربع الغربى يكون ضعيف القوة ناقص التاثير عاجزا عن التدبير وذلك يدل على القدح فى الهية فظهر على قول المنجمين ان للافول مزيد خاصية فى كونه موجبا للقدح فى الهيته والله اعلم

ولقائل ان يقول ان افول الكوكب دال على حدوثه الا ان حدوثه لا يمنع من كونه ربا لابراهيم عليه السلام ومعبود اله الا ترى ان المنجمين واصحاب الوسايط يقولون ان الاله الاكبر خلق الكواكب وابدعها واحدثها ثم ان هذه الكواكب تخلق النبات والحيوان فى هذه العالم الاسفل فثبت ان افول الكواكب وان دل على حدوثها الا انه لا يمنع من كونها اربابا للانسان والهة لهذا العالم والجواب ان المراد من الرب والاله الموجود الذى عنده ينقطع الحاجات ومتى ثبت بافول الكواكب حدوثها وثبت فى بداهة العقول ان كل ما كان محدثا فانه يكون فى وجوده محتاجا الى الغير وجب القطع باحتياج هذه الكواكب فى وجودها الى غيرها ومتى ثبت هذا المعنى امتنع كونها اربابا والهة بمعنى

انه تنقطع الحاجات عند وجودها فثبت ان كونها آفلة يوجب القدح في
كونها اربابا وآلهة بهذا التفسير او المراد من الرب والاله من يكون
خالقا لنا وموجدا لذواتنا وصفاتنا فنقول ان افول الكواكب يدل على كونها
عاجزة عن الخلق والايجاد وعلى انه لا يجوز عبادتها وبيانه من وجوه الاول
ان افولها يدل على حدوثها وحدوثها يدل على افتقارها الى فاعل
قديم قادر ويجب ان يكون قادرية ذلك القادر ازلية والا لافتقرت
قادريته الى قادر آخر ولزم التسلسل وهو محال فثبت ان قادريته
ازلية واذا ثبت هذا فنقول الشئ الذي هو مقدور له انما صح كونه
مقدورا له باعتبار امكانه والامكان واحد في كل الممكنات
فثبت ان ما لاجله صار بعض الممكنات مقدورا لله تعالى فهو حاصل في
كل الممكنات فوجب في كل الممكنات ان تكون مقدورة لله تعالى واذا
ثبت هذا امتنع وقوع شئ من الممكنات بغيره على ما بين في موضعه
فالحاصل انه ثبت بالدليل ان كون الكواكب آفلة يدل على كونها
محدثة وان كان لا يثبت هذا المعنى الا بواسطة مقدمات كثيرة وايضا
فكونها في نفسها محدثة يوجب القول بامتناع كونها قادرة على الايجاد والابداع

وان كان لا يثبت هذا المعنى الا بواسطة مقدمات كثيرة وايضا ان
افول الكواكب يدل على حدوثها وحدوثها يدل على افتقار هلك في
وجودها الى القادر المختار فيكون ذلك الفاعل هو الخالق للافلاك
والكواكب ومن كان قادرا على خلق الكواكب والافلاك من دون
واسطة شئ فان يكون قادرا على خلق الانسان اولى لان القادر على
خلق الشئ الاعظم لابد وان يكون قادرا على خلق الشئ الاضعف واليه
الاشارة بقوله تعالى لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس
وبقوله اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم
بلى وهو الخلاق العليم فثبت بهذا الطريق ان الاله الاكبر يجب
ان يكون قادرا على خلق البشر وعلى تدبير العالم الاسفل بدون واسطة
الاجرام الفلكية واذا كان الامر كذلك كان الاشتغال بعبادة
الاله الاكبر اولى من الاشتغال بعبادة الشمس والقمر والنجوم فان قلت
ما وجه التذكير فى قوله هذا ربى هذا اكبر مع ان الاشارة للشمس وهى
مؤنثة قلت انما قال هذا ربى ولم يقل هذه لوجوه احدها ان الشمس بمعنى
الضياء والنور فحمل اللفظ على التاويل فذكر وثانيها ان الشمس

لم يحصل فيهما علامة التانيث فلما اشبه لفظهما لفظ المذكر وكان
تأويلهما تاويل النور صلح التذكير من هاتين الجهتين وثالثها ان هذا
الطالع او هذا الذي اراه ورابعها المقصود منه رعاية الادب وهو
ترك التانيث عند ذكر اللفظ الدال على الربوبية الا ترى
انهم قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة وان كان العلامة
ابلغ احترازا من علامة التانيث فجعل المبتدأ والخبر كلاهما عبارة
عن شيء واحد فان قيل لما كان الافول حاصلا في الشمس والافول يمنع
من صفة الربوبية واذا ثبت امتناع صفة الربوبية للشمس كان
امتناع حصولها للقمر ولسائر الكواكب اولى وبهذا الطريق يظهر ان
ذكر هذا الكلام في الشمس يغني عن ذكره في القمر والكواكب فلم لم يقتصر على
ذكر الشمس رعاية للايجاز والاختصار قلنا ان الاخذ من الادون
فالادون مترقيا الى الاعلى فالاعلى له نوع تاثير في التقرير والبيان
والتاكيد لا يحصل من غيره فكان ذكره على هذا الوجه اولى ولقائل ان يقول
هب انه ثبت بالدلائل ان الكواكب والشمس والقمر لا تصلح للربوبية
والالهية لكن لا يلزم من هذا القدر نفي الشريك مطلقا واثبات التوحيد

فلم فرع على قيام الدليل على كونه هذه الكواكب غير صالحة للربوبية الجزم
باثبات التوحيد مطلقا كما يدل عليه قوله فلما افلت قال يا قوم انى برئ
مما تشركون والجواب ان القوم كانوا مساعدين على نفي سائر الشركاء
وانما نازعوا في هذه الصورة المعينة فلما ثبت بالدليل ان هذه الاشياء
ليست اربابا ولا آلهة وثبت بالاتفاق نفي غيرها لا جرم حصل الجزم
بنفي الشركاء على الاطلاق فان قيل لا نسلم ان القوم كانوا مساعدين في
نفي سائر الشركاء لانهم يعبدون الاصنام ويجعلون آلهة كما دل عليه
قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة انى اراك وقومك
في ضلال مبين فهم كما يشركون بالكواكب كذلك يشركون بالاصنام
قلت ان مرادهم من عبادة الاصنام عبادة الكواكب وتعظيمها لانهم
اعتقدوا ان الكواكب هي المدبرة لاحوال هذا العالم السفلي فاشتغلوا
بعبادتها وتعظيمها الا انهم لما رأوا ان هذه الكواكب قد تغيب عن الابصار
في اكثر الاوقات فاتخذوا لكل كوكب صنما من الجواهر المنسوبة اليه
واتخذوا صنم الشمس من الذهب وزينوه بالاحجار المنسوبة الى الشمس وهي الياقوت
والالماس واتخذوا صنم القمر من الفضة وعلى هذا القياس ثم اقبلوا على

عبادة هذه الاصنام وغرضهم من عبادة هذه الاصنام هو عبادة تلك
الكواكب التقرب بها فيلزم من عدم صلاحية الكواكب للربوبية
والالهية عدم صلاحية الاصنام وثانيهما اى ثانى الامور قوله تعالى
واذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحى الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن
ليطمئن قلبى قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل
منهن جزء ثم ادعهن ياتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم قالوا بانه
عليه السلام كان شاكا فى معرفة المعاد واحياء الاموات والا لما سأل
والشك فى معرفة المعاد ذنب ومعصية والجواب ان سؤاله عليه السلام لم يكن
لشكه فى معرفة المعاد واحياء الاموات لان الشاك والجاهل بقدرة الله
على احياء الموتى كافر فمن نسبها للنبى المعصوم الى ذلك فكانما نسبه الى الكفر
وانتساب النبى المعصوم الى الكفر كفر لان الانبياء معصومون عنه كما مر فثبت
ان عقيدة الطاعن هذه كفر وقوله باطل ومما يدل على فساد قوله المذكور
وجوه احدها قوله تعالى اولم تؤمن قال بلى ولو كان شاكا لم يصح ذلك و
ثانيها قوله ولكن ليطمئن قلبى وذلك كلام عارف طالب لمزيد اليقين
وثالثها ان الشك فى قدرة الله تعالى يوجب الشك فى النبوة فكيف يعرف

بنوة نفسه بل كان سؤاله عليه السلام لوجوه اخر احدها ما قال الحسن وقتادة
والضحاك ان ابراهيم عليه السلام مر على دابة ميتة قال ابن جرير كانت
جيفة حمار فرأها وقد توزعتها دواب البحر والبر فكانت اذا مد البحر جاءت
الحيتان ودواب البحر فاكلت منها وما وقع منها يصير فى البحر واذا انحسر
البحر جاءت السباع فاكلت منها وما وقع منها يصير ترابا فاذا ذهب السباع
جاءت الطير فاكلت منها وما سقط تقطعه الريح فى الهواء فلما رأى ذلك
ابراهيم عليه السلام تعجب منها وقال يارب قد علمت انك لتجمعها من بطون
السباع وحواصل الطير واجواف دواب البحر فارنى كيف تحييها فازداد
يقينا مثل ما قال الله تعالى حكاية عن عزير او ارميا عليهما السلام على اختلاف
القولين بقوله قال انى يحيى هذه الله بعد موتها الاية فانه ليس سؤال جهل وشك
فى قدرة الله تعالى لان الانبياء محفوظون من الجهل والشك فى قدرته تعالى
بل لما مر على قرية وهى خاوية على عروشها اى ساقطة حيطانها على سقوفها
تعجب من احيائها بالكمارة فسأل تعجبا لمزيد اليقين او سأل استبعادا
بحسب مجارى العرف والعادة لا على سبيل الانكار وثانيها ما قال محمد بن
اسحق والقاضى ان سبب سؤاله انه وقت المناظرة مع نمرود وقال ربى الذى

يحيي ويميت قال انا احي واميت فاطلق محبوسا وقتل رجلا فقال ابراهيم
ليس هذا باحياء واماتة بل احياء الله برد الروح الى البدن فقال
نمرود هل عاينته فلم يقدر ان يقول نعم وانتقل الى تقرير اخر حتى
بهت الذي كفر ثم سأل ربه ان يريه ليطمئن قلبه في الجواب ان سئل عنه مرة
اخرى وروى ان نمرود قال له قل لربك حتى يحيي والا قتلتك فسأل الله
ذلك وقوله ليطمئن قلبي اي ليطمئن قلبي بنجاتي من القتل او ليطمئن قلبي
بقوة حجتي وبرهاني وثالثها ما قال ابن عباس وسعيد ابن جبير والسدي
رضي الله تعالى عنهم ان الله تعالى اوحى اليه اني متخذ بشرا خليلا فاستعظم
ذلك ابراهيم عليه السلام وقال الهي ما علامة ذلك فقال علامته ان يحيي
الميت بدعائه فلما عظم مقام ابراهيم في درجات العبودية واداء الرسالة
خطر بباله اني لعلي ان اكون ذلك الخليل فسأل احياء الميت فقال الله
اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي على اني خليلك ورابعها انه عليه السلام
انما سأل ذلك لقومه وذلك لان اتباع الانبياء كانوا يطالبون انبياءهم
باشياء تارة باطلة وتارة حقة كقولهم لموسى عليه السلام اجعل لنا الها كما لهم
آلهة فسأل ابراهيم ذلك والمقصود ان شاهده قومه فيزول الانكار عن قلوبهم

وخامسها لاشك ان الامة كما يحتاجون فى العلم بان الرسول صادق فى ادعاء الرسالة الى معجز يظهر على يده فكذلك الرسول عند وصول الملك اليه واخباره اياه بان الله بعثه رسولا يحتاج الى معجز يظهر على يد ذلك الملك ليعلم الرسول ان ذلك الواصل ملك كريم لا شيطان رجيم كما قال الطيبي فى ذيل رواية ابي ذر الغفاري قال قلت يا رسول الله كيف علمت انك نبي حتى استيقنت فقال يا اباذر اتانى ملكان ببعض بطحاء مكة فوقع احدهما الى الارض وكان الآخر بين السماء والارض فقال احدهما لصاحبه هو هو قال نعم قال فزنه برجل فوزنت به ثم قال زنه بعشرة فوزنت بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائة فوزنت بهم فرجحتهم ثم قال زنه بالف فوزنت بهم فرجحتهم كانى انظر اليهم ينتثرون على من خفة الميزان قال فقال احدهما لصاحبه لو وزنته بامته لرجحها وفيه ان الامة كما يفتقرون فى معرفة كون النبي صلى الله عليه وسلم صادقا الى اظهار خوارق العادات بعد التحدى كذلك النبي يفتقر فى معرفت كونه نبيا الى امثال هذه الخوارق وكذا اذا سمع الملك كلام الله احتاج الى معجز يدل على ان ذلك الكلام كلام الله تعالى لا كلام غيره واذا كان

كذلك فلا يبعد ان يقال انه لما جاء الملك الى ابراهيم عليه السلام واخبره
بان الله تعالى بعثك رسولا الى الخلق طلب المعجزة فقال رب ارنى كيف
تحيي الموتى قال اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبى على ان الاتى
ملك كريم لا شيطان رجيم واما على قول من قال ان علم النبى بنبوته ضرورى
حاصل فى القلب بدون الاستدلال كان سؤال ابراهيم عليه السلام مؤيدا ومؤكدا
لذلك العلم الضرورى وسادسها ما قال سعيد ابن جبير ايضا لما اتخذ الله
ابراهيم خليلا سأل ملك الموت ربه ان يأذن له فيبشر ابراهيم بذلك
فاذن له فاتى ابراهيم ولم يكن فى الدار فدخل داره وكان ابراهيم من
اغير الناس وكان اذا خرج اغلق بابه فلما جاء وجد فى الدار رجلا فثار
اليه ليأخذه وقال له من اذن لك ان تدخل دارى فقال اذن لى رب الدار
فقال ابراهيم صدقت وعرفت انه ملك فقال له من انت قال انا ملك
الموت جئت ابشرك ان الله قد اتخذك خليلا ؎ بشارت بادكامد
دولت بيرون زانداز نسيمى مى وزد كز وى دماغ جان شود تازه
فحمد الله عز وجل فقال ابراهيم ما علامة ذلك قال ان الله يجيب دعائك
ويحى الموتى بسؤالك فحينئذ سأل ابراهيم عن ذلك وسابعها لعله طالع

فی الصحف التی انزل اللہ تعالی علیہ انہ تشرف ولدہ عیسی بانہ یحیی الموتی بدعائہ فطلب ذلک فقیل لہ اولم تؤمن قال بلی ولکن لیطمئن قلبی علی انی لست اقل منزلۃ فی حضرتک من ولدی عیسی وثامنہا لم یکن قصد ابراھیم علیہ السلام بالسؤال احیاء الموتی بل کان قصدہ سماع الکلام بلا واسطۃ وتاسعہا تقدیر الآیۃ ان جمیع الخلق لیشاھدون الحشر یوم القیمۃ فارنی ذلک فی الدنیا فقال اولم تؤمن قال بلی ولکن لیطمئن قلبی علی ان خصصتنی فی الدنیا بمزید ھذا التشریف وعاشرھا ابراھیم علیہ السلام امر بذبح الولد فسارع الیہ ثم قال امرتنی ان اجعل ذا روح بلا روح ففعلت وانا اسئلک ان تجعل غیر ذی روح روحانیا فقال اولم تؤمن قال بلی ولکن لیطمئن قلبی علی انک اتخذتنی خلیلا ولا یخفی ان مآل ھذین الوجہین والوجہ السادس واحد الحادی عشر ما قال فی الیواقیت بقولہ وانما الجواب عن قول ابراھیم علیہ السلام ولکن لیطمئن قلبی فاذکر الشیخ فی الباب السابع والستین و ثلثمائۃ ان روحہ اجتمعت مع روح الخلیل علیہ السلام قال فقلت لہ یا ابت لم قلت ولکن لیطمئن قلبی مع انک من المؤمنین بذلک بلا شک

فقال صحيح ولكن للاحياء وجوه كثيرة كما كان ايجاد الخلق فمنهم من اوجده تعالى بكلمة كن ومنهم اوجده بيديه ومنهم من اوجده ابتداء ومنهم اوجده من خلق اخر فطلبت العلم بتعين وجه من هذه الوجوه فاذا علمني اطمئن قلبي انتهى ولهذا قيل انما سئل عن كيفية الاحياء بقوله تعالى كيف تحي الموتى لاعتنائه ولم يقل ارني احياء الموتى لان الاحاطة بالكيفية المفصلة اقوى وارسخ من المعرفة الاجمالية المفضية الى التردد بين الكيفيات المتعددة مع الطمانية في اصل الاحياء والقدرة عليه الثاني عشر قيل انه نظر ابراهيم عليه السلام في قلبه فراه ميتا بحب ولده فاستحي من الله وقال ارني كيف تحي الموتى اي القلب اذا مات بسبب الغفلة كيف يكون احياءه بذكر الله تعالى الثالث عشر وهو على لسان اهل التصوف ان المراد من الموتى القلوب المحجوبة عن انوار المكاشفات والتجلي والاحياء عبارة عن حصول ذلك التجلي والانوار الالهية فقوله ارني كيف تحي الموتى طلب لذلك التجلي والمكاشفات فقال اولم تؤمن قال بلى اومن به ايمان الغيب ولكن اطلب حصولها ليطمئن قلبي بسبب حصول ذلك التجلي وعلى قول المتكلمين العلم الاستدلالي مما يتطرق اليه الشبهات والشكوك فطلب علما ضروريا يستقر القلب معه

استقرار الا یتخالجہ شئ من الشکوك و الشبهات و لذا قیل انه سئل ربه زیادة یقین وقوة طمانیة وان لم یکن فی الاول شك اذ العلوم النظریة والضروریة قد تتفاضل فی قوتها وطریان الشکوك علی الضروریات ممتنع ومجوز فی النظریات فاراد الانتقال من النظر او الخبر الی المشاهدة والترقی من علم الیقین الی عین الیقین قال رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم لیس الخبر کالمعاینة ان الله اخبر موسی بما صنع قومه فی العجل فلم یلق الالواح فلما عاین ما صنعوا القی الالواح فانکسرت رواه احمد والطبرانی بسند صحیح عن ابن عباس والدلیل علی ان سؤاله ذلك لیصیر علمه عیانا وقد شرف الله بعین الیقین بل بحق الیقین الذی هو اعلی المقامات هو انه تعالی قررایمانه بهمزة الاستفهام التقریری فقال اولم تؤمن ای اولم تعلم ذلك یقینا فاجاب ابراهیم علیه السلام بقوله بلی ولکن لیطمئن قلبی ای لیسکن ویحصل طمانیة بالمعاینة فان عین الیقین توجب الطمانیة لا علمه لان علم الیقین هو المستفاد من الاخبار وعین الیقین هو المعاینة لامرئیة منه قال الله تعالی فی حق الکفار لترونها عین الیقین فلما دخلوا النار وباشروا عذابها قال تعالی

فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين ان قلت ما معنى
قول على رضى الله عنه لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا قلت معناه
ما ازددت يقينا بالايمان بها وكان اذا رأى الاخرة ابصر بها من
الفضائل والهيئات ما لم يحط به قبل ذلك وكذلك ابراهيم لما رأى
كيفية الاحياء وقف على ما لم يقف عليه قبل ان قيل هذه الاية تدل
على ان الطمانية اعلى رتبة من علم اليقين وقال الاصوليون ان الخبر المتواتر
يوجب علم اليقين والخبر المشهور يوجب الطمانية فهذا القول منهم يدل
على خلاف مقتضى الاية قلت الطمانية على قسمين طمانية الظن
وطمانية اليقين فمراد الاصوليين الطمانية بالمعنى الاول والاية لا
تدل على علو الطمانية بالمعنى الثانى فلا اشكال الرابع عشر انه عليه السلام
لما رأى الجيفة على البحر وقد تناولها السباع والطير ودواب البحر
تفكر كيف يجتمع ما تفرق من تلك الجيفة وتطلعت نفسه الى مشاهدة
ميت يحييه ربه ولم يكن ابراهيم عليه السلام شاكا فى احياء الموتى ولا دافعا
له ولكنه احب ان يرى ذلك عيانا كما ان المؤمنين يحبون ان يروا نبيهم
محمدا صلى الله عليه وسلم ويحبون روية الله تعالى فى الجنة ويطلبونها ويسألونه

وذعانہم مع الایمان بصحۃ ذلک وزوال الشک عنہم فکذلک احب
ابراهیم علیہ السلام ان یشاهد احیاء الموتی واشتاق الیہ لان الاشتیاق یدل علی
زیادۃ الیقین فمآل هذا الوجہ ایضا راجع الی ما سبق یعنی ان العلم
والیقین باحیاء الموتی کان حاصلا لہ بالسمع فاراد حصولہ
بالرویۃ ایضا لان الیقین الحاصل بسبب الرویۃ اقوی من الیقین
الحاصل بسبب السمع او النظر لان الخبر یحتمل الصدق والکذب والنظر
قد یکون صحیحا وقد یکون فاسدا بخلاف الرویۃ فی المثنوی ؎
کرد مردی از سخن دان سؤال × حق و باطل چیست ای نیکو خصال × گوش را
بگرفت وگفت این باطل است × چشم حق است ویقینش حاصل است × ہمچنین کز
گوش در چشمت رود × انچہ باطل بوده آن حق میشود × گوش دلال است و
چشم اہل وصال × چشم صاحب حال وگوش از اہل قال × ہر جوابی کان ز گوش آید بدل ×
چشم گفت از من شنو آنرا بہل × ویؤیدہ روایۃ ابی ہریرۃ رضی اللہ عنہ قال قال
رسول اللہ صلی اللہ تعالی علیہ وسلم نحن احق بالشک من ابراهیم اذ قال رب
ارنی کیف تحیی الموتی الخ فان هذا الحدیث یدل علی نفی الشک عنہما
یعنی اذا لم اشک انا فابراهیم اولی بان لا یشک فانہ علیہ السلام قال ذلک

تواضعًا وهضمًا لنفسه وكان مراده ان الانبياء منزهون عن الشك
وكان طلب ابراهيم عم لزيادة العلم والطمانية عليه والدليل على هذا المراد
قوله عليه السلام نحن احق بالشك لانه تعالى امره بقوله قل رب زدني علمًا
وليس في شان ابراهيم مثل هذا القول وعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن
طلب زيادة العلم واليقين بالشك مجازا للمشابهة الصورية في المظهري
قيل لما نزلت هذه الآية قال قوم شك ابراهيم ولم يشك نبينا صلى الله عليه
وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تواضعًا وتقديمًا لابراهيم على نفسه
قلت هذا القول وهذا التاويل في الحديث ضعيف لان نفي الشك عن
ابراهيم ثبت بنفس كلام الله تعالى حيث قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فكيف
يقال شك ابراهيم واى حاجة الى دفع ذلك التوهم والتحقيق عندى
ما قالت الصوفية العلية ان لاهل الله تعالى في السلوك مقامان
الاول مقام العروج وهو الانخلاع عن الصفات البشرية والتلبس
بالصفات الملكية والصفات القدسية ويحكى عن هذا المقام قوله
عليه السلام حين نهى عن صوم الوصال لست كهيئتكم ابيت عند
ربي يطعمني ويسقيني ويقال في اصطلاحهم لهذا السير الى الله والسير في الله

والثانی مقام النزول وهو التلبس بالصفات البشریۃ ثانیا بعد الانخلاع
التام وهذا المقام مقام التکمیل ودعوت الخلق الی الله تعالی ویقال لهذا السیر من
الله وبالله والحکمۃ فی النزول انه لابد بین المفیض والمستفیض
من المناسبۃ حتے یتیسر به الاستفاضۃ علی طریقۃ الصبغ
والانصباغ ولاجل هذا ارسل الرسل من البشر لدعوت البشر ولم یتصور
للعوام اخذ الفیض من الله تعالی لفقد المناسبۃ وهو تعالی غنی عن العالمین
ولا من الملائکۃ قال الله تعالی قل لو کان فی الارض ملائکۃ یمشون
مطمئنین لنزلنا علیهم من السماء ملکا رسولا وقال ولو جعلناه ملکا
لجعلناه رجلا وللبسنا علیهم ما یلبسون وکلما کان لرجل نزول له اکثر کان
دعوته اشمل واکمل کما ان الرامی اذا کان فی اعلی مکان من المرمی
الیه ما اصاب رمیته غالبا قال الشیخ الاکبر محی الدین بن العربی قدس سره
انکروا دعوۃ نوح علیه السلام لما کان من الفرقان واجابوا دعوۃ محمد
صلی الله علیه وسلم لما کان من القرآن یعنی لما کانت استعدادات العوام
فی غایت الانخفاض ونوح علیه السلام کان فی مقام العروج لم یناسبه
العوام منه لاجل الفراق بینهما ولما نزل محمد صلی الله تعالی علیه وسلم

غاية النزول لجابوا دعوته لحصول المقارنة اذا سمعت هذا فاعلم ان العارف تام المعرفة قد يظهر عليه آثار النزول فحينئذ يكون على هيئة العوام متشبثا بالاسباب ويحكى عن هذا المقام انه صلى الله عليه وسلم لبس في الحرب درعا من حديد فوق درع وحفر الخندق حول المدينة وفي هذا المقام يتشبث العارف لطلب زيادة اليقين واطمينان القلب بتجشم الاستدلال ونحو ذلك وعن هذا المقام قصة ابراهيم هذه وعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طلب زيادة اليقين بالشك مجاز المشابهة الصورية واخبر عن مقام نزوله بقوله نحن احق بالشك من ابراهيم يعني ان نزولنا اتم من نزول ابراهيم فنحن اولى بطلب زيادة اليقين منه ولا شك ان نزوله عليه السلام كان اتم من نزول ابراهيم عليه السلام يدل عليه كونه مبعوثا الى كافة الانام كما ان عروجه صلى الله تعالى عليه وسلم كان فوق كل عروج فكان قاب قوسين او ادنى فهو المحدود لجهات الكمال عليه وعلى آله الصلوة والسلام انتهى بعبارته الخامس عشر ان ابراهيم عليه السلام لما قال في مناظرة نمرود ربي الذي يحي ويميت فدعا نمرود برجلين اسيرين فقتل احدهما واستحى الآخر وقال انا احيي واميت فاعتقد

اکثر العوام ان الاحیاء عبارة عن العفو والاطلاق کما فعل نمرود بالاسیر فلاجل هذا
طلب ابراهیم علیه السلام من ربه اراءته احیاء الموتی لیتمیز عند القوم ان
الاحیاء غیر الاطلاق لا یقدر علیه نمرود فعلی هذا التاویل یکون قوله لیطمئن
قلبی بحذف ما اضاف الیه القلب حقیقة ای لیطمئن قلب قومی **السادس**
عشر ما فی غرائب الاقوال انه کان لابراهیم علیه السلام صدیقا یتردد فی
امر البعث والحشر وکان اسمه قلب فطلب علیه السلام اراءة الاحیاء لاطمینان
صدیقه **السابع عشر** ما نقل عن الینابیع ان ابراهیم علیه السلام تامل وتفکر
فی ان دخول الروح فی البدن بعد الموت هل منه الم وتعب کما فی الخروج
ام لا فطلب الاراءة وهذا الوجه غیر خال عن الغرابة **الثامن عشر** ما روی
عن ابن المبارک رضی الله عنه ان ابراهیم علیه السلام طلب اراءة الاحیاء
لیعرف قومه استجابة دعائه وشرف منزلته عند الله ویظهر علیهم هذه المعجزة
لعلهم یؤمنون به فیکون قلبه مطمئنا بایمان قومه **التاسع عشر** ما قیل
ان الانبیاء علیهم السلام لهم آیات عقلیة وحسیة کالعصا والید البیضاء
لموسی علیه السلام وکانت آیات ابراهیم علیه السلام عقلیة فاراد ان
یکون جامعا بین الآیات العقلیة والحسیة فسأل علی طریق الادب

وقال رب ارنی کیف تحی الموتی یعنی اقدرنی علی احیاء الموتی **العشرون**
ماقیل ان ابلیس اللعین مر یومًا بساحل البحر فرأی شخصا میتا معزولًا
من عمل الحیات ووقعت علیه الطیور والسباع تقطعته من لحمه وشحمه بالمناقیر
والانیاب ثم تتفرقه الطیور فی الجو والسباع فی البادیة ثم یأتیه فوج آخر
وهکذا فتأمل ابلیس ساعة وتفکر فی نفسه ففرح وسر وقال وجدت
شبکة المکر والکید اصید بها قلوب کثیر من الجهال بالقاء الوسوسة الیهم
بان هذه الاعضاء المتفرقة والاجزاء المتشتتة کیف تجتمع من اطراف
العالم من اجواف السباع وحواصل الطیور فامر الله الجلیل الجمیل الی
نبیه الخلیل ان یصل الی ذلک الساحل لیری من عجائب قدرته وغرائب
وصفه فلما وصل ابراهیم ع الی الساحل رأی ابلیس قائما متحیرا فقال
له بالعین فی ای تفکر وتحیر قال فی ان هذه الاجزاء الماکولة المتفرقة
فی الاطراف کیف تجتمع ومن یجمعها قال ابراهیم علیه السلام بالعین لیس هذا
تفکر وتحیر لان من قدر علی اخراجها من کتم العدم الی عرصة الوجود کیف
یعجز عن اجتماعها بعد العدم ؎ کوزه گر گر کوزهٔ را بشکند چون بخواهد
باز قائم میکند آنکه داند کوزه کردن از نخست چه عجب گر سازد

انكسرت دريت فعند ذلك طلب رأية الاحياء ليكون الشيطان الطاغي

الباغي ملزمًا ويطمئن قلبه عليه السلام بالزامه الوجه الحادي والعشرون

روي عن الحسن البصري رضي الله عنه ما حاصله ان ابراهيم عليه السلام لما

رائ في الصحف المنازلة عليه وصف طيور الجنة بانها تطير في فضاء الجنة

اذا اشتهى احد من اهل الجنة الى اللحم طير منها فيهب الريح من

مهب الرحمن فينقطع منه راسه و ذنبه ويسلخ من ريشه ويصير في الحال

مشويا في طبق من نور يجيئ عند المشتهي فيأكل منه بقدر الاشتهاء ثم

يجمع ما بقي ويكتسي بالريشة ويصير مركبا مع الراس والذنب فيطير في الجنة

ويفتخر على سائر الطيور فاراد ابراهيم عليه السلام ان يشاهد في الدنيا

مثلها فقال رب ارني كيف تحي الموتى هذه هي الوجوه التي ذكرت

سببا لقوله رب ارني كيف تحي الموتى وان رجع بعضها الى بعض في المآل

ان قيل قد علم مما سبق ان العلوم يجوز ان يكون بعضها اقوى

من بعض وفيه سؤال صعب وهو ان الانسان حال حصول العلم له

اما ان يكون مجوزا لنقيضه او لا يكون فان جوز نقيضه بوجه من الوجوه

فذلك ظن قوي لا اعتقاد جازم وان لم يجوز نقيضه بوجه من الوجوه

امتنع وقوع التفاوة فی العلوم واعلم ان هذا الاشکال انما یتوجه اذا
قلنا المطلوب بما ذکرهو حصول الطمانینة فی اعتقاد قدرة الله تعالی
علی الاحیاء فقط اما لو قلنا المقصود منه شئ آخر ایضا کما ذکرنا فلا لسوال
زائل فان قیل لما لم یکن طلب هذا الامر للشک فلم عاتبه الله تعالی بقوله اولم تؤمن
مع انه تعالی عالم بانه اثبت الناس ایمانا قلت لا نسلم ان قوله اولم تؤمن
للعتاب بل لیجیب بما اجاب به لما فیه من الفائدة الجلیلة للسامعین
ای لیظهر ایمانه لکل سامع بقوله بلی فیعلم السامعون غرضه من هذا القول
وعلی تقدیر کونه للعتاب یحتمل ان یکون توجه العتاب لاجل انه هو الغرض
من الطلب یعنی یجوز ان یکون الباعث علی طلب اراءة احیاء الموتی
توجه العتاب الی نفسه اذ العتاب علامة الود مصرع ویبقی الود ما بقی
العتاب وایضا عتاب الحبیب علی الحبیب لذیذ حکی انه کان فی سابق الزمان
مفلس قد عشق علی ابن الملک وصار غریقا فی بحر المحبة ولم یعد نفسه
لایقا لوصاله لعلو منزلة ابن الملک ولم یظهر حال محبته لاحد وکان عادة
ابن الملک ان یخرج کل یوم للعب الی موضع مجتمع فیه التراب وموضوع
فیه الغرض فیرمیه بالسهام فتفکر العاشق ان یختفی یوما فی التراب تحت الغرض

لعل السہم وقع علیہ وقت الرمی ویراہ ابن الملک فیعاتبہ ففعل بی مثا
ماتصورہ فجاء العشوق علی عادتہ فرمی السہم الی الغرض فوقع علی
صدر العاشق فخرج راسہ من التراب ع عاشقِ ازخاک بیرون کردہ سر
جملۂ آن خاک ازخون کردہ تر شاہزادہ کان بدید ازدور جای بازوی نشناخت
زان غم سرزپای سوی عاشق رفت وگفت ای شوخ مرد این چرا
کردی وہرگز این کہ کرد گفت ازان این کار کردم بریقین تاتوام
گوئے چرا کردے چنین ولما کان ہذا حال المحبت المجازیۃ فما
ظنک بالمحبت الحقیقیۃ فعاتبہ موافقا لمرادہ ثم ازال ذلک العتاب
بقولہ فخذ اربعۃ من الطیر لان الخطاب بعد العتاب لذو المراد من الطیور
الاربع الطاؤس والنسر والغراب والدیک کما فی روایۃ ابن عباس رضی اللہ
عنہما وفی روایۃ مجاہد وابن زید رضی اللہ عنہما الحمامۃ بدل النسر
وفی روایۃ البط بدلہا فان قلت لم خص الطیر من جملۃ الحیوانات
لہذہ الحالۃ قلت خصہ من وجہین الاول ان الطیر ہمۃ الطیران فی السماء
والارتفاع فی الہواء والخلیل کانت ہمۃ العلو والوصول الی الملکوۃ
فجعلت معجزتہ مشاکلۃ لہمتہ والثانی ان للخلیل علیہ السلام لما ذبح الطیور

وجعلها قطعة قطعة ووضع على راس كل جبل قطعة مختلطة ثم دعاها فطار كل جزء
الى مشاكله فقيل له كما طار كل جزء الى مشاكله كذلك يوم القيمة يطير كل جزء
الى مشاكله حتى تتألف الابدان وتتصل بها الارواح كما قال الله تعالى ويخرجون
من الاجداث كانهم جراد منتشر فان قيل ان المقصود من الاحياء والاماتة
كان حاصلا بحيوان واحد فلم امر باخذ اربع حيوانات قلت امر
بالحيوانات لوجهين الاول ان فيه اشارة الى انك سئلت واحدا على قدر
العبودية وانا اعطى اربعا على قدر الربوبية والثانى ان الطيور الاربعة
اشارة الى الاركان الاربعة التى منها تركيب ابدان الحيوانات
والنباتات وفيه اشارة الى انك ما لم تفرق بين هذه الطيور الاربعة لا يقدر
طير الروح على الارتفاع الى هواء الربوبية وصفاء عالم القدس واما تخصيص
هذه الاجناس المذكورة من الطير بالاخذ فلان فى الطاؤس اشارة الى
ما فى الانسان من حب الزينة والجاه وفى النسر اشارة الى شدة الشغف
بالاكل وفى الديك اشارة الى شدة الشغف لحب النكاح
وفى الغراب اشارة الى شدة الحرص ففيه اشارة الى ان الانسان
اذا ترك هذه الشهوات الذميمة حتى يعلى الدرجات فى الجنة وفاز بنيل السعادة الابدية فى المثوى

چار وصف است این بشر را دل‌فشار　　چار میخ عقل گشته این چهار

چار مرغ معنوی راه‌زن　　کرده‌اند اندر دل خلقان وطن

بط حرص است و خروس آن شهوت است　　جاه چون طاوس و زاغ امنیت است

تو خلیل وقتی ای خورشیدهش　　این چهار اطیار ره‌زن را بکش

ای خلیل اندر خلاص نیک و بد　　سر ببرشان تا رهد پاها ز سد

زانکه هر مرغی ازینشان زاغ وش　　هست عقل عاقلان را دیده‌کش

خویش را گر زندگی خواهی ابد　　سر ببر این چار مرغ شوم بد

بازشان زنده کن از نوع دگر　　که نباشد بعد ازان زیشان ضرر

وایضا فیه

حرص بط یکتاست این پنجاه تاست　　حرص شهوت مار و منصب اژدهاست

حرص بط از شهوت حلق است و فرج　　در ریاست بیست چندانست درج

صد خورنده گنجد اندر گرد خوان　　دو ریاست‌جو نگنجد در جهان

کاغ کاغ و نعرهٔ زاغ سیاه　　دائما باشد بدنیا عمرخواه

همچو ابلیس از خدای پاک فرد　　تا قیامت عمر تن درخواست کرد

عمر و مرگ این هر دو با حق خوش بود　　بی خدا آب حیات آتش بود

عمر خوش در قرب جان پروردن است　　عمر زاغ از بهر سرگین خوردن است

فعلم ان الانسان مالم یسع فی قتل شهوت النفس والفرج وفی ابطال
الحرص وابطال التزیین للخلق لم یجد فی قلبه روحا وراحة من نور
جلال الله امر الله تعالی ابراهیم علیه السلام ان یذبح تلک الطیور وینتف
ریشها وان یخلط ریشها ولحمها ودمها بعضه ببعض ففعل ثم امره ان یجعل
علی کل جبل منهن جزء اختلفوا فی عدد الاجزاء والجبال فقال ابن عباس
رضی الله عنهما امر ان یجعل کل طائر اربعة اجزاء وان یجعلها علی
اربعة اجبل علی کل جبل ربعا من کل طایر وقیل جبل علی جهة الشرق
وجبل علی جهة الغرب وجبل علی جهة الشمال وجبل علی جهة الجنوب
وقیل جزءه سبعة اجزاء ووضعها علی سبعة اجبل وامسک رؤسهن
بیده ثم دعاهن فقال تعالین باذن الله تعالی **بیت**

بیا ئید ای گرفتاران که مفتاح نجات آمد	حجاب گیسو رفت و هنگام حیات آمد

فجعلت کل قطرة من دم طائر تطیر الی القطرة الاخری وکل ریشة تطیر الی الریشة
الاخری وکل عظم یطیر الی العظم الاخر وکل بضعة تطیر الی البضعه الاخری
وابراهیم ینظر حتی لقی کل جثة بعضها ببعض فی السماء بغیر رؤسهم ثم اقبلن
سعیا الی رؤسهن کلما جاء طائر قال براسه فان کان راسه دنا منه وان لم یکن

تأخر عنه حتى التقى كل طائر براسه حتى كمل والحكمة فى سعى الطيور اليه دون الطيران لان ذلك ابعد من الشبهة لانها لو طارت لتوهم متوهم انها غير تلك الطيور وان ارجلها غير سليمة فنفى الله تعالى هذه الشبهة بقوله يأتينك سعيا واعلم ان المفسرين اجمعوا على ان ابراهيم عليه السلام امر بذبح الطيور ونتف ريشها وتقطيعها جزءا جزءا وخلط دمائها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم امر بان يجعل اجزائها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح بها تعالين باذن الله تعالى ثم اخذ كل جزء يطير الى الآخر حتى تكاملت الجثة ثم اقبلت كل جثة الى راسها وانضم كل راس الى جثة وصار الكل احياء باذن الله خلافا لابي مسلم فانه انكر ذلك وقال ان ابراهيم عليه السلام لما طلب احياء الميت من الله تعالى اراه الله تعالى مثالا قرب به الامر عليه والمراد بصرهن اليك الامالة والتمرين اى تعود الطيور الاربعة ان تصير بحيث اذا دعوتها اجابتك واتتك فاذا صارت كذلك فاجعل على كل جبل واحدا حال حياته ثم ادعهن يأتينك سعيا بيت

مرغ دست آموز را چند انکه کس ور افگند	بانشاط بال آید باز چون گوید بیا

والغرض منه ذكر مثال محسوس في عود الارواح الى الاجساد على سبيل السهولة واستدل بوجوه ضعيفة لا نطيل الكلام بذكرها واستدل القائلون بالقول المشهود بوجوه ايضاً الاول ان كل المفسرين الذين كانوا قبل ابي مسلم اجمعوا على انه حصل ذبح تلك الطيور وتقطيع اجزائها فيكون انكار ذلك انكار الاجماع والثاني ان ما ذكره غير مختص بابراهيم عليه السلام فلا يكون له فيه مزية على الغير وثالثها ان ابراهيم اراد ان يريه الله كيف يحيي الموتى وظاهر الاية يدل على انه اجيب الى ذلك وعلى قول ابي مسلم لا يحصل الاجابة في الحقيقة والرابع ان قوله ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا يدل على ان تلك الطيور جعلت جزء جزء اوان جاز ايضا فلا الجزء الى الاربعة لكن حمل الجزء على ما ذكرناه اظهر قال في التاويلات النجمية الطيور الاربعة هي الصفات الاربع التي تولدت من اصناف العناصر الاربعة التي خمرت طينة الانسان منها وهي التراب والماء والنار والهواء فتولدت من ازواج كل عنصر مع قرينه صفتان فمن التراب وقرينته الماء تولد الحرص والبخل وهما قرينتان حيث وجد احدهما وجد قرينه ومن النار وقرينها الهواء تولد الغضب والشهوة وهما قرينان

یوجدان معا ولکل واحدۃ من ہذہ الصفات زوج خلق منہا لیسکن الیہا
کحواء وآدم و تتولد منہا صفات اخرے فالحرص زوجہ الحسد والبخل
زوجہ الحقد والغضب زوجہ الکبر ولیس للشہوۃ اختصاص بزوج
معین بل ہی کالمعشوقۃ بین الصفات فیتعلق بہا کل صفۃ ولہا
منہا متولدات یطول شرحہا فہی الابواب السبعۃ للدرکات السبع
من جہنم منہا یدخل الخلق جہنم التی لہا سبعۃ ابواب لکل باب منہم
جزء مقسوم یعنی من الخلق فمن کان الغالب علیہ صفۃ منہا فیدخل النار
من ذلک الباب فامر اللہ خلیلہ بذبح ہذہ الصفات وہی الطیور الاربعۃ
طاؤس البخل فلولم یزین المال فی نظر البخیل کما زین الطاؤس بالوانہ
ما بخل بہ وغراب الحرص وہو من حرصہ اکثر فی الطلب ودیک الشہوۃ
وہو بہا معروف ونسر الغضب ونسبتہ الیہ لتصریفہ فی الطیران فوق الطیور
وہذہ صفت الغضب فلما ذبح الخلیل بسکین الصدق ہذہ الطیور وانقطعت
منہ متولداتہا ما بقی لہ باب یدخل منہ النار فلما القی فیہا بالمنجنیق
فہا صارت النار علیہ بردا وسلاما والاشارۃ بتقطیعہا بالمبالغۃ
ونتف ریشہا وتفریق اجزائہا وتخلیط ریشہا ودمائہا ولحومہا بعضہا

بعض اشارة الی محو اثار الصفات الاربع المذکورة وہدم قواعدها
علی یدی ابراهیم الروح بامر الشرع ونائب الحق وهو الشیخ والامر بتقسیم
اجزائها وجعلها علی کل جبل جزء اما الجبال الاربعة هی النفوس التی
جبل الانسان علیها اولها النفس النامیة وتسمی النفس النباتیة وثانیها
النفس الامارة وتسمی الروح الحیوانی وثالثها قوة الشیطنة وتسمی الروح
الطبعی ورابعها قوة الملکیة وهو الروح الانسانی فطیور الصفات لما ذبحت
وقطعت وخلطت اجزاء بعضها لبعض ووضع علی کل جبل روح ونفس
وقوة منها جزء ابامر الشرع تکون بمشابهة اشجار وزروع تجعل علیها
التراب المخلوطة بالزبل والقاذورات باستصواب دهقان ذی بصارة
فی الدهقانیة بمقدار معلوم ووقت معلوم ثم یسقیها بالماء لیتقوی
الزرع بقوت التراب والزبل وتتصرف النفس النامیة النباتیة
فی التراب المخلوطة المیتة فتحییها باذن الله تعالی کقوله فانظر الی آثار
رحمة الله کیف یحیی الارض بعد موتها فکذلک الصفات الاربع وهی الحرص
والبخل والشهوة والغضب مهما کانت کل واحدة منها علی حالها غالبة
علی الجوهر الروحانی تکسر صفاته وتمنعه من الرجوع الی مقامه الاصلی

ووطنه الحقيقي فاذا كسرت سطوتها وذهبت قوتها وامتيت شعلتها ومحيت اثار طباعها بامر الشرع وخلطت اجزائها المتفرقة بعضها ببعض ثم قسمت باربعة اجزاء وجعل كل جزء منها على جبل قوة او نفس او روح فيتقوى كل واحد من هؤلاء بتقويتها و يتربى فيتصرف فيها الروح الانساني فيحييها ويبدل تلك الظلمات التي هي من خصائص تلك الصفات المذمومة بنورهو من خصائص الروح الانساني والملكي فتكون تلك الصفات مبيتة من اوصافها حيية باخلاق الروحانيات انتهى

وثالثها اي ثالث الامور قوله تعالى فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم بان هذه الاية تدل على صدور الذنب عن ابراهيم عليه السلام من وجهين الاول ان النظر في علم النجوم غير جائز وهذه الاية دالة على اقدامه بالنظر فيه والاقدام على فعل غير جائز ذنب والثاني انه عليه السلام ماكان سقيما فلما قال اني سقيم كان ذلك كذبا فصار الكذب عنه عليه السلام والكذب ذنب والجواب ان هذا الطعن مندفع من وجوه الاول انه عليه السلام نظر نظرة في النجوم في اوقات الليل والنهار وكانت تاتيه سقامة كالحمى في بعض ساعات الليل والنهار فنظر ليعرف

هل هي في تلك الساعة وقال اني سقيم فجعله عذرا في تخلفه عن العيد الذي لهم وكان صادقا فيما قال لان السقم كان يأتيه في ذلك الوقت وانما تخلف لاجل تكسر اصنامهم ويؤيده ما قال ابن زيد كان له نجم مخصوص كلما طلع على صفة مخصوصة مرض ابراهيم عليه السلام ولاجل هذا الاستقراء لما رءاه طالعا في ذلك الوقت على تلك الصفة المخصوصة قال اني سقيم اي هذا السقم واقع لا محالة والثاني ان قوم ابراهيم عليه السلام كانوا اصحاب النجوم يعظمونها ويقضون بها على غائب الامور فلذلك نظر ابراهيم عليه السلام في النجوم اي في علم النجوم وهو كما يقول فلان نظر في الفقه وفي النحو وانما اراد ان يوهمهم انه يعلم ما يعلمون ويتعرف من حيث يتعرفون حتى اذا قال اني سقيم سكنوا الى قوله واما قوله اني سقيم فمعناه سأسقم ففيه تسمية الشيء باسم ما يؤل اليه امره وهو ليس بكذب بل هو واقع في القرآن والحديث نحو انك ميت وانهم ميتون اي ستموت وسيموتون وقوله عليه الصلوة والسلام من قتل قتيلا فله سلبه وكما تقول لمن رايته متجهزا للسفر انك مسافر والثالث ان قوله اني سقيم اي مريض القلب

بسبب اطباق ذلك الجمع العظيم على الكفر والشرك والرابع انا لا نسلم ان النظر في علم النجوم والاستدلال بها اثمها حرام لان من اعتقد ان الله خص كل واحد من هذه الكواكب بقوة وخاصية لاجلها يظهر منه اثر مخصوص فهذا العلم على هذا الوجه ليس بباطل واما الكذب فغير لازم لانه ذكر قوله اني سقيم على سبيل التعريض بمعنى ان الانسان لا ينفك اكثر احواله عن حصول حالة مكروهة اما في بدنه واما في قلبه وكل ذلك سقم والخامس انه عليه السلام نظر في النبات متحريا وهو شفاء السقم ويقال للنبات نجوم اواراد من السقم الموت اى بصدد الموت فيكون سقيما بالفعل بطريق التورية على انه حامل للموت في عنقه ومن يحمل الطاعون والحمى فهو سقيم فحامل الموت بطريق الاولى روى انه مات رجل فجاءة فقيل سبحان الله مات وهو صحيح فقال اعرابي أصحيح من الموت في عنقه والسادس انه نظر نظرة في نجوم كلامهم ومتفرقات اقوالهم فان الاشياء التي تحدث قطعة قطعة يقال انها منجمة اى متفرقة ومنه نجوم الكتابة والمعنى انه لما سمع كلماتهم المتفرقة نظر فيها حتى يستخرج منها حيلة يقدر بها على اقامة عذر

لنفسه فی التخلف عنهم فلم یجد عذرا احسن من قوله انی سقیم لئلا
یخرجوه الی معبدهم فانه کان اغلب سقامهم الطاعون وکانوا یخافون
العدوی فلذا ترکوه وخرجوا کلهم الی معبدهم وارادمن السقم ماذکرنا
فان قیل اخرج ابوداود والترمذی وابن المنذر وابن ابی حاتم وابن
مردویه عن ابی هریرة رضی الله عنه قال قال رسول الله صلی الله علیه وسلم
لم یکذب ابراهیم فی شئ قط الا فی ثلاث کلهن فی الله قوله انی سقیم ولم یکن
سقیما وقوله لسارة اختی وقوله بل فعله کبیرهم قلت هذا الحدیث وامثاله
لاینبغی ان یقبل لان نسبة الکذب الی ابراهیم علیه السلام غیر جائز فان
قیل کیف تحکم بکذب الرواة العدول مع ان امثال هذا الحدیث موجودة
فی الصحیحین مثل حدیث الشفاعة قلت لما وقع التعارض بین نسبة الکذب
الی الراوی وبین نسبته الی الخلیل علیه السلام فنسبة الکذب الی الراوی
اولی بالضرورة من نسبة الکذب الی النبی وعلی تقدیر القبول لم لا یجوز
ان یکون المراد بکونه کذبا خبرا شبیها بالکذب لا الکذب حقیقة لان
کلام ابراهیم علیه السلام قرینة دالة علی انه تجوز فیه ولم یرد
ظاهره لانه قال لسارة انک اختی فی الاسلام کما فی حدیث اخرے

ونسبة الفعل الى الجماد قرينة على انه مؤول او مجوز فيه فلا يكون كذبا لاسيما فيه قول بالتوقف على بل فعله ولا ابتداء بقوله كبيرهم هذا كما سيجيء ان شاء الله تعالى قريبا لا انه لما كان شانه عاليا عن الكناية بالحق فيقع ذلك من فعل الكذب عن غير الانبياء او لانها لما كانت صورتها صورة الكذب سميت كذبات حاصل الكلام ان كان المراد بالكذبات المذكورة فى الاخبار الكذب حقيقة فلا نسلم صحة الاخبار لان الانبياء معصومون عنه وان كان المراد بها الكذب صورة لا حقيقة فلا يضر مطلوبنا كما قال القسطلانى فى رد كلام الامام من قوله واما قول الامام فخر الدين لا ينبغى ان ينقل هذا الحديث لان فيه نسبة الكذب الى ابراهيم وقول بعضهم فكيف يكذب الراوى العدل وجواب الامام له بانه لما وقع التعارض بين نسبة الكذب الى الراوى ونسبة الكذب الى الخليل كان من المعلوم بالضرورة ان نسبته الى الراوى اولى فليس بشئ اذ الحديث صحيح ثابت وليس فيه نسبة محض الكذب الى الخليل وكيف السبيل الى تخطية الراوى مع قوله انى سقيم وبل فعله كبيرهم هذا وعن سارة اختى اذ ظاهر هذه الثلاثة بلا ريب غير مراد ليس بشئ لان الامام لم ينكر عن صحة الاخبار مطلقا بل على تقدير

ارادة الكذب حقيقة كما عرفت فافهم ورابعها اى رابع الامور قوله تعالى
بل فعله كبيرهم هذا فاسئلوهم ان كانوا ينطقون بان ابراهيم عليه السلام
نسب الفعل الصادر منه الى الصنم الكبير وهو كذب واجيب عنه بوجوه احدها
ما مر آنفا وثانيها ان ابراهيم عليه السلام لم يقصد باسناد الفعل الى الكبير
ان ينسب الفعل الصادر منه الى الصنم الكبير بل قصد به تقرير الفعل لنفسه
واثباته لها على اسلوب تعريضى مع الاستهزاء بالكبير لان اثبات الفعل
الدائر بين الشخصين لمن هو العاجز منهما استهزاء بالعاجز واثبات للقادر
منهما كما اذا اجبت من قال لك انت كتبت هذا وانت شهير بحسن الخط
وهو امى لا يحسن الخط ولا يقدر الا على الخرخشة الفاسدة بل كتبت
انت فان قصدك بهذا الجواب تقرير الكتابة لك مع الاستهزاء بالامى
لا نفيه عنك واثباته للامى وثالثها ان اسناد الفعل الى الكبير من قبيل اسناده
الى السبب الحامل فانه عليه الصلوة والسلام لما رأى الاصنام مصطفة مزينة
يعظمها المشركون ورأى على الكبير ما يدل على زيادة تعظيمهم وتخصيصهم اياه
بمزيد التواضع والخضوع اشتد بغضه وغيظه له فحمله ذلك البغض على
ما فعل بتلك الاصنام فلذلك اسند الفعل الى الكبير لا لانه هو المباشر

للفعل الا انه ابقى الكبير مع انه هو السبب الحامل له على استهانة الاصنام
وكسرها ليورد عليهم هذا القول الموهم لكون الاسناد اليه حقيقيا ليظهر
جهلهم في عبادة الاصنام وهذا الجواب اجود من الثاني لان خلاصة المعنى
في المثال المذكور مجرد تقرير الكتابة لنفسه وادعاء ظهور الامر مع الاستهزاء بالسائل
وتجهيله في السؤال لابتنائه على ان صدورها من غيرك محتمل عنده مع استحالته
عندك ولا ريب في ان مراده عليه السلام من اسناد الفعل الى الصنم ليس مجرد
تقريره لنفسه ولا تجهيلهم في سؤالهم لابتنائه على احتمال صدوره عن الغير
عندهم بل انما مراده عليه السلام توجيههم نحو التأمل في احوال اصنامهم كما
ينبئ عنه قوله فاسئلوهم ان كانوا ينطقون ورابعها انه لم يسند الفعل اليه
اعتقادا بل اسنده حكاية لما يلزم على مذهبهم جوازه كانه قال لهم كيف
تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى الها ان يقدر
على هذا واشد منه ويؤيد هذا الوجه ما يحكى انه قال فعله كبيرهم هذا بناء
على انه غضب ان تعبد معه هذه الصغائر وهو اكبر منها هيئة واثرت
منها جوهرا فانه لا وجه لهذا القول الا ان يكون على سبيل الحكاية لما يلزم
من مذهبهم فيكون تمثيلا اراد به عليه السلام تنبيههم على غضب الله تعالى عليهم

لاشراكهم بعبادة الاصنام وخامسها ان اسناد الفعل الى الكبير مشروط
بقوله ان كانوا ينطقون جعل النطق شرطا للفعل وارادبه انهم ان قدروا
على النطق قدروا على الفعل فلما ظهر عجزهم عن النطق تبين عجزهم
عن الفعل ايضا وسادسها ما يروى عن الكسائى انه كان يقف عند قوله
بل فعله ثم يبتدئ كبيرهم هذا اى فعله من فعله فيكون كناية عن غير مذكور ويجوز
ان يرجع الضمير الى فتى او الى ابراهيم وسابعها انه يجوز ان يكون فيه وقف
عند قوله كبيرهم ثم يبتدئ فيقول هذا فاسئلوهم والمعنى بل فعله كبيرهم و عنى
نفسه لان الانسان اكبر من كل صنم وثامنها ما فى اليواقيت نافلا
عن الشيخ الاكبر انه اجتمع روحه مع خليل عليه السلام قال فقلت له يا ابت
لم قلت بل فعله كبيرهم قال لانهم كانوا قائلين بكبرياء الله تعالى على الهتهم
اللتى اتخذوها فقلت له فما كان خطيئتك فى قولك والذى اطمع ان يغفرلى
خطيئتى يوم الدين فقال هى نسبة المرض الى نفسى فى قولى واذا مرضت
فهو يشفين معه انه فى الحقيقة لم يمرضنى الا الله تعالى فهذا كان خطيئتى ثم قلت
له ولم قال تعالى فى حقك وانه فى الآخرة لمن الصالحين فخص صلاحك بالآخرة
واطلق الصلاح لغيرك من الانبياء فى الدنيا والآخرة فقال لان الصالح

من شرط ان لا يضيف الى نفسه شيئاً الا باضافة الله تعالى وقد اضفت
الى نفسي وغيرها ما ليس لها بغير اذن خاص من الله بقولي اذا مرضت وقولي
اني سقيم وقولي بل فعله كبيرهم هذا واجاب بعضهم عن الطعن المذكور بان
الكذب ليس قبيحا لذاته وانما يقبح لاشتماله على مفسدة وقد يحسن الكذب
لاشتماله على مصلحة كتخليص ونحوه وحاصل كلام هذا البعض ان الكلام وسيلة
الى المقاصد فان كان المقصود مباحا ولم يكن اليه التوصل الا بالكذب
فهو مباح وان كان المقصود واجبا ولا يتوصل اليه الا بالكذب فالكذب
واجب والحق ان هذا الجواب مزيف لانا لو جوزنا ان يكذب النبي لمصلحة
يبطل الوثوق بالشرائع فلعل الانبياء اخبروا بما اخبروا لمصلحة المكلفين في
باب المعاش مع انه ليس للمخبر عنه وجود في الواقع والعقل حاكم بان الرسول لابد
ان يكون موثوقا به ليعلم صدق ما جاء به عن الله ولا ثقة مع تجويز الكذب
عليه فكيف مع وجود الكذب عنه وخامسها اي خامس الامور احتجوا بقوله تعالى
حكاية عن ابراهيم عليه السلام واغفر لابي انه كان من الضالين وايضا
قال عنه اغفر لي ولوالدي وقال الله حكاية عنه في سورة مريم قال سلام
عليك سأستغفر لك ربي وقال ايضا لاستغفرن لك بانه قد ثبت

ان الاستغفار للكافر لا يجوز لقوله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا
للمشركين ولو كانوا اولي قربى وارتكاب غير الجائز ذنب ومعصية والجواب عن
هذا الاعتذال بوجوه الاول ان المغفرة مشروط بالاسلام وطلب المشروط
متضمن الطلب لشرطه فقوله واغفر لابي وامثاله يرجع الحاصل الى انه دعا لابيه
بالاسلام والثاني ما قال الله تعالى وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة
وعدها اياه وفيه قولان الاول ان يكون الواعد اباه ابراهيم عليه السلام في المعنى
ان اباه وعده ان يؤمن فكان ابراهيم عليه السلام يستغفر له لاجل ان يحصل هذا المعنى
فلما تبين له انه لا يؤمن وانه عدو لله تبرء منه وترك ذلك الاستغفار الثاني
ان يكون الواعد ابراهيم عليه السلام وذلك انه وعد اباه ان يستغفر له رجاء
اسلامه فلما تبين له انه عدو لله تبرء منه والدليل على صحة هذا التاويل قراءة
الحسن وعدها اباه بالباء الموحدة والثالث ما قال بعض الفضلاء ان اباه قال انه
[illegible] على دينه وظاهر التقية وخوفا وتعاله لاعتقاده ان الامر كذلك
[illegible] ان ذلك دينه ولذلك قال انه كان من الضالين فلولا
[illegible] في الحال لم يبين لما قال ذلك [illegible] اي سادس الاصول
قوله تعالى حكاية عنه عليه السلام واجنبني وبني ان نعبد الاصنام بانه عليه السلام

طلب من الله ان يحفظه عن عبادة الاصنام ولا شك ان عبادة الاصنام
شرك وكفر كما قال اني بريء مما تشركون وصدور الشرك عن الانبياء
محال عقلا ونقلا واذا كان الامر كذلك فيكون سؤال ... شيء
بلا فائدة وكلما ليس فيه فائدة فهو عبث وكل عبث حرام وارتكاب الحرام
مذنب اجيب عنه بوجوه الاول جاز ان يكون طلبه هذا قبل ... بعصمته
وامنه لان الامن لا يحصل الا بالاخبار من الله تعالى فلما اخبره الله تعالى
بامنه وعصمته من عبادة الاصنام صار مامونا انما طلب العصمت بعده
والثاني انه عليه السلام وان كان يعلم ان الله سبحانه وتعالى عصمه من عبادة الاصنام
الا انه دعا لنفسه لزيادة العصمة والثبات والدوام كما في قوله واجعلنا مسلمين
لك اى ثبتنا على الاسلام والثالث انه عليه السلام دعا هذا الدعاء هضما لنفسه
واظهارا للعجز والحاجة والفاقة الى فضل الله تعالى ورحمته وان احدا لا يقدر
على منع نفسه شيء لم يمنعه الله تعالى به فلهذا السبب دعا لنفسه هذا الدعاء
والرابع ان المراد بالاصنام الاعواض والاغراض فيكون مراده عليه السلام
بهذا الدعاء طلب العصمة من العبادة بمقابلة الاغراض والاعواض والعبادة
المذكورة وان لم تكن كفرا وشركا لكن تنافى الاخلاص عند اهل

الشرع واما عند الصوفية فهو شرك كما قالوا الشرك نوعان شرك
جلي وهو الذي يقول به المشركون وشرك خفي وهو تعليق القلب بالاسباب
الظاهرة والتوحيد المحض هو ان يقطع نظره عن الوسائط ولا يرى متفرغا
الا الحق سبحانه وتعالى فاراد عليه السلام بهذا الدعاء العصمة من الشرك الخفي
بهذا المعنى والخامس سلمنا كونه عليه السلام عالما بان الانبياء معصومون
من الشرك مطلقا الا انه دعا في حالة الخوف اذهله عن علم ذلك فان الانبياء
اعرف بالله من جميع الناس فخوفهم اكثر من خوف غيرهم فهو دعا لنفسه في مقام
الخوف والسادس انه عليه السلام دعى لبنيه الا انه قصد به الجمع بينه وبين بنيه
ليستجاب الدعاء فيهم ببركته واجاب بعضهم بان ارادة الذرية والاولاد واضافهم
الى نفسه لان الذرية منه فان قيل لما كان مراده عليه السلام بالدعاء عصمة
بنيه فلا يخلو اما ان يكون المراد عصمة ابنائه الصلبية او اعم لا سبيل الى
ارادة الثاني لان كفار قريش من اولاد اولاده وهم يعبدون الاصنام مع
ان الانبياء مستجاب الدعوات في حق من دعا لهم فتعين الاول وليس له من
صلبه سوى اسمعيل واسحق عليهما السلام وهما من اكابر الانبياء فيرد عليه الاشكال
المذكور بعينه قلت يجوز ان يكون المراد عصمة ابنائه الصلبية ويكون هذا الدعاء

قبل العلم بنبوة ابنائه وعلى تقدير كون الدعاء بعد العلم بنبوة ابنائه الصلبية

يجوز ان يكون غرضه عليه السلام التثبيت والدوام كما فى قوله واجعلنا مسلمين

لك ويجوز ان يكون مراده عليه السلام من بنيه اعم من اولاده واولاد

اولاده الذين كانوا موجودين وقت الدعاء ولا شبهة ان دعوته لا

مجابة فيهم والجواب بما قال مجاهد بانه لم يعبد احد من ولد ابراهيم

عليه السلام صنما والصنم هو التمثال المصور وما ليس بمصور فهو وثن وكفار

قريش ما عبدوا التماثيل وانما كانوا يعبدون احجارا مخصوصة واشجارا

مخصوصة ليس بقوى لانه عليه السلام لا يجوز ان يريد بهذا الدعاء الا

عبادة غير الله تعالى والحجر كالصنم فى ذلك ويجوز ان يكون المراد من بنيه

اولاده واولاده الذين اذن الله ان يدعو لهم فكانه قال وبنى الذين اذنت لى

فى الدعاء لهم ولا شك فى عصمتهم من عبادة الاصنام يعنى يكون الدعاء

مختصا بالمؤمنين من اولاده واولاده والدليل عليه انه قال فى آخر الآية

فمن تبعنى فانه منى وذلك يفيد ان من لم يتبعه على دينه فانه ليس منه

ونظيره قوله تعالى لنوح عليه السلام انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح

الفصل الرابع فى شان سيدنا لوط عليه السلام

واستدل الطاعنون فی عصمت الانبیاء علی عدم عصمته علیه السلام بقوله تعالی
حکایة عنه وعن قومه قال یا قوم هؤلاء بناتی هن اطهر لکم فاتقوا الله ولا
تخزون فی ضیفی الیس منکم رجل رشید قالوا لقد علمت ما لنا فی بناتک من
حق وانک لتعلم ما نرید قال لو ان لی بکم قوة او آوی الی رکن شدید من
وجوه الاول انه علیه السلام عرض بناته علی الاوباش والفجار ودعاهم
الی الزنا بالنسوان وهو ذنب ومعصیة والثانی ان قوله هن اطهر لکم
یقتضی بظاهره کون العمل الذی یطلبونه من الرجال طاهرا مع انه قبیح
لا طهارة فیه اصلا والقول بطهارة الفعل القبیح ذنب بلا شبهة والثالث
ان قوله او آوی الی رکن شدید یدل علی قنوط کلی ویأس شدید
من ان یکون له ناصر ینصره والیاس والقنوط الکلی من نصر الله تعالی
ذنب لا ریب فیه اجاب بعضهم عن الوجه الاول بانه علیه السلام ما دعاهم
الی الزنا نعوذ بالله من هذا القول الباطل بل دعاهم الی التزویج ببناته اما لشرط
ان یقدموا الایمان ولهذا قالوا ما لنا فی بناتک من حق یعنی انک دعوتنا
الی نکاحهن لشرط الایمان ولا نرید ذلک واما لکون جواز نکاح
المؤمنة مع الکافر فی شریعته وهکذا کان فی اول الاسلام

بدليل ان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم زوج ابنته من ابي العاص ابن
وائل وعتبة ابن ابي لهب قبل الوحي وهما كافران ثم نسخ ذلك بقوله
تعالى ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا وكان خطاب لوط عم لرئيسي
قومه وهما اثنان وبناته عليه السلام ايضا كانتا ثنتين كما جاء في روايه
واعلم ان هذا الجواب وان كان صحيحا لكن الاولى في الجواب ما
قال مجاهد وسعيد بن جبير ان لوط عليه السلام اراد ببناته نساء
قومه لانهن في انفسهن بنات واضافهن الى نفسه لان كل نبي
ابو امته كما في قراءة أبي ابن كعب رضي الله عنه النبي اولى بالمؤمنين
من انفسهم وازواجه امهاتهم وهو اب لهم فعلى هذا التقدير يكون
معنى قولهم ما لنا في بناتك من حق ليس لنا في النساء حاجة
ولا فيهن شهوة بل نريد اتيان الرجال في ادبارهم والجواب عن الوجه
الثاني ان قوله اطهر لكم جار مجرى قولنا الله اكبر والمراد انه كبير لان
افعل قد يجئ بمعنى اصل الفعل فلا يدل على ان اتيان الذكور كان طاهرا
كما لا يدل قولنا النكاح اطهر من الزنا على كون الزنا طاهرا لانه خبث
ليس فيه شئ من الطهارة ويقال ان هؤلاء القوم اعتقدوا ذلك

طهارة فبنى ذلك على زعمهم الفاسد واعتقادهم الباطل فلا اشكال
فيه واما الجواب عن الوجه الثالث فبوجوه احدها انه عليه السلام التجا
الى الله تعالى فيما بينه وبين الله تعالى واظهر للاضياف لعذر وضيق
الصدر والثانى هو ان العارف التام المعرفة قد يظهر عليه آثار النزول
فحينئذ يكون على هيئة العوام متشبثا بالاسباب كما
بينا فى فصل الثالث وحال لوط عليه السلام من هذا القبيل وايضا كان
نظره عليه السلام على الضعف الذى جبل الانسان عليه كما قال الله تعالى
خلقكم من ضعف ولذا قيل العارف التام المعرفة ينظر الى هذا الضعف
ذوقا وحالا ويكون فى غاية العجز والضعف عن التاثير والتصرف
لانقهاره تحت الوحدة الجمعية وقد قال الله تعالى فاتخذوه
وكيلا والوكيل هو المتصرف فان الهم التصرف بحزم تصرف وان منع
امتنع وان خير اختار ترك التصرف الا ان يكون ناقص المعرفة
والحاصل ان لوط عليه السلام لما شاهد سفاهة القوم واقدامهم
على سوء الادب تمنى حصول قوة قوية على الدفع ثم استند ركه على نفسه وقال
بل الاولى ان آوى ركن شديد وهو الاعتصام بعناية الله تعالى

وحمايته فقوله او آوى الى ركن شديد كلام منفصل عما قبله ولا تعلق له بماقبله كما قال الشيخ محي الدين النووي رحمة الله تعالى المراد بالركن الشديد هو الله عز وجل فانه اشد الاركان واقواها وامنعها بيت

آستانش که قبلهٔ همه است	در پناهش ز ماهی تا بمه است
هر که دل در حمایتش بست است	از غم هر دو کون وارست است

اذا عرفت هذا فاعلم ان قوله او آوى الى ركن شديد يدل على كمال وثوقه بنصر الله تعالى لا على اليأس والقنوط الكلي كما توهمه الطاعن والثالث انه عليه السلام بنى الالتجاء الى الله تعالى في حماية الاضياف لشدة الاضطراب من شدة الكفار وشرارتهم فلذا قال نبينا عليه السلام استغرابا لاضطرابه عليه السلام رحم الله لوطا الى اخره وان سلمنا ان المراد بالركن الشديد هو الموضع المحكم الذي لا يقدر العدو على الدخول فيه كالحصن الحصين فهو ايضا لا ينافي التوكل على الله والوثوق به كحمل السلاح ولبس الدرع وغيرهما من اسباب التوقي ودفع الموذي بل هو عين التوكل به تعالى وتقدس الفصل

الخامس في شان ساداتنا يعقوب عليه السلام وابنائه غير يوسف عليه السلام

واحتج الطاعنون في عصمة الانبياء على عدم عصمة يعقوب عليه السلام
بامرين احدهما قوله تعالى حكاية عنه عليه السلام فصبر جميل والله المستعان
على ما تصفون فانه لما ظهر عنده عليه السلام بالقرائن كذب بنيه في قولهم
وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب فصبر على فراق يوسف عليه السلام
والصبر على قضاء الله تعالى واجب فاما الصبر على ظلم الظالمين ومكر
الماكرين فغير واجب بل الواجب ازالته لاسيما في الضرر العائد الى الغير
وههنا ان اخوة يوسف عليه السلام لما ظهر كذبهم وخيانتهم فلم صبر يعقوب
عليه السلام على ذلك ولم لم يبالغ في التفتيش والبحث سعيا منه في
تخليص يوسف عليه السلام عن البلية والشدة ان كان في الاحياء وفي
اقامة القصاص ان صح انهم قتلوه فثبت ان الصبر في هذا المقام مذموم
معانه عليه الصلوة والسلام كان عالما بانه حي سليم لانه قال له وكذلك يجتبيك
ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث والظاهر انه انما قال هذا الكلام من
الوحي واذا كان عالما بحياته فكان من الواجب ان يسعى في طلبه وايضا
ان يعقوب عليه السلام كان رجلا عظيم القدر في نفسه وكان من بيت
عظيم شريف واهل العالم كانوا يعرفونه ويعتقدون فيه ويعظمونه فلو بالغ

فى الطلب والتفحص لظهر ذلك واشتهر ولزال وجه التلبيس ومن عليه السلام
مع شدة رغبته فى حضور يوسف عليه الصلوة والسلام ونهاية حبه له
لاى سبب لم يطلبه مع ان طلبه كان من الواجبات فثبت ان هذا الصبر
فى هذا المقام مذموم عقلا وشرعا وارتكاب مثل هذا الامر
ذنب واجيب عن هذا الطعن بوجوه الاول جاز انه تعالى منعه من الطلب
تشديد المحنة عليه وتغليظا للامر عليه والثانى لعله عرف بقرائن
الاحوال ان اولاده اقوياء وانهم لا يمكنونه من الطلب والتفحص وانه
لو بالغ فى البحث فربما اقدموا على ايذائه وقتاله والثالث لعله عليه السلام
علم انه تعالى يصونه عن البلاء والمحنة وان امره سيعظم بالآخرة
ثم لم يرد هتك استار سرائر اولاده وما رضى بالقائهم فى السنة الناس
وذلك لان احد الولدين اذا ظلم الآخر وقع الاب فى العذاب الشديد
لانه ان لم ينتقم يحترق قلبه على الولد المظلوم وان انتقم
فانه يحترق قلبه على الولد الذى ينتقم منه فلما وقع يعقوب عليه السلام
فى هذه البلية اى ان الاصوب الصبر والسكوت والتفويض الامر الى الله
تعالى بالكلية ثانيهما اى ثانى الامرين قوله تعالى وتولى عنهم

وقال يا اسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو
كظيم قالوا تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا او تكون من الهالكين
قال انما اشكو بثى وحزنى الى الله والله اعلم من الله ما لا تعلمون اما
استدلال الطاعنين بهذه الآية فمن وجهين الاول انه عليه السلام
قال يا اسفا على يوسف وهذا اظهار للجزع وجار مجرى الشكاية من
الله وانه لا يجوز لانه عند استيلاء الحزن الشديد فكان الواجب عليه
ان يشتغل بذكر الله تعالى وبالتفويض اليه والتسليم لقضائه وارتكاب
ما لا يجوز ذنب والثانى ان بلوغ يعقوب فى حب يوسف عليه السلام الى
هذا الحد العظيم لا يليق به لانه شان من كان غافلا عن الله فان من
عرف الله احبه ومن احب الله لم يتفرغ قلبه لحب شىء سوى الله تعالى
وايضا القلب الواحد لا يتسع للحب المستغرق للشيئين فلما كان
قلبه مستغرقا فى حب ولده امتنع ان يقال انه كان مستغرقا فى حب الله
تعالى والغفلة من الله تعالى واستغراق القلب فى حب غيره ذنب عظيم
خصوصا للانبياء عليهم السلام ولهذا قال اهل التصوف ان الصوفى بعد
فنائه قلبه لا يشتغل قلبه بغير الله سبحانه ولا يسع فيه محبة احد من الخلق

فما بال يعقوب عليه السلام وهو من الانبياء الكبار والمصطفين الاخيار اولى الايدي والابصار قد شغفه حب يوسف ع الكريم حتى ابيضت عيناه من البكاء عليه وهو كظيم وما قيل ان العالم باسرها مجال ومرايا الله تعالى فاشتغال قلبه بيوسف اشتغال به تعالى في الحقيقة فذلك قول في غلبة التوحيد لاهل الابتداء او التوسط وينكشف منه اهل الانتهاء فكيف الانبياء عليهم السلام فلو كان كذلك فلا وجه لتخصيص تعلق الحب بيوسف عليه السلام دون غيره والجواب عن الوجه الاول انه عليه الصلوة والسلام لما عظمت مصيبته وقويت محنته فصبر وتجرع الغصة وما اظهر الشكاية مع احد من الخلق بدليل قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله ولا ذنب في بث الشكوى والحزن الى الله تعالى في مصائب تكون من جهة العباد سيما وقد قيل انه كان من خوف ان يموت يوسف عليه السلام على غير دين الاسلام كما جاء في بعض الاخبار قال يوسف عليه السلام يا ابت بكيت علي حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت ان يسلب دينك فيحال بيني وبينك وهذا السبب

استوجب المدح العظيم والثناء الكريم والاجر الجزيل كما روى
ان يوسف عليه السلام سأل جبرئيل عليه السلام هل لك علم بيعقوب
قال نعم قال وكيف حزنه قال حزن سبعين ثكلى وهي التي لها ولد واحد
ثم يموت قال فهل له فيه اجر قال نعم اجر مائة شهيد واما مجرد حزن القلب
وسيلان الدمع والتأسف عند المصيبة اذا لم يكن معه نوحة وامثال
ذلك من ضرب الخد وشق الجيب وغيرهما فليس فيهما ذنب لما روى ان النبي عليه الصلوة
والسلام بكى على ولده ابراهيم وقال ان القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول
ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون ولان استيلاء الحزن
على الانسان ليس باختياره فلا يكون ذلك داخلا تحت التكليف
واما التأوه وارسال البكاء فقد يصير بحيث لا يقدر على دفعه
الانسان والجواب عن الوجه الثاني ان مثل هذه المحنة الشديد تزيل
عن القلب كل ما سواه من الخواطر ثم ان صاحب هذه المحنة الشديدة
لا يكون غافلا من الله بل يكون كثير الرجوع الى الله وكثير الاشتغال بالدعاء
والتضرع اليه فيصير ذلك سببا لكمال الاستغراق ويؤيده ما نقل
عن العارف الكامل سري سقطي رضي الله عنه انه رأى في المنام

يعقوب عليه السلام فقال له يا حبة الانبياء ما هذا الاضطراب ثالث
قد اشتهرت في الدنيا بحب يوسف عليه السلام ففي موضع حبه كيف جمع
حب الله فسمع منادیا ينادی من الغيب يا سری اسکت وانظر الى
جمال يوسف فكشف له جمال يوسف عليه السلام فبمجرد المعاينة صاح
صيحة وخر على الارض مغشيا على الارض الى ثلاث عشرة ايام فلما
افاق سمع هاتفا يقول هذا اجزاء من لا وم احباء الله تعالى
واما ما قالت الصوفية فالجواب عن قولهم انه لا يمكن اشتغال
قلب الصوفي بعد الفناء لشيء من الاشياء الدنيوية واما الاشياء
الاخروية فليس هذا اشانها فانها مرضية عند الله تعالى وتعلق القلب
بها مرضى له تعالى قال الله تعالى واذكر عبادنا ابراهيم واسحق
ويعقوب ولى الايدى والابصار يعنی اولى القوة في طاعة الله تعالى
وبصارة في معرفة الله تعالى واحكامه انا اخلصناهم بخالصة ذكرى
الدار اى جعلنا خالصين بخصلة خالصة لا شوب فيها هي ذكر
دار الاخرة قال مالك ابن دينار في معناه نزعنا من قلوبهم حب الدنيا
وذكرها واخلصناهم بحب الاخرة وذكرها وجعلنا الاخرة

مطمح نظرهم فیما یأتون وهذه الآیة صریح فی ان الآخرة مرضیة له تعالی
وجهها وما فیها موجب للمدح وما کان حب یعقوب علی یوسف علیهما السلام
لامر دنیوی بل کان لاجل الآخرة کما یدل علیه الکلام الاتی قال سیدی
ومقتدای المجدد الالف الثانی رضی الله عنه المعنی المتنزیه لیست
فی الدار الدنیا کسوت الحروف والکلمات وسیلبس فی الجنة کسوت
الاشجار والثمرات فتعلق الحب بما کانه تعلق بالتنزیهات وقس علی
وقال ایضا عندی ان جنة کل واحد عبارة عن ظهور اسم من اسماء الله تعالی الذی
وهو مبدء التعین وان ذلک الاسم قد سیظهر لذلک الشخص بصورة الاشجار
والانهار والحور والقصور والولدان فتفاوت الجنات للاشخاص
علی حسب تفاوت الاسماء والصفات من حیث الجامعیة وعدمها
وباعتبار قربه من الذات وغیر ذلک وتلک الاشجار ونحوها قد تکون
علی هیئة الاجرام الزجاجیة فتصیر وسیلة لرؤیة الذات الغیر المتکیفة
ثم یعود کما کانت هذا الی ابد الآباد فان قیل ان الممکن فی نفسه لیس
بعدم ومقتضی للشر والنقص وما فیه من الحسن والجمال والخیر والکمال
مستعار من الواجب والمحبة واشتغال القلب بما یتعلق بالحسن والجمال

وذلك مستعار في كل ممكن من الواجب تعالى فما وجه الفرق بين الاشياء
الدنيوية والاخروية وجواز تعلق الحب باحدهما دون الاخرى
قلنا العالم باسرها مجال ومظاهر لاسمائه وصفاته تعالى ممكنة
في حد ذاتها واجبة لغيرها اى بذات الله تعالى لاحتياجها الى الذات لكن
لا يطلق عليها لفظ الامكان والوجوب بالغير لئلا يوهم حدوثها
وانفكاكها عن الذات ولما كانت الصفات ممكنة في حد ذاتها
وان كان انعدامها مستحيلا بغيرها ففيها رائحة الامكان والعدم
ولاجل ذلك تنكشف الصفات عند الصوفي ذوجهتين وجه جانب
الوجود المستفاد من مرتبة الذات ووجه جانب احتمال العدم
نظرا الى امكانها في ذاتها فوجهته وجودها حسن وجميل لا محالة
ووجهة عدمها ايضا لا تخلو عن حسن وجمال بمجاورة وجهته الوجود
وان كان ذلك الحسن في مرتبة الوهم فيعلم انه يظهر في نظر الكشف
ان صفاته تعالى تجلت في الاشياء الدنيوية لوجهتها التي الى الاعدام
فهي من هذه الحيثية مربيات الاشياء الاخروية ولذلك
صارت الاخرى مرضية له تعالى مغضوب له عنده وصار تعلق القلب

بتلك الاشياء كتعلقه بصاحبها فالكاملون فى محبة الله تعالى الكاملون
فى محبة الدار الآخرة وهذا وجه الفرق بين الاشياء الدنيوية
والاخروية وجواز تعلق الحب باحديهما دون الاخرى اذا تمهد هذا
فاستمع انه ذكر المجدد للالف الثانى رضى الله عنه ان وجود يوسف
عليه السلام وجماله وان كان مخلوقا فى الدار الدنيا لكنه كان على
خلاف سائر الاشياء الموجودة فيها بل هو من جنس الموجودات الاخروية
ومرتبها صفات الله تعالى بوجهها التى الى الوجود كما رتبة الجنة وما فيها
من الحور والغلمان فلاجرم جاز تعلق قلب اهل الكمال بجماله
عليه السلام كما جاز التعلق بالجنة وما فيها وقد ظهر هذا بالنظر الصحيح
والكشف الصحيح لا نتوهم احد انه يلزم حينئذ فضل يوسف عليه السلام
على سائر الانبياء بل على افضلهم عليه وعليهم الصلوة والتسليمات فان
الكلام المذكور يشعر ان غير يوسف عليه السلام من الانبياء فى الدنيا
مجال للصفات بوجهتها الى العدم لان هذا الاشعار انما هو بمفهوم القلب
ولا عبرة للمفهوم بل الحق ان الانبياء كلهم عليهم الصلوة والتسليمات مجال
للصفات باعتبار وجهتها الى الوجود الصرف وليس عدم ظهوره حسن الآخرة

منهم وفي الدنيا لكونهم محال للصفات نوجهتها الى العدم بل الامر خفي لا يعلمه الا الله اذا دريت هذا فاعلم ان الصوفي لبعد فناء قلبه لا يشغل قلبه بغير الله تعالى ولا يسع في قلبه محبة احد من الخلائق لكن لا ينافي ذلك اشتغال قلبه بمحبة الانبياء فان محبتهم عين محبة الله عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس اجمعين متفق عليه وعنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثلث من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان من كان الله ورسوله احب اليه مما سواهما الخ متفق عليه وايضا استدلوا على عدم عصمة اخوة يوسف عليه السلام بامرين احدهما قوله تعالى فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابت الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وجاء وا اباهم عشاء يبكون قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب الخ فان هذا يدل على صدور الذنب عن اخوة يوسف عليه السلام من وجوه الاول انهم كذبوا في قولهم تركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب والكذب

ذنب ومعصية والثاني انهم آذوا يوسف عليه السلام والقوه في غيابت الجب
وهو ظلم والظلم ذنب عظيم والثالث انهم آذوا يعقوب عليه السلام وهو نبيهم
وايذاء الانبياء كبيرة لقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله
في الدنيا والاخرة والرابع ان يعقوب ع ابوهم وايذاء الاب ذنب عظيم
لقوله تعالى ولا تقل لهما اف الخ واجاب بعضهم لا فاصل عن الوجه الاول
بانهم ما كذبوا في الحقيقة لان مرادهم انه اكله الذئب على زعمك حيث
قلت اني اخاف ان ياكله الذئب وهو ليس بذنب ولا يخفى ما في هذا
الجواب من الوهن على من له ادنى دراية وعن الثالث انهم لما رأوا كون
يوسف عليه السلام محبوبا لابيهم مع انه غيرنا فع له وهم يخدمون للاب
بانواع الخدمات وينفعون له من وجوه كثيرة ومع هذا لا يصلون الى درجته
علموا ان محبت الاب على يوسف ليس لاجل العلة والمحبت لغير العلة
صفة الله تعالى اذ كل حب بين المخلوق فهو معلول بالعلة فارادوا ان
يرفعوا يوسف من بين يديه لتنعدم عنه هذه المحبة التي هي صفة الحق
وهم فيه معذورون لعدم علمهم بان جمال يوسف عليه السلام مرءة لمشاهدة
الحق تعالى وهو السر الباعث على كونه محبوبا ليعقوب ع اقول لا انهم معنى

قول المجيب في المحبت لغيرالعلت صفة الله تعالى انكان معناه ان محبت المخلوق
على الخالق تكون بلاعلة وغرض فهذا خلاف الواقع وان كان معناه
ان محبت الخالق على المخلوق تكون بلاعلة وغرض راجع اليه تعالى
فهذا احق لكن لا مضايقة في اتصاف العبد بصفات الله تعالى بل هو
عين الكمال فكانهم اختاروا القبائح المذكورة ليجتنب ابوهم عن اتصافه
بصفة الله تعالى الذي هو عين كمال الانسان وهذا غير معقول وقال
بعض المفسرين ان اخوة يوسف عليه السلام ما كانوا انبياء لما روي ان
يعقوب عليه السلام لما دخل مصر راى اهلها يعبدون الاوثان والنيران
فخاف على بنيه بعد وفاته فقال لهم وقت وفاته ما تعبدون من بعدي
قالوا نعبد الهك واله اباءك الاية ولو كانوا انبياء ما خاف هو عليهم
لان الانبياء مامونون عن عبادة الاوثان فلا يرد الاشكال والاولى
في الجواب عن الوجوه كلها ان يقال على تقدير نبوتهم ان اخوة يوسف ع
فعلوا ذلك قبل النبوة ولا ندعي العصمة قبلها فلا يتوجه الايراد واما
على تقدير عدم كونهم انبياء كما هو المختار فلا اشكال وثانيهما اي
ثاني الامرين قوله تعا وشروه بثمن بخس دراهم معدودة بان

اخوة یوسف علیه السلام باعوه بثمن بخس وهو حر وبیع الحر غیر جائز والمرتکب لفعل غیر جائز مذنب وجوابه قدم آنفا وایضا بیع الحر کان جائزا فی شریعتهم فلاجل هذا اخذ یوسف علیه السلام اخاه بن یامین بالاسترقاق ولهذا استرق اهل المصر کلهم فی ایام القحط ثم اعتقهم وایضا جاز فی دینهم بیع الحر بسبب السرقة والدین والاقرار فلما قالوا وقت البیع هذا عبدنا فاقر یوسف بالعبودیة تخوفا منهم زعموا انه صار عبدا لهم فاخطئوا فی التاویل وذلک زلة لا ذنب وایضا جاء فی روایة ان البائعین لیوسف علیه السلام هم الذین اخرجوه من الجب فباعوه علی مالک فاخذ واثمنه لا اخوة لیوسف علیه السلام

الفصل السادس فی شان سیدنا یوسف علیه السلام

واحتج الطاعنون فی عصمة الانبیاء علیهم السلام علی عدم عصمته بامور احدها قوله تعالی حکایة عنه علیه السلام قال معاذ الله انه ربی احسن مثوای انه لا یفلح الظالمون بان یوسف علیه السلام کان حرا وما کان عبدا لاحد فقوله انه ربی یکون کذبا وذلک ذنب وکبیرة وجوابه انه علیه السلام اجری هذا بحسب الظاهر وعلی وفق ما کانوا یعتقدون فیه من کونه عبد العزیز وایضا انه رباه وانعم علیه بالوجوه الکثیرة فعنی بکونه ربا له مربیا له وهذا من باب

المعاريض الحسنة فان اهل الظاهر يحملونه على كونه دباله وهو كان يعني
انه كان منعمًا عليه ومربيا له ولهذا اعترف بالعبودية وقت شرائه وقال
اني عبد وكان مراده اني عبد الله لا عبد هؤلاء يعني الاخوة وهم زعموا
انه اقر بالعبودية ومن اقر بالعبودية يكون عبدا في دينهم فلهذا اجترؤا
على اخذ ثمنه كما هو المختار وثانيهما قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا
ان رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا
المخلصين بان يوسف عليه السلام قد هم بها والهم عبارة عن عقد القلب على
فعل شيء قبل ان يفعل من خير او شر وهو القصد فمعنى هم بها قصد مخالطتها
ومجامعتها قال جعفر الصادق باسناده عن علي رضي الله عنه طمعت منه
وطمع فيها فكان طمعه فيها ان يحل التكته وعن ابن عباس رضي الله عنهما
انه حل الهميان اي السربال وجلس منها مجلس المجامع وعنه ايضا انها استلقت له
وجلس بين رجليها ينزع ثيابه وعنه ايضا في تفسير اراءة البرهان انه تمثل له
يعقوب فرأه عاضا على اصابعه ويقول له اتعمد عمل الفجار وانت مكتوب في
زمرة الانبياء فاستحيى منه والى هذا ذهب عكرمة ومجاهد والحسن وقتادة والضحاك
ومقاتل وابن سيرين وقال سعيد بن جبير تمثل له يعقوب فضرب في صدره فخرجت

شهوته من الخاطر وعنه انه لم ينزجر برؤيته صورة يعقوب حتى ركضه جبرئيل عليه السلام
فلم يبق فيه شيء من الشهوة الا خرج وقال السيد نووي يا يوسف انت الآن امرؤ
مثلك مالم تواقعها مثل الطير في جو السماء لا يطاق عليه وان مثلك ان واقعتها
كمثله اذا وقع على الارض لا يستطيع ان يدفع عن نفسه شيء ومثلك مالم تواقعها
مثل الثور الصعب الذي لا يطاق عليه ومثلك اذا واقعتها مثله اذا مات
ودخل النمل في قرنه لا يستطيع ان يدفعه عن نفسه وايضا روي انه بدت كف
بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين
فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته
ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبرئيل ادرك
عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبرئيل وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء
وانت مكتوب في ديوان الانبياء وايضا قيل انه سمع صوتا اياك واياها
فلم يلتفت له فسمع ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا اعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب
عاضا على انملته وقيل سمع في الهواء قائل يقول يا ابن يعقوب لا تكن كالطير
يكون له ريش فاذا زنا ذهب ريشته وايضا روي ان المرأة قامت الى صنم لها مكلل
بالدر والياقوت في زاوية من زوايا البيت فسترته بالاثواب فقال

يوسف ولم فقالت استحيي من الهي هذا ان يراني على المعصية فقال تستحيي

من صنم لا يسمع ولا يعقل ولا استحيي من الهي القائم على كل نفس بما كسبت والله

لا افعل ذلك ابدا فهذه الرواية كلها دالة على قصده عليه السلام المعصية و

قصد المعصية معصية والجواب عن هذه الشبهة ان يوسف عليه السلام كان

بريئا عن العمل الباطل والهم المحرم وهذا قول المحققين من المفسرين والمتكلمين

وبه ناخذ وبقول وعنه نذب واعلم اولا ان الدلائل الدالة على وجوب عصمت

الانبياء عليهم السلام كثيرة ولقد استقصيناها في الباب الاول فلا نعيدها الا انا

نزيد هنا اوجها وجها الاولى ان الزنا من منكرات الكبائر والخيانة في معرض

الامانة ايضا من منكرات الذنوب وايضا مقابلة الاحسان العظيم بالاساءة

الموجبة للفضيحة التامة والعار الشديد من منكرات الذنوب وايضا الصبي

اذا تربى في حجر انسان وبقي مكفي المؤنة مصون العرض من اول صباه

الى زمان شبابه وكمال قوته فاقدام هذا الصبي على ايصال اقبح انواع

الاساءة الى ذلك المنعم المعظم من منكرات الاعمال اذا ثبت هذا فنقول

ان هذه المعصية التي نسبوها الى يوسف عليه السلام كانت موصوفة بجميع هذه الجهات

الاربع ومثل هذه المعصية لو نسبت الى افسق خلق الله تعالى وابعدهم عن كل خير

لا يستنكف منه فكيف يجوز اسنادها الى الرسول عليه السلام المؤيد بالمعجزات القاهرة الباهرة ثم انه تعالى قال فى عين هذه الواقعة كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وذلك يدل على ان ماهية السوء والفحشاء مصروفة ولا شك ان المعصية التى نسبوها اليه اعظم انواع السوء واخس اقسام الفحشاء فكيف يليق برب العالمين ان يشهد فى عين هذه الواقعة بكونه بريئا من السوء مع انه كان قد اتى باعظم انواع السوء والفحشاء وايضا فالآية دالة على قولنا من وجه آخر وذلك لانا نقول هب ان هذه الآية لا تدل على نفى هذه المعصية عنه الا انه لا شك انها تفيد المدح العظيم والثناء البالغ فلا يليق بحكمة الله تعالى ان يحكى عن انسان اقدامه على معصية عظيمة ثم انه يمدحه ويثنى عليه باعظم المدائح والاثنية عقيب ان حكى عنه ذلك الذنب العظيم فان مثاله ما اذا حكى السلطان عن بعض عبيده اقبح الذنوب وافحش الاعمال ثم انه يذكره بالمدح العظيم والثناء البالغ عقيبه فان ذلك يستنكر جدا فكذا ههنا والثانية ان الانبياء عليهم السلام متى صدرت منهم زلة او هفوة استعظموا ذلك واتبعوها باظهار الندامة والتوبة والتواضع ولو كان يوسف عليه السلام اقدم ههنا على هذه الكبيرة المنكرة لكان من المحال ان لا يتبعها بالتوبة والاستغفار ولو اتى بالتوبة لحكى الله تعالى عنه

اتيانه بها كما في سائر المواضع وحيث لم يوجد شيء من ذلك علمنا انه ما صدر عنه
في هذه الواقعة ذنب ولا معصية والثالثة ان كل من كان له تعلق بتلك الواقعة
فقد شهد ببراءة يوسف عليه السلام من المعصية واعلم ان الذين لهم تعلق
بهذه الواقعة يوسف عليه السلام وتلك المرءة وزوجها والنسوة والشهود
ورب العالمين شهد ببرأته من الذنب وابليس اقر ايضا ببراءته عن المعصية
واذا كان الامر كذلك فحينئذ لم يبق للمسلم توقف في هذا الباب اما بيان
ان يوسف عليه السلام ادعا البراءة عن الذنب فهو قوله عليه السلام
هي راودتني عن نفسي وقوله عليه السلام رب السجن احب الي مما يدعونني اليه
واما بيان ان المرءة اعترفت بذلك فلانها قالت للنسوة ولقد راودته
عن نفسه فاستعصم وايضا قالت الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه
وانه لمن الصادقين واما ان زوج المرءة اقر بذلك فهو قوله انه
من كيدكن ان كيدكن عظيم يوسف اعرض عن هذا واستغفري لذنبك
واما الشهود فقوله تعالى وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل
فصدقت وهو من الكاذبين واما شهادة الله تعالى بذلك فقوله كذلك
لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين فقد شهد الله تعالى

في هذه الآية على طهارته أربع مرات أولها قوله لنصرف عنه السوء واللام للتأكيد والمبالغة والثاني قوله والفحشاء أي كذلك لنصرف عنه الفحشاء الثالث قوله انه من عبادنا مع انه تعالى قال وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والرابع قوله المخلصين وفيه قراءتان تارة باسم الفاعل وأخرى باسم المفعول فوروده باسم الفاعل يدل على كونه آتيا بالطاعات والقربات مع صفة الإخلاص وووروده باسم المفعول يدل على ان الله تعالى استخلصه لنفسه واصطفاه لحضرته وعلى كلا الوجهين فانه من أول الألفاظ على كونه منزها عما أضافوه اليه وأيضا لا شك ان المراد من قوله تعالى ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون شرح حال يوسف عليه السلام فوجب ان يصدق في حقه انه من الذين آمنوا وكانوا يتقون وهذا التنصيص من الله عز وجل على انه كان في الزمان السابق من المتقين وليس ههنا زمان سابق ليوسف عليه السلام يحتاج إلى بيان انه كان فيه من المتقين الا ذلك الوقت الوقت الذي قال الله فيه ولقد همت به وهم بها فكان هذا شهادة من الله تعالى على انه عليه السلام كان في ذلك الوقت من المتقين وأيضا

قوله ولا نضيع اجر المحسنين شهادة من الله تعالى على انه عليه السلام
كان من المحسنين وقوله انه من عبادنا المخلصين شهادة من الله تعالى
على انه عليه السلام كان من المخلصين فثبت ان الله تعالى شهد بان يوسف
عليه السلام كان من المتقين ومن المحسنين ومن المخلصين والطاعن
الجاهل الحشوي يقول انه كان من الاخسرين المذنبين ولا شك ان
من لم يقبل بقول الله تعالى مع هذه التاكيدات كان من الفاسقين
الاخسرين واما بيان ان ابليس اقر بطهارته فلانه قال فبعزتك لاغوينهم
اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فاقر بانه لا يمكنه اغواء المخلصين
ويوسف عليه السلام من المخلصين لقوله تعالى انه من عبادنا المخلصين
فكان هذا اقرار من ابليس بانه ما اغواه وما اضله عن طريقة الهدى
اذا عرفت هذا فنقول هؤلاء الطاعنون الذين نسبوا الى يوسف عليه السلام
هذه القضيحة ان كانوا من اتباع الله تعالى فليقبلوا شهادة الله تعالى
على طهارته وان كانوا من اتباع ابليس وجنوده فليقبلوا شهادة
ابليس على طهارته ولعلهم يقولون كنا في اول الامر
تلامذة ابليس الى ان خرجنا عليه فزدنا عليه في السفاهة كما قال الخوارزمي

وكنت امرأ من جند ابليس فارتقى	بي الدهر حتى صار ابليس من جندي
فلو مات قبلي كنت احسن بعده	طرائق فسق ليس يحسنها بعدي

فثبت بهذه الدلائل ان يوسف عليه السلام برئ من كل ذنب و معصية

ولما كان هذا المقام الكريم مما يجب الاعتناء به والبحث عنه فلابد لما فيه

من البيان الشافي والكلام الكافي لتمييز الحق من الباطل اعلم ان ما

يرد على القلب فانواع بعضها مقدم على البعض الآخر وسبب لوجاده

اولها الخاطر كما لو خطر مثلا صورة امرأة وانها وراءه في الطريق لو التفت

اليها لرآئها ويسمى بحديث النفس وثانيها هيجان الرغبة

الى النظر اليها وهو حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر

ويسمى بميل الطبع وثالثها حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل اى

ينبغي ان ينظر اليها ويسمى بالاعتقاد وهو يتبع للخاطر والميل ورابعها

تصميم القصد وجزم النية على الالتفات ويسمى بالعزم فالخاطر والميل

لا يؤخذ بهما لقوله عليه السلام عفي عما حدثت به نفوسنا ولعدم دخولهما تحت

حكم التكليف والاختيار واما حكم القلب فهو مردد بين ان يكون

اختياريا اولا واما عزم الفعل والجزم به فانه يؤخذ به لقوله تعالى

ان تبدوا ما فی انفسکم او تخفوه یحاسبکم به الله اذا عرفت هذا فاعلم
انا لا نسلم ان هم یوسف ع کان بمعنی القصد والعزم بل کان همه بمعنی
الخاطر او میل الطبع وشهوة النفس وهو غیر داخل تحت التکلیف
فلا مواخذة فیه بل هو الحقیق بالمدح والاجر الجزیل فان السبب لافضلیة
البشر علی الملائکة کف النفس عن الفعل عند قیام هذا الهم قال الشیخ
ابو منصور الماتریدی هم یوسف علیه السلام بها هم خطرة ولا صنع
للعبد فیما یخطر بالقلب ولا مواخذة علیه ولو کان همه کهمها لما مدحه
الله تعالی بانه من عبادنا المخلصین وقال بعض اهل الحقایق الهم همان هم ثابت
وهو ما اذا کان معه عزم وعقد ورضی کهم امرأة العزیز فالعبد ماخوذ به
وهم عارض مثل الخطرة وحدیث النفس من غیر اختیار ولا عزم کهم یوسف
علیه السلام والعبد غیر ماخوذ به ما لم یتکلم او لم یعمل قال رسول الله صلی الله
علیه وآله وسلم قال الله تعالی اذا تحدث عبدی بان یعمل حسنة فانا اکتبها
له حسنة ما لم یعملها فاذا عملها فانا اکتبها له بعشرة امثالها واذا تحدث
سیئة فانا اغفرها ما لم یعملها فاذا عملها فانا اکتبها له بمثلها
رواه البغوی من حدیث ابی هریرة رضی الله عنه هذا یکون معنی قوله تعالی

وهم بها اى مال اليها بمقتضى الطبيعة البشرية وشهوة الشباب
وقرمه ميلا جبليا لا يكاد يدخل تحت التكليف لا انه قصدها قصدا اختياريا
الا ترى الى ان المرأة لما قالت له هيت لك قال فى جوابها معاذ الله اى اعوذ بالله
معاذا مما تدعينى اليه وهذا اجتناب منه على اتم الوجوه واشارة الى التعليل
بانه منكر ها بل يجب ان يعاذ بالله تعالى للتخلص منه وما ذلك الا لانه
عليه السلام قد شاهده بما اراه الله تعالى من البرهان النير على ما هو عليه
فى حد ذاته من غاية القبح ونهاية السوء فكانه نبه اولا بان الزنى قبيح لذاته
لا ينبغى للعاقل ان يريده ولما لم تقبل هذا العذر منه لما سولت لها
نفسها علل الامتناع وعدم الارادة ببعض الاسباب الخارجية مما عسى
ان يكون مؤثرا عندها وداعيا لها الى اعتباره بعد التنبيه على سببه الذاتى
فقال انه ربى احسن مثواى اى ان سيدى العزيز احسن تعهدى حيث
امرك باكرامى فكيف يمكن ان اسعى اليه بارادة الخيانة فى حرمه ثم
لما لم تقبل هذا العذر منه ايضا علل الامتناع بتعليل آخر فقال انه لا يفلح
الظالمون وهل هذا المذكور الا تسجيل باستحالة صدور الهم بالقصد
منه عليه السلام تسجيلا محكما وانما عبر عنه بالهم الذى هو القصد والعزم لمجرد وقوعه

في صورة همهما في الذكر بطريق المشاكلة كقوله جزاء سيئة سيئة مثلها
لا لشبهه به كما قيل بل نقول ان نفس قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى
برهان ربه دال على تباين الهمين من حيث الوجود والعدم حيث لم يذكرهما بعبارة
واحدة بان قيل ولقد هما بالمخالطة اوهم كل واحد بالآخر بل صدر الاول بما يقرر
وجوده من التاكيد القسمي من قوله ولقد همت به وقيد الثاني بالشرط الذي لم يوجد
فقال وهم بها لولا ان رأى برهان ربه اي لولا ان رأى حجة ربه الباهرة
الدالة على كمال قبح الزنى وسوء سبيله لهم بها ولكنه كانت الحجة حاضرة
لديه حضور من يراها بالعين فلم يهم بها اصلا لكمال ايقانه بها ومشاهدته
لها مشاهدة واصلة الى مرتبة عين اليقين الذي تتجلى هناك حقائق الاشياء
بصورها الحقيقية وتنخلع عن صورها المستعارة التي بها تظهر في
هذه النشأة على ما نطق به قوله عليه السلام حفت الجنة بالمكاره
وحفت النار بالشهوات فكانه عليه السلام قد شاهد الزنى بموجب
ذلك البرهان النير على ما هو عليه في حد ذاته اقبح ما يكون واوجب
ما يجب ان يحذر منه ولذلك فعل ما فعل من الاستعصام والحكم
بعدم افلاح من يرتكبه مع كونه في غاية الاستعداد لذلك لما اتاه الله تعالى

من القوة معه كونه فى سن الشباب فلولا المراقبة لهم بها لتوفر الدواعى
غير ان النور الشهود محاها اصلاً وهذا هو الذى تدل عليه اساليب هذه الآيات
من جعله من المخلصين والمحسنين المصروف عنه السوء وان السجن احب اليه
من ذلك مع قيام القاطع على كذب ما تضمنه قولها ما جزاء من اراد باهلك
سوء الآية من مطلق الارادة قال الامام فى تفسيره الكبير والثالث
ان يفسر الهم بحديث النفس وذلك لان المرءة الفائقة فى الحسن والجمال
اذا تزينت وتهيأت للرجل الشاب القوى فلابد وان يقع هناك بين الحكمة
والشهوة الطبيعية وبين النفس والعقل مجاذبات ومنازعات فتارة تقوى
داعية الطبيعة والشهوة وتارة تقوى داعية العقل والحكمة
فالهم عبارة عن جواذب الطبيعة ورؤية البرهان عبارة عن جواذب
العبودية ومثال ذلك ان الرجل الصالح الصائم فى الصيف الصائف
اذا رأى الجلاب المبرد بالثلج فان طبيعته تحمله على شربه
الا ان دينه وهداه يمنعه منه وهذا لا يدل على حصول الذنب
بل كلما كانت هذه الحالة اشد كانت القوة فى
القيام بلوازم العبودية اكمل انتهى ولو تنزلنا وسلمنا

ان الهم بمعنى القصد والعزم وهو قد حصل من يوسف عليه السلام فنقول
ان الهم لا يتعلق بذوات الاعيان لانه من جنس القصد وهو لا يتعلق
بذوات الباقية فقوله تعالى وهم بها لا بد فيه من الاضمار يعنى
لا بد وان يضمر فعل مخصوص ليجعل هو متعلق ذلك الهم فنحن نضمر الدفع
والضرب فالمراد انه عليه السلام هم بدفعها عن نفسه ومنعها عن ذلك
الفعل القبيح لانه لما كان الهم بمعنى القصد فلا بد ان يحمل ذلك القصد
فى حق كل واحد على القصد الذى يليق به فاللايق بالمرءة القصد الى تحصيل
اللذة والتنعم والتمتع واللائق بالرسول المبعوث الى الخلق القصد
الى زجر العاصى عن معصيته والى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر
يقال هممت بفلان اى بضربه ودفعه فان قيل فعلى هذا التقدير
لا تبقى لقوله لولا ان رأى برهان ربه فائدة قلنا فيه فائدة
عظيمة من وجهين الاول انه تعالى اعلم يوسف عليه السلام انه لو هم
بدفعها لقتلته او لكانت تأمر الخدم بقتله فاعلمه الله تعالى ان الامتناع
من ضربها اولى صونا للنفس عن الهلاك والثانى انه عليه السلام لو اشتغل
بدفعها عن نفسه فربما تعلقت به فكان يتمزق ثوبه من قدام وكان

فی علم اللہ تعالیٰ ان الشاهد لیشهد بان ثوبه لو تمزق من قدام لکان یوسف هو الخائن ولو کان ثوبه ممزقا من خلف لکانت المرءة هی الخائنة فاالله تعالیٰ اعلم بهذا المعنی فلاجرم لم یشغل بدفعها عن نفسه بل ولیٰ ها رباعنها حتی صارت شهادة الشاهد حجة له علی برائته عن المعصیة ویؤیده ما فی الیواقیت بهذه العبارة والجواب من قوله تعالیٰ شان یوسف علیه السلام ولقد همت به وهم بها ما ذکر الشیخ محی الدین فی الباب السابع والستین وثلثمائة من الفتوحات ان روحه اجتمعت بروح یوسف علیه السلام فی بعض سراءات الروحیة فقال له یا نبی الله ما معنی الاشتراک فی اخبار الله تعالیٰ عنک بقوله ولقد همت به وهم بها فانه تعالیٰ لم یعاین فیما ذا ولا یخفی ان اللسان یدل علی الحدیة المعنی فقال علیه السلام نعم ولذالک قلت للملک علی لسان رسوله ان یسأل النسوة مما ذکرت للمرأة الا انها راودتنی عن نفسی وما ذکرت انی راودتها فافهم ما قلته لک فانه یزول ما کان یتوهمه بعض الناس مما لم یعین الله تعالیٰ همی وهمها فقلت له یا نبی الله اللسان یؤذن بالاشتراک فقال نعم لکن فی اللفظ دون المعنی فانها همت بی لتقهرنی علی ما ارادت منی وهممت انا بها لاقهرها بالدفع عن ذلک والاشتراک فی طلب القهر منی ومنها فانه تعالیٰ یقول ولقد همت به یعنی

فى عين ماهم بها وليس الا القهر فيما يريد كل واحد من صاحبه دليل فى ذلك قول المرأة الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه فاستعصم وما جاء فى قصتى قطع اسنى راودتها عن نفسها فاراى الله تعالى البرهان عند ارادة القهر فى دفعها عنه فيما تريده منه وكان ذلك البرهان الذى اراه الله تعالى ان ادفعها اولا بالقول اللين كما قال الله تعالى لموسى وهارون فقولا له قولا لينا انتهى واما ما نقله الطاعنون فى حقه عليه السلام من الجلوس بين رجلى المرأة بقصد الزنى وحل تكة الازار ورؤيته البرهان عما ذكر فى وجه الطعن وينسبونه الى السلف فلم يصح منه شئ عن احد منهم بل الاقوال المنقولة عنهم اذا صحت تناقضت وتكاذبت فيما بينها ويأبى عن صدقها سياق كلام الله تعالى ايضا فانه قال لنصرف عنه السوء والفحشاء والسوء هو الصغيرة فهى مصروفة عنه عليه السلام والاقوال المذكورة لو صدقت لدلت على صدور الصغيرة البتة والعجب انهم نقلوا فى موضع آخر ان جروا دخل حجرة النبى صلى الله عليه وسلم وبقى هناك بغير علمه فامتنع جبرئيل عليه السلام من الدخول عليه اربعين يوما وههنا زعموا ان يوسف عليه السلام حال اشتغاله بالفاحشة ذهب اليه جبرئيل عليه السلام واعجب منه قولهم ان يوسف عليه السلام

لم يمتنع عن ذلك العمل بسبب روية يعقوب عليه السلام ولا بحضور جبرئيل
حتى ركضه جبرئيل ولو ان افسق الخلق واكفرهم واوقح الزناة واشطرهم
واحدقهم حدقة واجلدهم وجها كان متشغلا بفاحشة فاذا دخل عليه رجل
على زي الصالحين ما بقي له عرق ينبض ولا عضو يتحرك وههنا انه رأى
يعقوب عليه السلام عض على اناملة فلم يلتفت اليه ثم ان جبرئيل عليه السلام
على جلالة قدره دخل عليه فلم يمتنع ايضا عن ذلك القبيح بسبب حضوره
حتى احتاج الى ان يركضه على ظهره فنسأل الله ان يصوننا عن الغي في الدين
والخذلان في طلب اليقين ولم يتدبر هذا الفريق في قصته فان الله تعالى
امدحه واثنا عليه فيما انزل من الكتب الاولين ثم في القرآن الذي
هو حجة على سائر كتبه ومصدقها ولم يقتصر الا على استيفاء
قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق
في الآخرين كما جعله لجده الخليل ابراهيم وليقتدي به الصالحون
الى آخر الدهر في العفة وطيب الازار والتثبت في مواقع العثار فاخزى الله
اولئك في ايرادهم ما يؤدي الى ان يكون انزال الله السورة التي
هي احسن القصص في القرآن العربي المبين ليقتدي بنبي من انبياء الله

فی القعود بین شعب الزانیة وفی حل تکته للوقوع علیها وفی انه ینهاه ربه
ثلاث مرات ویصاح به ثلاث صیحات بقوارع القرآن وبالتوبیخ
العظیم وبالوعید الشدید وبالتشبیه بالطائر الذی سقط ریشه ولم یستطع
دفع شئ عن نفسه وهو جاثم فی مرضه لایتحلحل ولاینتهی ولاینتبه حتی یتدارکه
الله بجبرئیل علیه السلام ولم ینظروا هؤلاء المفترون الی شان امرأة
العزیز فانها مع کونها کافرة وغاضبة علی یوسف غضبا شدیدا
فی تلک الحالة لما شاهدت منه علیه السلام انه استعصم منها مع انه کان
فی عنفوان الشباب وکمال القوة ونهایة الشهوة عظم اعتقادها فی
طهارته ونزاهته فاستحییت ان تقول ان یوسف قصدنی بالسوء وما
وجدت من نفسها ان ترمیه بهذا الکذب علی سبیل التصریح بل
اکتفت بالتعریض فقالت ماجزاء من اراد باهلک سوءا ومع هذا
ما صرحت بالزنی بل صرحت بالسوء فجاز ان یکون مرادها من السوء قدامه علیه السلام
علی ضربها ومنعها ودفعها عن نفسه فهذا وان لم یکن سوء فی نفسه
لکنه لما کان خلاف مرضیها صار بالنسبة الیها جاریا مجری السوء فانظر
الی تلک المرأة ماصرحت باسم یوسف فی قولها ولا بالزنی اجتنابا

من الافتراء والكذب الصريح وهؤلاء الحشوية يموهونه بعد آلاف
سنين بالكذب الصريح والقصد القبيح وينقلون فيه روايات كلها
اباطيل وخرافات تمجها الاذان وتردها العقول والاذهان وويل
لمن لا يكها ونقلها او سمعها وصدقها فان قيل الاقوال المذكورة
روايات ائمة التفسير الذين اخذوا التاويل من شاهد التنزيل
فان لم نقبلها لزمنا تكذيب الرواة فكيف حكمتم بالخرافات قلت
لو قبلناها لزمنا الحكم بمعصية الرسول ولا شك ان صون الرسول
من المعصية اولى من صون طائفة من المجاهيل عن الكذب ومن الذي
يضمن لنا ان الذين نقلوا هذا القول عن هؤلاء المفسرين كانوا
صادقين ام كاذبين وايضا لا ينافي مدعانا صدق بعض مروياتهم
لان ترادف الدلائل على الشيء الواحد جائز فنقول انه عليه السلام
كان ممتنعا من الزنا بحسب الدلائل الاصلية فلما انضاف
اليها هذه الزواجر قوي الانزجار وكمل الاحتراز واذا
حققت هذا فاعلم ان ما قال المولوي
الجامي في كتابه المنظوم في قصته عليه السلام من قوله

نظم

دلش هیچ است در سفتن بالماس　　ولی میداشت حلم عصمتش پاس
زلیخا در تقاضا گرم و یوسف　　همی انگیخت اسباب توقف
نهاده بر ازاری خویش دستی　　یکی عقده گشادی دو به بستی
فتادش چشم ناگه در میانه　　بزرگش پرده در کنج خانه
سوالش کرد کان پرده پی چیست　　دران پرده نشسته پردگی کیست
بگفت آنکس که تا من زنده هستم　　برسم بندگانش می پرستم
همی تن از زر و چشمش ز گوهر　　درونش طبلهٔ پر مشک اذفر
بهر ساعت فتاده پیش اویم　　سر طاعت نهاده پیش اویم
درون پرده کردم جای گاهش　　که تا نبود بسوی من نگاهش
زمن آیین بد بینی نه بیند　　درین کارم که می بینی نه بیند
چو یوسف این سخن بشنید زد بانگ　　کزین دینار نقدم نیست یک دانگ
ترا آید بچشم مردگان شرم　　وزین نازندگان در خاطر آزرم
من از بینای دانا چون نترسم　　ز قیوم توانا چون نترسم
بگفت این و ز میان کار برخاست　　وزان خوش خوابگه بیدار برخاست
الف کرد از دو شاخ لام الف دور　　رهاند از نگار سیمین شمع کافور

موافق لمطلوبها كما هو الظاهر من اول الابيات ولا يختلج في صدرك ان آخر
كلامهم المذكور يدل على خلاف ذلك لانه قال على وفق زعم امراة العزيز لا انه قال
ذلك القول معتقدا قصد الزنى من يوسف عليه السلام والا لصار مناقضا
في كلامه ولو فرضنا انه اعتقد وقوع القصد عنه عليه السلام بالفعل اقول ان هذه العقيدة
مخالف لعقائد اهل السنة والجماعة وسقط كلامهم كما عرفت الا انه لما وصلت اليه مرويات
اهل الجبر والحشو ولم يتدبر في صحتها وسقمها كما هو داب الشعراء اعتقدها فقال ما قال
فليس لاحد من اهل السنة ان يصدقه ويتمسك بكلامه هذا فافهم واجاب بعض العلماء
عن الطعن المذكور بان هذا الهم صدر عن يوسف عليه السلام قبل النبوة وقال البعض الهم
بمعنى النظر فمعنى قوله وهم بها اي نظر اليها ومال الآخرون الى ان الهم بمعنى
الغم فمعنى قوله تعالى وهم بها اي غم امتناعه عنها والكل لا يخلو عن الضعف
تامل فيه وثالثها اي ثالث الامور قوله تعالى فلما جهزهم بجهازهم جعل
السقاية في رحل اخيه ثم اذن مؤذن ايتها العير انكم لسارقون واحتجوا
بانه عليه السلام وضع السقاية في رحل اخيه خفية ثم استخرجه منه ليتهمه بالسرقة
مع كونه بريا منها وايضا حبسه عند نفسه مع انه عليه السلام كان عالما بان ذلك
الحبس سبب لزيادة حزن ابيه وايضا ان قول المؤذن ايتها العير انكم لسارقون

انكار بامره علیه السلام ففیه اتهام الاخوة کذباً وبهتاناً وان لم یکن بامره فکان
الواجب علیه انکاره واظهار برأتهم عن هذه التهمة انه علیه السلام ما فعله و ایضاً
مضی من وقت فراقه عن ابیه الی وقت وصاله معه ثمانون سنة او سبعون
او اربعون علی اختلاف الروایات ولم یبعث فی هذه المدة الطویلة احداً الی
ابیه لیعلمه بحیاته وسلامته ولیس هذا الا انقطاع الصلة والمرتکب لهذه الامور
مذنب والجواب انه علیه السلام لما اظهر لاخیه انه یوسف قال له انی ارید حبسك
عندی ولا سبیل الیه الا هذه الحیلة ان ترضی بها فاقول فی حقك فرضی اخوه
بان یقال فی حقه ذلك فلم یتألم قلب اخیه بهذا الکلام فخرج عن کونه تهمة وایضاً
جاز ان یکون حبسه لاخیه باجازة الله تعالی کما یدل علیه قوله کذلك کدنا
لیوسف ماکان لیأخذ اخاه فی دین الملك الا ان یشاء الله فلا یکون
فی حبس اخیه ولا فی زیادة حزن ابیه ذنب لهذا ولاشتماله علی مصالح
کثیرة کما لا یخفی واما قول المؤذن فجاز ان یکون یکون بغیر امره وبغیر
حضوره ویکون تقدیر الکلام فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقایة
فی رحل اخیه وامهلهم حتی انطلقوا ثم اذن مؤذن وجاز ان یکون
بامره وفی حضوره علیه السلام ویکون مراده انکم لسارقون یوسف عن

ابيه الا انه ما ظهر هذه الكان من المعاريض لا من التهمة والكذب واما عدم الملاعة لابيه فى تلك المدة الطويلة فهو ايضاً كان بامر الله تعالى ومن تمام تشديده على يعقوب عليه السلام والا فيعقوب عليه السلام كان من اكابر الانبياء وبلاقيه جبرئيل وميكائيل وغيرهما من الملائكة فلما ان ليستفسر عن حياته ومعاشه وتعيين مكانه ولكن لما كان منطور الانبياء الجزاء ما قدره الله تعالى عليهم من التشديدات والبلايا لم يستفسر يعقوب عليه السلام من الملائكة تعيين مكان اصلاً مع شدة حزنه بفراقه وغاية تمنائه الى لقائه فكذلك كان يوسف عليه السلام مشتاقاً الى لقاء ابيه غاية الاشتياق وحزن بحزنه كما قيل ان جبرئيل عليه السلام دخل على يوسف حين ما كان فى السجن فقال ان بصر ابيك ذهب من الحزن عليك فوضع يده على راسه وقال ليت امى لم تلدنى ولم احزن ابى ولكن لما كان فى علمه تعالى انجرار الفرقة بينهما الى وقت معلوم لم يتهيئ لهما اسباب التوصل يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد والدليل على ما ذكرنا ما روى ان يوسف اخذ بيد يعقوب عليهما السلام فطاف به فى خزائنه فادخله فى خزائن الورق والذهب وخزائن الحلى وخزائن الثياب و خزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزائن القراطيس وهو اول من عملها قال يا بنى ما منعك عن هذه القراطيس وما كتبت الى على ثمانى مراحل قال امرنى

جبرئیل قال اوما تسأله قال انت اسبق الیه منی فاسئله قال جبرئیل امرنی
بذلک لتحقق لک ان یاکله الذئب ورابعها ای رابع الامور قوله تعالی وقال الملک
ائتونی به استخلصه لنفسی فلما کلمه قال انک الیوم لدینا مکین امین قال اجعلنی علی
خزائن الارض انی حفیظ علیم بانه علیه السلام اظهر رغبة الامارة فی اول الملاقات
مع الملک وطلبها عن سلطان کافر وطلب الامارة ممنوع قال رسول الله صلی الله
علیه وسلم لعبد الرحمن ابن سمرة لا تسأل الامارة فاذا کان طلبها مطلقا ممنوعا
فمن السلطان الکافر بطریق الاولی وایضا انه علیه السلام قال انی حفیظ علیم
ترک الاستثناء وایضا فیه مدح لنفسه وهما ممنوعان قال الله تعالی ولا تزکوا
انفسکم وقال ولا تقولن لشیء انی فاعل ذلک غدا الا ان یشاء الله فیوسف
ارتکب المنهی عنه من الوجوه المذکورة وارتکاب المنهی عنه ذنب والجواب
ان التصرف فی امور الخلق کان واجبا علی یوسف علیه السلام لانه کان رسولا من الله
الی الخلق ویجب علی الرسول رعایة امور الامة بقدر الامکان وما کان
یمکنه التوصل الی الرعایة الا بهذا الطریق وما لا یتوصل الی الواجب الا به
فهو واجب فکان هذا الطریق علیه واجبا ولا نسلم انه مدح نفسه بل بین کونه
موصوفا بهاتین الصفتین النافعتین فی حصول هذا المطلوب ولیس هذا

مدح النفس وتزكيتها ولا ترك الاستثناء بفعله غدا بل بيان للحال وعلى
تقدير التسليم فلا نسلم كون المدح مذموما مطلقا بل اذا كان الرجل قاصدا به البطر و
والتفاخر والتوصل به الى غير ما يحل واما على غير هذا الوجه فلا ولعل السبب في تركه الاستثناء
خوف فوات المطلوب لانه لو ذكر الاستثناء لاعتقد الملك عدم قدرته على ضبط
تلك المصلحة التي قال الملك لاجلها انك اليوم لدينا مكين امين وايضا يمكن ان يجاب
بانه استثنى في نفسه من غير ظهور للخلق وخامسها اى خامس الكلام من قوله تعالى ورفع
ابويه على العرش وخروا له سجدا الخ بان يعقوب عليه السلام كان ابا يوسف عليه السلام
وحق الابوة عظيم قال الله تعالى وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين
احسانا فقرن حق الوالدين بحق نفسه فالولد يجب عليه تعظيم الوالد لانه لا يليق وايضا
ان يعقوب عليه السلام كان شيخا وكان جده واجتهاده في تكثير الطاعة اكثر من جد يوسف
عليه السلام فالواجب على يوسف ان يبالغ في خدمة ابيه ولانه من اكابر الانبياء
دون العكس فكيف رضى يوسف عليه السلام بان يسجد له يعقوب عليه السلام واولاده
مع ان السجدة لغير الله تعالى لا يجوز فترك ما يجب عليه والرضى بما لا يجوز له ذنب
والجواب عن هذا الاشكال ما قال ابن عباس رضي الله عنهما في رواية عطاء ان معنى
قوله تعالى خروا له سجدا خروا لاجل وجدانه سجدا لله تعالى وحاصل الكلام

ان ذلك السجود كان سجود الشكر فالمسجود له هو الله تعالى الا انه لما كانت السجدة لاجل وجدان يوسف عليه السلام قال وخروا له سجدا والدليل على صحت ما قلنا انه لو كان السجود له لا لله تعالى لسجدوا له قبل الرفع والصعود على العرش لان ذلك ادخل في التواضع واما معنى قوله رأيتهم لي ساجدين رأيتهم لاجلي ساجدين لي اي ان احد عشر كوكبا والشمس والقمر سجدت لله لطلب مصلحتي وللسعي في اعلاء منصبي وقيل في جوابه انهم جعلوه كالقبلة وسجدوا لله شكرا النعمة وجدانه فانه كما جاز ان يقال صليت الى القبلة جاز ان يقال صليت للقبلة وقيل في جوابه ان السجدة كانت ليوسف عليه السلام تعظيما له وتحية له وقد كانت الامم السالفة تفعل ذلك كما تحيي المسلمون بعضهم بعضا بالسلام قال قتادة في قوله وخروا له سجدا كانت تحية الناس يومئذ سجود بعضهم لبعض ونيا في هذا ما روي عن صهيب ان معاذا لما قدم من اليمن سجد للنبي صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ ما هذا قال ان اليهود تسجد لعظمائها وعلمائها ورأيت النصارى تسجد لقسيسها وبطارقتها قلت ما هذا قال تحية الانبياء فقال عليه السلام كذبوا على انبيائهم وقيل في جوابه انه قد يسمى التواضع بالسجود قال الشاعر ترى الاكم فيها سجدا للحوافر فالمراد انهم تواضعوا ليوسف عليه السلام لاجل انه عزيز

يا باه الا ان يكون بمعنى المرور كما فى قوله تعالى لم يخروا عليها صما وعميانا

الفصل السابع فى شان سيدنا موسى عليه السلام واستدل

الطاعنون فى عصمة الانبياء على عدم عصمته عليه السلام بامور احدها
قوله تعالى ودخل المدينة على حين غفلة من اهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان
هذا من شيعته وهذا من عدوه فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه
فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين قال رب
انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم فانهم يقولون ان كلام الله
تعالى هذا يدل على صدور الذنب عن موسى عليه السلام من وجهين اولهما ان ذلك القبطى
اما ان يقال انه كان مستحقا للقتل ولم يكن كذلك انكان الاول يعنى مستحق للقتل
فقوله هذا من عمل الشيطان وقوله رب انى ظلمت نفسى وقوله فى سورة اخرى فعلتها
اذا وانا من الضالين يكون ذنبا لانه قال للامر المشروع بل الواجب انه عمل الشيطان وانه ظلم
وضلالة وايضا يأبى تعين هذا الشق قوله تعالى فغفر له لان الغفران لا يستعمل الا فى
استتار الذنب وانكان الثانى يعنى ان لم يكن ذلك القبطى مستحقا للقتل كان قتله
معصية وذنبا وثانيهما ان قوله هذا من عدوه يدل على انه كان كافرا حربيا فكان دمه مباحا
والاستغفار من الفعل المباح غير جائز لانه يوهم فى المباح كونه حراما والمرتكب للفعل

الغير الجائز مذنب آجاب صاحب تفسير الكبير عن الوجه الاول بقوله والجواب
عن الاول لم لا يجوز ان يقال انه كان لكفره مباح الدم اما قوله هذا من عمل الشيطان
ففيه وجوه احدها لعل الله تعالى وان اباح قتل الكافر الا انه قال الاولى تاخير
قتلهم الى زمان اخر فلما قتل فقد ترك ذلك المندوب فقوله هذا من عمل الشيطان
معناه اقدامي على ترك المندوب من عمل الشيطان وثانيها ان قوله هذا
اشارة الى عمل المقتول لا الى عمل نفسه فقوله هذا من عمل الشيطان اي
عمل هذا المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفا لله تعالى مستحقا
للقتل وثالثها ان يكون قوله هذا اشارة الى المقتول يعني انه من جند الشيطان
وحزبه يقال فلان من عمل الشيطان اي من احزابه اما قوله رب اني
ظلمت نفسي فاغفر لي فعلى نهج قول ادم عليه السلام ربنا ظلمنا انفسنا والمراد
احد الوجهين اما على سبيل الانقطاع الى الله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام
بحقوقه وان لم يكن هناك ذنب قط او من حيث حرم نفسه الثواب بترك المندوب
اما قوله فاغفر لي اي فاغفر لي ترك هذا المندوب وفيه وجه اخر وهو ان يكون
المراد رب اني ظلمت نفسي حيث قتلت هذا الملعون فان فرعون لو عرف
ذلك لقتلني به فاغفر لي اي فاستره علي ولا توصل خبره الى فرعون فغفر له

اى ستره عن الوصول الى فرعون ويدل على هذا التاويل انه على عقبه قال رب بما انعمت على فلن اكون ظهيرا للمجرمين ولو كانت اعانت المؤمن ههنا سببا للمعصية لما قال ذلك واما قوله فعلتها اذا وانا من الضالين فلم يقل انى صرت بذلك ضالا ولكن فرعون لما ادعى انه كان كافرا فى حال القتل نفى عن نفسه كونه كافرا فى ذلك الوقت واعترف بانه كان ضالا اى متحيرا لا يدرى ما يجب عليه ان يفعله وما يدبر به فى ذلك انتهى واجاب فى ذلك المجيب عن الوجه الثانى بقوله قلنا كون الكافر مباح الدم امر يختلف باختلاف الشرائع فلعل قتلهم كان حراما فى ذلك الوقت او ان كان مباحا لكن الاولى تركه على ما قررناه انتهى والاولى فى الجواب ان يقال ان ذلك القبطى ما كان مستحقا للقتل فى ذلك الوقت وما كان غرض موسى على نبينا وعليه السلام بالضرب قتله بل كان غرضه بالدفع والضرب تخليص الاسرائيلى وكان دفعه للاصلاح لا للافساد ولكن لما صار القبطى مقتولا من مدافعته قدم هو على فعاله بذلك السبب فقال هذا من عمل الشيطان اى القتل بدون الاستحقاق من عمل الشيطان وقال رب انى ظلمت نفسى بعدم الاحتياط فى المدافعة فاغفر لى بعينه هذا الذى قتل منه القبطى فغفر الله له ذلك ولم يؤخذ لانه ليس بذنب فى الحقيقة لكنه لعلو شانه وسمو مكانه خاف منه وطلب المغفرة

مع ان ذلک الفعل کان قبل نبوتہ لان ظہور نبوتہ کان بعد مجیئہ الی مدین وبعد
انقضائہ الاجل المضروب بینہ وبین شعیب علیہما السلام کما یدل علیہ قولہ تعالی
فلما قضی موسی الاجل وسار باہلہ الاٰیۃ وعن ہذا اندفع الطعن بالوجہ الثالث ایضا
فافہم وثانیہا ان موسی علیہ السلام قد اقر بثبوت الذنب علیہ بقولہ ولہم علی ذنب
فاخاف ان یقتلون الخ فان صدق فی قولہ ہذا فثبت المدعی وہو انہ مذنب
وان کذب فیہ فالکذب ایضا ذنب فیلزم علی التقدیرین صدور الذنب
منہ وہو المطلوب والجواب عنہ ما مر اٰنفا من انہ علیہ السلام فعلہ قبل النبوۃ
بدون قصد القتل وایضا اجیب بانہ کان صادقا فی قولہ تعالی وکان
مرادہ علیہ السلام لہم علی ذنب فی زعمہم لا انہ مذنب فی الواقع ولا یلزم
من کونہ مذنبا فی زعمہم کونہ مذنبا فی الواقع ویؤید ہذا المراد قولہ فی جواب
فرعون فعلتہا اذا وانا من الضالین ففررت منکم لما خفتکم یعنی فعلت ذلک الفعل وانا
ذاہل عن کونہ مہلکا وکان منی فی حکم السہو فلم یثبت علی ذنب ولم استحق العقاب
الذی یوجب الفرار ومع ذلک فررت منکم بعد سماع قول الرجل ان الملأ
یأتمرون بک فان قیل کیف خاف موسی علیہ السلام وہو کامل مع ان الواحد
من الاولیاء لا یخاف احدا الا اللہ قلت ان مقام الخوف لا ینافی الولایۃ

من وجوه منها ان الكامل يرى من نفسه الضعف بخلاف صاحب الحال من الاولياء
ومنها انه يجب على الكامل الفرار من كل شيء يؤذي بدنه او يلحقه بالعدم وان
خالف ذلك اثم ومنها ان في الخوف عدم تعطيل الاسباب وكان الفرار
من كمال موسى ويحتمل ان خوفه منهم انما هو خوف من الله بالاصالة بان يسلطهم
عليه فرجع خوفه منهم الى خوفه تعالى من الله تعالى ذلك محمود وثالثها قوله تعالى
قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى قال بل القوا الخ بان
موسى عليه السلام امر سحرة فرعون بما هو سحر وكفر لانهم اذا قصدوا بذلك تكذيب
موسى عليه السلام كان كفرا والامر بالكفر ذنب ومعصية والجواب عن هذا الطعن
بوجوه اولها لا نسلم ان نفس الالقاء كفر ومعصية لانهم اذا القوا وكان غرضهم
ان يظهر الفرق بين ذلك الالقاء وبين معجزة الرسول عليه السلام وهو
موسى كان ذلك الالقاء ايمانا وانما الكفر هو القصد الى تكذيب موسى عليه السلام
وهو انما امر بالالقاء لا بالقصد الى التكذيب وثانيها ان ذلك الامر كان
مشروطا والتقدير القوا ما انتم ملقون ان كنتم محقين كما في قوله تعالى
فأتوا بسورة من مثله ان كنتم صادقين اى ان كنتم قادرين وثالثها انه
لما تعين ذلك طريقا الى كشف الشبهة صار ذلك جائزا وهذا كالمحق اذا علم

ان في قلب واحد شبهة وانه لولم يطالبه بذكرها وتقريرها باقصى ما يقدر عليه
لبقيت تلك الشبهة في قلبه ويخرج بسببها عن الدين فان المحق ان يطالبه
بتقريرها على اقصى الوجوه ويكون غرضه من ذلك ان يجيب عنها ويزيل اثرها
عن قلبه فمطالبته بذكر الشبهة لهذا الغرض تكون جائزة فكذا ههنا ورابعها
انا لا نسلم ان يكون ذلك امرا بل يكون معناه انكم ان اردتم فعله فلا مانع
منه حسا لينكشف الحق وخامسها ان موسى عليه السلام لا شك انه كان
كارها لذلك ولا شك انه نهيهم عن ذلك بقوله ويلكم لا تفتروا على الله كذبا
فيسحتكم بعذاب واذا كان الامر كذلك استحال ان يكون قوله امرا لهم
بذلك لان الجمع بين كونه ناهيا وامرا بالفعل الواحد محال فعلمنا ان قوله
غير محمول على ظاهره وحينئذ يزول الاشكال وسادسها ان موسى عليه السلام
قد علم انهم يلقون سواء اذن لهم ام لا بدليل ما انتم ملقون فلا يكون ذلك الاذن
حراما بل فيه قلت مبالات بسحرهم وسابعها ان الظاهر ان السحر لم يكن حراما حينئذ فانه
مما يختلف فيه الشرائع بحسب الاوقات وثامنها ان هذا ليس بامر بل هو تهديد
اي ان فعلتم ذلك اتينا بما يبطله كقول القائل لان رميتني لافعلن وكذا صنعي
ثم يفوق اليه السهم فيقول له ارم فيكون ذلك منه تهديدا وتاسعها انهم

لما تواضعوا له وقدموه على انفسهم وقالوا اما ان تلقى واما ان نكون اول من القى
تواضع هو ايضا لهم فقدمهم على نفسه فقال القوا على رجاء ان يصير ذلك التواضع
سببا لقبول الحق . ولقد حصل ببركة ذلك التواضع ذلك المطلوب وهذا تنبيه
على ان اللائق بالمسلم في كل الاحوال التواضع لان مثل موسى عليه السلام
لما لم يترك التواضع مع اولئك السحرة فبان يفعل الواحد منا اولى ورابعها
اي رابع الامور قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام قال ياهارون ما
منعك اذ رأيتهم ضلوا ان لا تتبعن افعصيت امري قال يا ابن ام لا
تاخذ بلحيتي ولا برأسي اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل
ولم ترقب قولي فتمسكهم بهذه الآية من وجوه احدها ان موسى عليه السلام
اما ان يكون قد امر هارون باتباعه اولم يأمره فان امره به فاما ان
يكون هارون قد اتبعه اولم يتبعه فان اتبعه كانت ملامة موسى لهارون
معصية وذنبا لان ملامة غير المجرم معصية وان لم يتبعه كان هارون
تاركا للواجب فكان فاعلا للمعصية واما ان قلنا ان موسى عليه السلام
ما امره باتباعه كانت ملامة اياه بترك الاتباع معصية فثبت ان على
جميع التقديرات يلزم اسناد المعصية اما الى موسى او الى هارون

وثانيها قول موسى عليه السلام افعصيت امري استفهام على سبيل الانكار فوجب ان يكون هارون قد عصاه وان يكون ذلك العصيان منكرا والا لكان موسى عليه السلام كاذبا وهو معصية فاذا فعل هارون عليه السلام ذلك فقد فعل المعصية وثالثها قوله يا ابن ام لا تاخذ بلحيتي ولا براسي وهذا معصية لان هارون عليه السلام قد فعل ما قدر عليه من النصيحة والوعظ والزجر بقوله يا قوم انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا امري فان كان موسى عليه السلام قد بحث عن الواقعة بعد ان علم ان هارون قد فعل ما قدر عليه كان الاخذ براسه ولحيته معصية وان فعل ذلك قبل تعرف الحال كان ذلك ايضا معصية ورابعها ان هارون عليه السلام قال لا تاخذ براسي ولا بلحيتي فان كان الاخذ بلحيته وبراسه جائزا كان قول هارون لا تاخذ براسي منعا له عما كان له ان يفعله فيكون ذلك معصية وان لم يكن ذلك الاخذ جائزا كان موسى عليه السلام فاعلا للمعصية والجواب عن الوجوه كلها انا قد بينا انواعا من الدلائل الجليلة في انه لا يجوز صدور المعصية من الانبياء وحاصل هذه الوجوه تمسك بظواهر قابلة للتاويل ومعارضة ما يبعد عن التاويل بما ليس وعر اليه التاويل غير جائز

اذا ثبتت هذه المقدمة فاعلم ان لنا فی الجواب عن هذه الاشکالات وجوها احدها انا وان اختلفنا فی جواز المعصیة علی الانبیاء لکن اتفقنا علی جواز ترک الاولی علیهم واذا کان کذلک فالفعل الذی یفعله احدهما ویمنعه الآخر واعنی بهما موسی وهارون علیهما السلام لعله کان احدهما اولی والآخر کان غیر الاولی فلذلک فعله احدهما وترکه الآخر وثانیها ان موسی علیه السلام اقبل وهو غضبان علی قومه فاخذ براس اخیه وجره الیه کما یفعل الانسان بنفسه مثل ذلک عند الغضب فان الغضبان المتفکر قد یعض علی شفتیه ویفتل اصابعه ویقبض علی لحیته فاجری موسی علیه السلام اخاه هارون علیه السلام مجری نفسه لانه کان اخاه وشریکه فصنع به ما یصنع الرجل بنفسه فی حال التفکر والغضب فاما قوله لا تاخذ بلحیتی ولا براسی فلا یمتنع ان یکون هارون علیه السلام خاف من ان یتوهم بنو اسرائیل من سوء ظنهم انه منکر علیه غیر معاون له ثم اخذ فی شرح القصة فقال انی خشیت ان تقول فرقت بین بنی اسرائیل وثالثها ان بنی اسرائیل کانوا علی نهایة سوء الظن بموسی علیه السلام حتی ان هارون غاب عنهم غیبة فقالوا لموسی علیه السلام انت قتلته فلما وعد الله تعالی موسی علیه السلام ثلاثین لیلة

واتمها بعشر وكتب في الالواح منكل شيء ثم رجع فرأى في قومه ما رأى
فاخذ برأس اخيه ليدنيه فيتفحص عن كيفية الواقعة فخاف هارون
عليه السلام ان يسبق الى قلوبهم مالا اصل له فقال اشفاقا على موسى عليه السلام
لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي لئلا يظن القوم مالا يليق بك واجاب بعضهم
انه انما فعل ذلك لانه ظن ان هرون رضي الله بما فعل قومه من عبادة العجل
والحق ان هذا العذر اقبح من المعتذر عنه فالجر براسه عليه السلام اهون من الظن
فيه انه رضي بالعجل شريكا في الربوبية للرب تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وايضا يمكن ان
يجاب بان موسى عليه السلام لما رأى جزع هارون واضطرابه لما جرى من قومه اخذه
يسكنه من قلقه كما يفعل الواحد منا اذا اراد اصلاح غضبان ان يسكنه بيده قال
صاحب الكشاف كان موسى عليه السلام رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة
والتصلب في كل شيء شديد الغضب لله تعالى ولدينه فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون
عجلا من دون الله تعالى من بعد ما رأوا من الآيات العظام ان القى الواح التورات
لما غلب على ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله تعالى وحمية وعنفا باخيه
وخليفته على قومه فاقبل عليه اقبال العدو المكاشر انتهى فان قيل هب انه كان
شديد الغضب لكن مع ذلك الغضب الشديد هل كان يبقى عاقلا مكلفا ام لا

فان بقي عاقلا مكلفا فالاسئلة باقية بتمامها الزمها في الباب انك ذكرت
انه في غضب شديد وذلك من جملة المعاصي فقد زدت اشكالا آخر فان قلت
بانه في ذلك الغضب لم يبق عاقلا ولا مكلفا فهذا مما لا يرتضيه مسلم البتة
قلت انه عليه السلام مع شدة غضبه كان عاقلا مكلفا لكنه لما رأى قومه على
حالة الكفر حصل له تحير ودهشة عظيمة لسبب ذلك لا يتمالك على تمسك الالواح
فسقطت عن راسه من غير اختياره ولا نسلم ان شدة الغضب في مثل ذلك الموضع من
جملة المعاصي بل هو من جملة العبادات كما تدل عليه الاخبار الصحيحة وخامسها
خامس الامور قوله تعالى فقال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا
قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا قال ستجدني
ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا فانهم قالوا ان الخضر قال لموسى انك
لن تستطيع معي صبرا وقال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا
وكان احد من هذين القولين يكذب الآخر فيلزم الحاق الكذب باحدهما و
على التقديرين فيلزم صدور الكذب عن الانبياء عليهم السلام واجيب بانه يحمل
قوله انك لن تستطيع معي صبرا على الاكثر الاغلب وعلى هذا التقدير لا يلزم
ما ذكر ولا يلزم قال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا يعني ستجدني صابرا ان شاء الله

كونه صابرا وهذا يقتضي كونه شاكا في وجدان الصبر فيه فلا يلزم الاشكال وسادسها
اي سادس الامور قوله تعالى فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها
لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال
لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا فان هذه الآية تدل على
صدور الذنب اما اولا فان قول موسى عليه السلام اخرقتها لتغرق اهلها ان
كان صدقا دل ذلك على صدور الذنب العظيم عن الخضر وان كان كذبا دل على
صدور الكذب عن موسى عليه السلام واما ثانيها فان موسى عليه السلام التزم
ان لا يعترض على الخضر وجرت العهود المؤكدة لذلك ثم انه خالف تلك
العهود وذلك ذنب والجواب عنه اما اولا فانه لما شاهد موسى عليه السلام
منه الامر الخارج عن العادة قال هذا الكلام لا لاجل انه اعتقد فيه انه فعل
فعلا قبيحا مخالفا للواقع بل لانه احب ان يقف على وجهه وسببه وقد يقال
في الشيء العجيب الذي لا يعرف سببه انه امر واعلم انك اذ قلت انما صدر من الخضر
لما كان خارجا ومخالفا عن العادة ولهذا انكر عليه موسى عليه السلام فلو جاء
صاحب السفينة وادعى على الخضر نقصان القيمة بسبب الخرق عند موسى صاحب الشرع
او جاء وارث المقتول وادعى على الخضر القصاص او الدية عمدا ان ثبت

ذلك بالبينة فحكم او حكم موسى بعلمه وحده او مع شاهد آخر كيو شع مثلا او
اخيه كما هو المقرر في الفتاوى المصنفة في الفروع هل يجوز هذا الحكم منه على الخصم ام
لا فاقول وبالله التوفيق لا يجوز هذا الحكم منه ولا سماع الدعوى والبينة عليه
قياسا واستدلالا على مسئلة مقررة عند العلماء الحنفية والشافعية وهو انه
لا يجوز الحكم من المجتهد على مجتهد آخر بما ادى اليه اجتهاده مثلا لا يجوز الحكم
من ابي حنيفة على الشافعي في مسئلة المثلث فان المثلث حرام عند الشافعي
وحلال عند ابي حنيفة فلو اراق الشافعي المثلث لاحد بعلة كونه خمرا وهو ليس
بمال متقوم لا يجوز لابي حنيفة ان يحكم بالضمان عليه بعلة كونه مباحا ومالا
متقوما عنده وكذا لا يجوز للشافعي ان يحكم بحد الشرب عند شرب ابي حنيفة
المثلث بعلة كونه خمرا وحراما عنده فكما لا يجوز للمجتهد ان يحكم باجتهاده
على مجتهد آخر كذلك لا يجوز لنبي صاحب الوحي ان يحكم على نبي آخر صاحب وحي
قطعي من الله ويجعل هذا الوحي مخصصا او ناسخا لتلك العمومات الواردة في
مثل هذا الحكم فكانه قال الحكم كذا الا اذا اصدر من فلان كشهادة خزيمة
فانه خص من العمومات الواردة في اعتبار العدد في الشهادة فكانه قيل الحكم
كذا في الشهادة الا اذا اشهد خزيمة وحده وهذا الجواب مستقيم على مذهب

من قال ان الخضر صاحب الوحي من الله ولا يستقيم على مذهب من قال انه ولي صاحب
كشف وكرامة حيث لا يجوز للولي ان يتلف مال احد او يقتل احدا بواسطة
الكشف والالهام الذي ليس بحجة على الغير حتى لو ادعى احد على الولي تلف
المال او قتل النفس بغير حق حكم عليه صاحب الشرع بالضمان والقصاص ولا يجوز
ان يقول فعلته بالهام من الله اذ الالهام ليس بحجة على الغير اللهم الا ان يقال نزل
الوحي على موسى في شان هذه الحوادث بان ما فعل الخضر كان حقا ومن
عند الله كما نزل الوحي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حين قتل عمر رض
فادعى اولياء المقتول عليه بالقصاص فنزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
بان ما فعله عمر رضي الله حق من الله فمنع رسول الله اولياء المقتول عن دعوى
القصاص وحكم بهدر الدم واما ثانيا فانه عليه السلام فعله بناء على النسيان كما
قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا مؤاخذة على الناسي بشيء وسابعها اي سابع الامور
ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء
ملك الموت الى موسى بن عمران فقال اجب ربك قال فلطم موسى عين ملك الموت
ففقأها الحديث فان هذا الحديث يدل على صدور الذنب عن موسى عليه السلام
من وجهين اولهما انه اعرض عن حكم الله تعالى بموته ولم يقبل الموت والاعراض

عن حكم الله ذنب ومعصية وثانيهما انه ضرب ملك الموت وفقأ عينه
ومفقئ عين احد من العوام بلا قصاص ذنب ومعصية فضلا عن الملك
المعصوم الذي ياتي مامر الله تعالى واجاب القاضي عياض في الشفا بقوله وكذلك
ما روي في الخبر الصحيح من ان ملك الموت جاء موسى فلطم عينه ففقأها
الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى بالتعدي وفعل ما يجب له اذ هو ظاهر الامر
بين الوجه جائز الفعل لان موسى دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له
في صورة آدمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت فدفعه عن نفسه مدافعة
ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له الملك فيها امتحانا من الله تعالى
فلما جاءه بعد وعلم انه رسوله اليه استسلم انتهى وقيل في الجواب ان موسى
عليه السلام زعم انه كاذب حين ادعى قبض روحه لزعمه ان لبشر لا يقبض
الروح فغضب عليه فلطمه وكان هذا الغضب لله وفي الله فلا يكون مذموما ولهذا
لم يعاتبه الله على ذلك وقيل انه انما لطمه لاقدامه على قبض روحه قبل التخيير
والانبياء كانوا مخيرين عند الله آخر الامر بين الحيات والوفات كما جاء
في الخبر الصحيح ان الله لا يقبض نبيا حتى يخيره وفي حديث الخوخة ببربه معه
من الجنة فلما جاء ملك الموت الى موسى عليه السلام لقبض روحه من غير تخيير

وعنده لا يقبض حتى لم يعلمه انه ملك وشك فى ذلك وظن انه رجل يدعى عليه انه
ملك الموت بغير دليل من معجزة تظهره او علم ضرورى يضطره الى ذلك ولهذا
لما جاء اليه ثانيا وخيره بين الحيات والموت اختار الموت واستسلم ولا يلزم
من رؤية الملائكة تعرفهم كما وردت الملائكة على ابراهيم ولوط على نبينا وعليهما السلام
ولم يعرفاهم وايضا اللطمة انما اثرت فى العين الصورية لا فى العين الملكية
فانها غير متأثرة باللطمة وغيرها والصورة بالنسبة الى الملائكة كالملابس
بالنسبة الى الانسان وقال بعضهم فى الجواب ان ملك الموت لما جاء الى
موسى وقال له جئت لاقبض روحك تغير عقله اما الغمرات الالم وسكرات
النزع واما لاجل اتيانه اليه مفاجاة حين غفلته وصرح بالنقلة من دار العمل
الى دار الجزاء لانه قد خر صعقا من اندكاك الطور فكيف بهول المطلع
فانه اعظم من اندكاك الجبل فلاجل هذا فعل ما فعل اقول لو تامل متامل
فيما بينت فى الفصل الاول من مدارج الانبياء فى مشاهدة الحق تعالى
عدم غفلت سرائرهم عن الحضور لحظة واحدة لحكم قطعا بان موسى عليه السلام
كان غريقا فى مشاهدة ربه دائما من غير غفلة ويؤيده ما قال احمد بن المبارك
فى كتابه الابريز فى مناقب سيدى عبد العزيز الدباغ فى بيان الفرق بين

علم موسى والخضر عليهما السلام بقوله وعلى هذا يخرج ما وقع بين سيدنا الخضر
بين سيدنا موسى على نبينا وعليهما الصلوة والسلام مما قصه الله تعالى في كتابه العزيز
من امر السفينة والغلام والجدار فان علم ذلك انما غاب عن سيدنا موسى
عليه السلام لانه في مشاهدة ما هو اقوى منه وهو الحق سبحانه ثم عدم علم موسى
عليه السلام بذلك هو غاية الكمال قال ومثاله مع الخضر في ذلك كمثل عبدين
للملك اما احدهما فضمه الملك الى نفسه وجعله جليسا له لا شغل له الا الوقوف
بين يدي الملك والنظر في وجهه اذا خرج الملك خرج معه واذا دخل دخل
معه واذا اكل اكل معه واذا شرب شرب معه واذا تحدث تحدث معه والعبد الاخر
مكنه الملك من التصرف في رعيته فيخرج للرعية وينفذ فيهم امر الملك ويتحدث
معهم في امورهم وما يصلح احوالهم وربما غاب عن الملك الغيبة الطويلة لتنفيذ
بعض الامور فلا يشك ان العبد الاول اقرب الى الملك واعرف باسرار
ذاته من الثاني مع انه اذا سئل عن شيء من امور الرعية وما يدخل فيها وما
يخرج ولا سيما ان بعدت الرعية من مدينة الملك فانه لا يعرفه معرفة الثاني به
وهكذا كانت حال موسى مع الله تعالى فانه مثل العبد الاول وسيدنا الخضر مثل
العبد الثاني انتهى واذا كانت حال موسى عليه السلام مع الله تعالى ما عرفت فما

معنے غفلته وتغير عقله وقد ثبت ان الموت جسر يوصل الحبيب الى الحبيب فبا خبار ملك الموت له بالاتقال لا بد له من الفرح والسرور دون الانكار والنفور فاذا اسار النبي صلى الله عليه وسلم في نزع العلم غير ماخوذ بالفعل الغير المشروع بسبب تغير عقله من غمرات الالم وسكرات النزع كما يدل عليه كلام المجيب فليجز عن احاد الامة صدور كلمات الكفر والافعال القبيحة والاقوال الشنيعة حالة النزوع وسكرات الموت ولم تصر دالة على سوء الخاتمة مع ان صدور الشئ منها يدل على سوء الخاتمة عافانا الله منها ولهذا قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم انما العبرة بالخواتيم فحاشا ثم حاشا واجاب بعضهم ان فقاء عين ملك الموت كان جائزا له لانه دخل على صورة البشر على موسى عليه السلام ونظر اليه بدون اذنه وقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم الاية وروى سهل بن الساعدي انه اطلع رجل في حجرة من حجر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ومعه مدرى يحك به راسه فقال لو علمت انك تنظر الى لطعنت بها عينك انما الاستئذان قبل النظر وروى ابو هريرة رضى الله تعالى عنه انه عليه السلام قال من اطلع في دار قوم

بغير اذنهم ففقآء واعينه فقد هدرت عينه وفي رواية اخرى عنه

ليس عليك جناح ولما كان فقاء عين الناظر اليك في دارك

بدون الاجازة جائزا في شريعتنا فلعله جاز في شريعته ايضا

قيل في رده قد اتفق العلماء على ان من دخل دار غيره بغير اذنه

ففقاء عينه كان ضامنا وكان عليه القصاص ان كان

عمدا والارش ان كان مخطيا ومعلوم ان الداخل قد اطلع وزاد

على الاطلاع فظاهر الحديث مخالف لما حصل عليه الاتفاق

فان صح فمعناه من اطلع في دار قوم ونظر الى حرمهم ونسائهم

فمنع فلم يمتنع فذهبت عينه في حال الممانعة فهي هدر

فاما اذا لم يكن الا النظر ولم يقع منه ممانعة ولا نهي ثم جاء انسان

ففقاء عينه فهو جان يلزمه حكم جناية لظاهر قوله تعالى

العين بالعين الى قوله والجروح قصاص اقول ان ما ذكره الراد

فهو حكم من دخل على غيره في داره بغير اذنه ولا يقاس

عليه حال من اطلع في دار غيره ونظر اليه للفرق بينهما

لان الدخول لا يستلزم العلم بعورات الناس بخلاف

النظر لافضائه الى اطلاع ما لا يجوز الاطلاع عليه وايضاً التمسك
فى هذا المقام بقوله تعالى العين بالعين لخ ضعيف لانعقاد
الاجماع على ان هذا النص مشروط بما اذا لم تكن العين مستحقة
واما لو كانت مستحقة فلم يلزم القصاص واستحقاق عين
من الطلع وعدمه اول المسئلة نعم لو قيل فى وجه الايراد ان
كلام المجيب صريح فى دخول ملك الموت على موسى عليه السلام
دون الاطلاع والنظر من غير الباب وحكم الداخل غير حكم
المطلع فلا يهدر فقاء عينه فله وجه قال صاحب العواصم
والقواصم فى اعتذار لاعضال المذكور الوجه الاول وهو المعتمد
انه يجوز ان يكون الملك اتاه فى صورة رجل من البشر
ولم يعرفه انه ملك مثل ما اتى جبرئيل الى مريم فتمثل
لها بشرا سويا ولهذا قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت
تقيا ولو علمت انه جبرئيل عليه السلام لما استعاذت
بالله منه وقد صح تصور الملائكة على صورة البشر
وتوارثت ذلك فى الكتاب والسنة فلما اتى ملك الموت

الموسى على هذه الصفة واراد ان ينفذ فلما دفع موسى عن نفسه
وهذا الجواب وقع في خاطري ثم وقفت عليه في الاول من
البداية والنهاية لابن كثير مسندا الى الحافظ ابن حسان
وذكر انه ورد عليه كما جاء جبرئيل عليه السلام في صورة
الاعرابي وكما وردت الملائكة على ابراهيم ولوط عليهما السلام
ولم يعرفاهم انتهى ويؤيده ما قال الشعراني في حاشيته على الفتوحات
وتحقيقه على مذهب الصوفية ان جوهر العالم في الاصل واحد
لا يتغير عن حقيقته وان كل صورة تظهر فيه فهي عارضة
تستحيل في نفس الامر في كل زمان فرد والحق يوجب الامثال
على الدوام لانه على الدوام والممكنات في حال عدمها
مهيأة لقبول الوجود فمهما ظهرت صورة من ذلك
الجوهر ظهرت جميع احكامها سواء كانت الصورة
محسوسة او متخيلة ففي نحو ظهور جبرئيل في صورة الاعرابي
يترتب على هذه الصورة المثلية المتخيلة جميع احكامها
من القوى القائمة بها في الانسان في كلامه وحركته المعتادة

مثلية متخيلة كما هي الصورة لذلك فالملك في ذلك الزمان حقيقة

انسان خيالي وله احكام تلك الصورة في نفس الامر على حال الصورة من

كونها انسان حيا فلما اذهبت تلك الصورة ذهبت احكامها

لذهابها فقط واجاب بعضهم بان المراد من اللطمة وفقأ العين

ابطال الحجة مجازا يعني ان موسى عليه السلام ناظره وحاجه فغلبه

بالحجة يقال لطم فلان فلانا وفقأ فلان عين فلان اذا غلبه

بالحجة ويؤيده ما روي انه احتج عليه فقال من اين تنزع روحي

امن فمي وقد ناجيت به ربي ام من سمعي وقد سمعت به كلام ربي

امن يدي وقد قبضت الالواح ام من قدمي وقد قمت بين يديه

اكلمه بالطور فرجع الى ربه مفحما والمطيع لله نفهم بالله كما قال مريم

اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا وقت روية جبرئيل عليه السلام

ان قيل ان هذا الكلام من موسى عليه السلام يدل على انه كان شحيحا على الحيوة

اقول انه عليه السلام كان شحيحا على الحيوة حرصا على ما كان يتلذذ

به من كلام الله وقرب اليه الا ترى الى ما قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم مررت موسى ليلة اسري بي فوجدته قائما يصلي في قبره

ولما كانت هذه مرتبته حيث حياه الله تعالى بالكلام والمناجات ولم ينقطع
عنه بعد الموت لذت تلك النجوى فما ظنك بتلذذه بالمناجات
فى حال حياته وانما ضرب الملك لانه حسب ان بالموت ينقطع نجواه
من ربه ولم يفعل ذلك حرصا على حيوة الدنيا وايضا يجاب بانه
من المتشابهات فلا بد لنا من الايمان به ونفوض علمه الى الله كما هو
شان سائر المتشابهات واعلم ان هذا الفصل وان كان فى شان
سيدنا موسى عليه السلام الا ان بعض الامور لم تتعين صدورها
عنه عند الطاعنين بل ينسبون صدورها اليه على تقدير والى هارون
والخضر عليهما السلام على تقدير اخر فلاجل هذا اوردت ذكرهما فيه

الفصل الثامن فى شان سيدنا داود عليه السلام واستدل الطاعنون

فى عصمة الانبياء على عدم عصمته لقوله تعالى وهل اتيك نبؤ الخصم اذ
تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان
بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط
ان هذا اخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال اكفلنيها وعزنى
فى الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء

لیبغی بعضهم علی بعض الا الذین آمنوا وعملوا الصالحات وقلیل ما هم وظن داؤد
انما فتناه فاستغفر ربه وخر راکعا واناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفی
وحسن مآب ومما اخرجه ابن جریر والحاکم عن السدی ان داؤد علیه السلام تمنی
یوما من الایام منزلة آبائه ابراهیم واسحق ویعقوب وذلك انه قد قسم الدهر
ثلاثة اقسام یوم یقضی فیه بین الناس ویوم یخلو فیه لعبادة ربه عز وجل
ویوم لنسائه واشغاله وکان یجد فیما یقرء من الکتب فضل ابراهیم واسحق
ویعقوب فقال یا رب اری الخیر کله ذهب به آبائی الذین کانوا قبلی فاوحی
الله تعالی الیه انهم ابتلوا ببلایا لم تبتل بها فصبروا علیها ابتلی ابراهیم علیه الصلوة والسلام بنمرود
وذبح ابنه وابتلی اسحق بالذبح وبذهاب بصره وابتلی یعقوب بالحزن علی یوسف
فقال داؤد علیه الصلوة والسلام رب لو ابتلیتنی بمثل ما ابتلیتهم صبرت ایضا فاوحی الله
عز وجل الیه انك مبتلی فی شهر کذا فی یوم کذا فاحترس فلما کان الیوم الذی
وعده الله به دخل داؤد محرابه واغلق بابه وجعل یصلی ویقراء الزبور
بینما هو کذلك اذ جاءه الشیطان وقد تمثل له فی صورة حمامة من ذهب فیها
من کل لون حسن وجناحاها من الدر والزبرجد فوقعت بین رجلیه فاعجبه حسنها
فمد یده لیاخذها ویریها بنی اسرائیل لینظروا الی قدرة الله تعالی فلما قصد

لياخذها طارت غير بعيد من غير ان تؤيسه من نفسها فامتد اليها لياخذها فتنحت
فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة فذهب لياخذها فطارت من الكوة فنظر
داؤد اين تقع فيبعث من يصيد لها فابصر امرأة في بستان على شاطئ بركة
تغتسل وقيل رآها تغتسل على سطح لها فرآها من اجمل النساء خلقا فعجب
داؤد من حسنها وحانت فابصرت ظله فنقضت شعرها فغطى بدنها فزاده
ذلك اعجابا بها فسأل عنها فقيل هي تشايع بنت شايع امرأة اوريا بن
حنانا وزوجها في غزوة بالبلقا مع ايوب ابن صوريا ابن اخت داؤد فكتب
داؤد الى ابن اخته ان ابعث اوريا الى موضع كذا او قدمه قبل التابوت
وكان من قدم على التابوت لا يحل له ان يرجع وراءه حتى يفتح الله تعالى على
يديه او يستشهد فبعثه ففتح له فكتب الى داؤد بذلك فكتب اليه ان ابعثه الى
عدو كذا وكذا اشد منه بأسا فبعثه ففتح له فكتب الى داؤد بذلك فكتب اليه
ان ابعثه الى عدو كذا اشد منهم بأسا فبعثه فقتل في المرة الثالثة فلما
انقضت عدة المرأة تزوجها داؤد عليه السلام فهي ام سليمان عليه السلام وروى
البغوي باسناد الثعلبي عن انس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ان داؤد النبي صلى الله عليه وسلم حين نظر الى المرأة فهم فقطع على بني

اسرائيل وهو صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقربه تلقاء بين يدي
التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يدي التابوت
لم يرجع حتى يقتل او ينهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان يقصان عليه
قصة ففطن داود فسجد فمكث اربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه
على راسه واكلت الارض من جبهته وهو يقول في سجوده رب زل داود زلة
ابعد ما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود ولم تغفر ذنبه
جعلت ذنبه حديثا في الخلق من بعده فجاء جبرئيل من بعد اربعين ليلة فقال
يا داود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود ان الرب
قادر على ان يغفر لي الذي هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يميل فكيف
بفلان اذا جاء يوم القيمة فقال رب دمي الذي عند داود فقال جبرئيل ما سئلت
ربك عن ذلك وان شئت لافعلن قال نعم وعرج جبرئيل وسجد داود ما شاء الله
تعالى ثم نزل جبرئيل عليه السلام فقال سئلت الله يا داود عن الذي ارسلتني فيه
فقال قل لداود ان الله تعالى يجمعكما يوم القيمة فيقول له هب لي دمك الذي
عند داود فيقول هو لك يا رب فيقول الله تعالى فان لك في الجنة ما شئت
وما اشتهيت عوضا عن دمك وما قال وهب ان داود اتاه نداء اني قد غفرت

الك قال يارب كيف ... انت لا تعلم احدا قال اذهب الى قبر اوريا فناده وانا
اسمعه نداءك ... فانطلق داود وقد لبس المسوح حتى جلس
عند قبره ثم نادى يا اوريا فقال من هذا الذي قطع على لذتي وايقظني قال انا
داود قال ما جاء بك يا نبي الله قال اسألك ان تجعلني في حل مما كان مني
اليك قال وما كان منك الي قال عرضتك للقتل قال بل عرضتني للجنة فانت
في حل فاوحى الله تعالى اليه يا داود الم تعلم اني حكم عدل لا اقضي بالتعنت
الا اعلمته انك قد تزوجت امرأته قال فرجع فناداه فاجابه فقال من هذا الذي
قطع على لذتي وايقظني قال انا داود قال ما جاء بك يا نبي الله اليس قد عفوت
عنك قال نعم ولكن انما فعلت ذلك بك لمكان امرأتك وقد تزوجتها قال فسكت
ولم يجبه بدعاه مرة فلم يجبه ودعاه فلم يجبه فقام عند قبره وجعل التراب على راسه
ثم نادى الويل لداود ثم الويل الطويل لداود اذا وضعت الموازين بالقسط سبحان
خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار
سبحان خالق النور فاتاه نداء من السماء يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمت بكاءك
واستجبت دعاءك واقلت عثرتك قال يا رب كيف وصاحبي لم يعف عني قال يا داود اعطيه يوم
القيامة
من الثواب ما لم ترعيناه ... عبدي فيقول يارب

مر ان لي هذا ولم يبلغه عملي فاقول هذا ... بك ... ودنا ستوصبك
منه فيصيبك لي قال يارب الان ... في ... عن وهب
بن منبه ان داود عليه السلام لما ... ثلاثين سنة لا ...
دمعه ليلا ولا نهارا وكان اصابته ... وهو ابن سبعين سنة فقسم الدهر
بعد الخطيئة على اربعة ايام يوم للقضاء ... ويوم للنساء ويوم يسيح
في الجبال والضيا في والساحل ويوم يخلو في داره فيها اربعة آلاف محراب
فيجتمع اليه الرهبان فينوح معهم على نفسه ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم
سياحة يخرج الى الضيا في ويرفع صوته بالمزامير فيبكي ويبكي الشجر والطير والرمال
والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الانهار ثم يجي الى الجبال ويرفع صوته
ويبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والطير ودواب البحر وطين الماء فاذا امسى
رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود
على نفسه فليحضر من يساعده ويدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط ...
ثلاث فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجي اربعة آلاف راهب عليه
البرانس وفي ايديهم العصي فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع داود عليه الصلوة
والسلام صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان معه اصواتهم فلا يزال

يبكى حتى تغرق الفرش من دموعه ويقع داؤد فيها مثل الفرخ يضطرب فيجئ
ابنه سليمان عليه السلام فيحمله ويأخذ داؤد من تلك الدموع بكفيه ويمسح بها وجهه
ويقول يا رب اغفر ما ترى فان هذا المذكور يدل على صدور الذنب عن داؤد
عليه السلام بسبب عشقه على امرأة اوريا واحتياله الكثيرة فى قتل زوجها اوقتله
بتوفيق الله تعالى وتوفيقه ان تلك العقيدة فاسدة كاسدة ليست من
معتقدات اهل السنة والجماعة لما سنبين انشاء الله تعالى واما ما ذكروه
من الاحاديث والاخبار المذكورة فليست مما يعتمد عليها لمناقضتها فيما
بينها وتكذيب بعضها البعض بل لو نظر فيها بالتعمق من له ادنى دراية لحكم
بعدم صحتها اما الاول فلان ابتلاء ابراهيم واسحق ويعقوب عليهم الصلوة والسلام
ما كان فى معصية الله تعالى بل كان فى طاعته والصبر على هذا موجب لمزيد المرتبة و
علو الدرجة واما ابتلاء داؤد عليه السلام على القول بصحة الاخبار لم يكن
فى طاعة الله بل كان فى معصية ومثل هذا الابتلاء لا يكون سببا لمزيد المرتبة
وهو عليه الصلوة والسلام تمنى ابتلائه بما ابتلوا به آبائه ولهذا قال ربى ابتليتنى
بمثل ما ابتليتهم صبرت ايضا وليس لما تلته بينهما واما الثانى والثالث والرابع
فلانه تعالى لما اخبر بالمغفرة بقوله يا داؤد قد غفرت لك ذنبك ورحمتك

بکائک واستجبت دعائک ویقول جبرئیل علیه السلام یا داؤد ان الله قد غفر لك الهم الذی هممت به کیف توقف داؤد علیه السلام فی مغفرته ولم یجزم بتحققها وقال یا رب کیف وصاحبه لم یعف عنی وقال قد عرفت ان الله عدل لا یمیل فکیف بفلان الخ ولما تاب الله علیه بالمغفرة فلم قال لعبدها علی سبیل الهداومة یا رب اغفر لی ما تری وایضا تنافی صحتها روایة سعید بن المسیب والحارث الاعور عن علی بن ابی طالب رضی الله عنه انه قال من حدثکم بحدیث داؤد علی ما یرویه القصاص جلدته مائة وستین جلدة وهو حد الفریة علی الانبیاء فان هذا الروایة تدل علی تکذیب قصة المذکورة وتلك الروایة علی صحتها فتناقضت وتعارضت وحکم التعارض التساقط وعدم الرجحان وقد ثبت فی اصول الفقه ان الترجیح لیس باعتبار کثرة الرواة وقلتهم ولا باعتبار کثرة الروایة وقلتها فاذا تساقطت لابد لنا من الرجوع الی البراهین القطعیة الیقینیة علی بطلان ما قالوا من ان داؤد علیه السلام عشق علی امرأة اوریا فاحتال بالوجوه وسعی فی قتله حتی قتل ثم تزوجها فلم یلبث عندها الا یسیرا حتی بعث الله له الملکین علی صورة انسانین وقصا علیه قصة ثم اعلم ان هذه القصة باطلة بوجوه کما فی الکبیر الاول ان هذه الحکایة لو نسبت الی افسق

الناس واشدهم فجورا لاستنكف منها والرجل الحشوي الخبيث الذي يقرر
تلك القصة لو نسب الى مثل هذا العمل الباطل في تقرير نفسه وربما لعن من ينسبه
اليها واذا كان الامر كذلك فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصوم اليه الثاني
ان حاصل القصة يرجع الى امرين الى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع
في زوجته اما الاول فامر منكر قال صلى الله تعالى عليه وسلم من سعى في دم مسلم ولو بشطر
كلمة جاء يوم القيمة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله واما الثاني فمنكر
عظيم قال صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده واوريا
لم يسلم من داود لا في روحه ولا في منكوحه الثالث ان الله تعالى وصف داود
عليه السلام قبل ذكر هذه القصة بالصفات الكثيرة ووصفه ايضا بصفات كثيرة
بعد ذكر هذه القصة وكل هذه الصفات تنافي كونه عليه السلام موصوفا بهذا الفعل
المنكر والعمل القبيح اما الصفة الاولى فهو انه تعالى امر محمدا صلى الله عليه وسلم
بان يقتدي بداود في المصابرة مع المكابرة كما قال اصبر على ما يقولون
واذكر عبدنا داود الآية ولو قلنا ان داود لم يصبر على مخالفة النفس بل سعى
في اراقة دم امرئ مسلم لغرض شهوته فكيف يليق باحكم الحاكمين ان يامر محمدا
افضل الرسل بان يقتدي بداود في الصبر على طاعة الله واما الصفة الثانية

هی انه تعالی وصفه بکونه عبدالله کما قال واذکر عبدنا وذلک غایة لتشریف
الاتری انه تعالی لما اراد ان یشرف محمدا صلی الله علیه وسلم لیلة المعراج قال سبحان
الذی اسری بعبده فههنا یدل علی ذلک التشریف لداؤد وعلی ان المقصود
من هذا الوصف بیان کون ذلک الموصوف کاملا فی موقف العبودیة تاما
فی القیام باداء الطاعات والاحتراز عن المحظورات ولو قلنا ان داؤد علیه السلام
اشتغل تبلک الاعمال الباطلة فحینئذٍ ماکان داؤد کاملا فی عبودیة لله تعالی
بل کان کاملا فی طاعة الهوی والشهوة وهذا باطل الصفة الثالثة هو قوله ذا
الایدای ذا القوة اذ الاید بمعنی القوة کقوله هو الذی ایدک بنصره وایدنا
بروح القدس والسماء بنینها باید وعن قتادة اعطی قوة فی العبادة وفقها
فی الدین وکان یقوم اللیل ویصوم نصف الدهر ولما مدحه الله تعالی بالقوة وجب
ان یکون تلک القوة موجبة للمدح والقوة التی توجب المدح العظیم لیست الا
القوة علی فعل ما امر به وترک ما نهی عنه والقوة فی غیر هذا اذا کانت موجودة
فی ملوک الکفار وای قوة لمن لم یملک نفسه عن القتل والرغبة فی زوجة المسلم
الصفة الرابعة کونه اوّاب ای کثیر الرجوع الی الله تعالی فی طاعته فکیف یلیق
هذا الوصف بمن یکون قلبه مشغوفا بالقتل والفجور الصفة الخامسة قوله تعالی انا

سخرنا الجبال معه افترى انه سخرت له الجبال ليتخذه وسيلة الى القتل والفجور الصفة السادسة

قوله والطير محشورة وقيل انه كان محرماً عليه صيد شئ من الطير وكيف يعقل

ان يكون الطير امنا منه ولا ينجو منه الرجل المسلم على روحه ومنكوحه الصفة السابعة

قوله تعالى وشددنا ملكه ومحال ان يكون المراد انه تعالى شدد ملكه باسباب الدنيا

بل المراد انه تعالى شدد ملكه بما يقوى الدين واسباب سعادت الآخرة والمراد

تشديد ملكه فى الدين والدنيا ومن لا يملك نفسه عن القتل والفجور كيف يليق

به ذلك الصفة الثامنة قوله تعالى واتيناه الحكمة و فصل الخطاب والحكمة

اسم جامع لكل ما ينبغى علما وعملا فكيف يجوز ان يقول الله تعالى انا اتيناه الحكمة

وفصل الخطاب مع اصراره على ما يستنكف عنه الخبيث الشيطان عن مزاحمة

اخلص اصحابه فى الروح والمنكوح فهذه الصفات المذكورة دالة على براءة

ساحته عن تلك الاكاذيب واما الصفات المذكورة بعد هذه القصة فهى عشرة

اولها قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب وذكر هذه الكلام انما يناسب

لو دلت القصة المتقدمة على قوته فى طاعة الله اما لو كانت القصة المتقدمة

دالة على سعيه فى القتل والفجور لم يكن قوله وان له عندنا لزلفى لائقا به الثانى

قوله تعالى يا داؤد انا جعلناك خليفة فى الارض وهذا ايضا يدل على كذب تلك القصة

من وجوه احدها ان الملك الكبير اذا حكى عن بعض عبيده انه قصد دماء الناس واموالهم وازواجهم فبعد فراغه عن شرح تلك القصة على ملاء من الناس يقبح منه ان يقول عقيبه ايها العبد اني فوضت اليك خلافتي ونيابتي وذلك لان ذكر تلك القبائح والافعال المنكرة يناسب الزجر والحجر فاما جعله نائبا وخليفة لنفسه فذلك البتة مما لا يليق وثانيها انه ثبت في اصول الفقه ان ذكر الحكم عقيب الوصف يدل على كون ذلك الحكم معللا بذلك الوصف فلما حكى الله تعالى عنه تلك الواقعة القبيحة ثم قال بعده انا جعلناك خليفة في الارض اشعر هذا بان الموجب لتفويض هذه الخلافة هو اتيانه بتلك الافعال المنكرة ومعلوم ان هذا فاسد اما لو ذكرنا تلك القصة على وجه تدل على براءة ساحته عن المعاصي والذنوب وعلى شدة مصابرته على طاعة الله تعالى فحينئذ يناسب ان يذكر عقيبه انا جعلناك خليفة في الارض فثبت ان هذا الذي نختاره اولى والثالث وهو انه لما كانت مقدمة الاية دالة على مدح داؤد عليه السلام وتعظيمه ومؤخرتها ايضا دالة على ذلك فلو كانت الواسطة دالة على القبائح والمعائب لجرى مجرى ان يقال فلان عظيم الدرجة عالي المرتبة في طاعة الله تعالى يقتل ويزني ويسرق وقد جعله خليفة في ارضه وصوب احكامه

وكان هذا الكلام مما لا يليق بالعاقل فكذا ههنا ومن المعلوم ان ذكر العشق
والسعي في القتل من اعظم ابواب العيوب والرابع ان القائلين بهذا القول ذكروا
ان داود عليه السلام تمنى ان يحصل له في الدين كما حصل للانبياء المتقدمين
من المنازل العالية مثل ما حصل للخليل من الالقاء في النار وحصل للذبيح
من الذبح وحصل ليعقوب من الشدائد الموجبة لكثرة الثواب فاوحى الله تعالى اليه انهم
وجدوا تلك الدرجات لانهم لما ابتلوا صبروا فعند ذلك سأل داود عم
الابتلاء فاوحى الله اليه انك ستبتلى في يوم كذا فبالغ في الاحتراز ثم
وقعت الواقعة فنقول اول حكايتهم يدل على ان الله تعالى يبتليه بالبلاء
الذي يزيد في منقبته ويكمل مراتب اخلاصه فالسعي في قتل النفس بغير الحق
والافراط في العشق كيف يليق بهذه الحالة فثبت ان الحكاية التي ذكروها
يناقض اولها اخرها الخامس ان داود عليه السلام قال وان كثيرا من الخلطاء
ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا استثنى الذين امنوا عن البغي فلو قلنا
انه كان موصوفا بالبغي لزم ان يقال انه حكم بعدم الايمان على نفسه وهو باطل
السادس ان داود عليه السلام لو فعل ذلك لكان ظالما فكان يدخل تحت قوله تعالى
الا لعنة الله على الظالمين ولا يقول بجواز اللعن عليه احد من اهل الاسلام فان

قبل ان اكابر المحدثين والمفسرين ذكروا هذه القصة فكيف الحال فيها قلت
لما وقع التعارض بين الدلائل القاطعة وبين خبر واحد من اخبار الآحاد كان
الرجوع الى الدلائل القاطعة اولى وايضا فالاصل براءة الذمة وايضا فلما
تعارض دليل التحريم والتحليل كان جانب التحريم اولى وايضا طريق الاحتياط
توجب ترجيح قولنا وايضا كل المفسرين لم يتفقوا على هذا القول بل الاكثرون
والمحققون منهم يردونه ويحكمون عليه بالكذب والفساد ويقررون هذه القصة
بوجهين احدهما يوجب ترك الافضل والاولى وثانيهما يوجب الحاق اعظم
انواع المدح والثناء بداؤد عليه السلام اما الاول فهو وجوه الاول ان
هذه المرأة خطبها اوريا فاجابوه ثم خطبها داؤد عليه السلام فآثره اهلها
فكان ذنبه ان خطب على خطبة اخيه المومن مع كثرة نسائه وجاء في حديث
صحيح لا يحل لرجل مسلم يخطب على خطبة اخيه حتى يترك والنهي فيه للتنزيه
لا للتحريم الثاني قالوا انه وقع بصره عليها فمال قلبه اليها وليس له في هذا ذنب
البتة اما وقوع بصره عليها من غير قصد فذلك ليس بذنب واما حصول الميل
عقيب النظر فليس ايضا ذنب لان هذا الميل ليس في وسعه فلا يكون مكلفا
به بل لما اتفق قتل زوجها لم يتأذ تأذيا عظيما بسبب قتله لاجل انه طمع

ان يتزوج بتلك المرءة فحصلت الزلة بسبب هذا المعنى وهو انه لم يتقل
عليه قتل ذلك الرجل والثالث انه كان اهل زمانه يسأل بعضهم بعضا
ان يطلق امرأته حتى يتزوجها وكانت عادتهم فى هذا المعنى مألوفة معروفة
كما ان الانصار يواسون المهاجرين بهذا المعنى فاتفق ان عين داؤد عم
وقعت على تلك المرأة فاحبها فسئله النزول عنها فاستحى ان يرده ففعل وهى
ام سليمان عليه السلام فقيل له هذا وان كان جائزا فى ظاهر الشريعة الا انه
لايليق بك فان حسنات الابرار سيئات المقربين هذه الوجوه التى تدل على
ان داؤد عليه السلام ترك الاولى له والافضل وترك الاولى ليس بذنب واما الاحتمال
الثانى الذى يدل على الحاق اعظم انواع المدح والثناء به عليه السلام وهو
ان نقول روى ان جماعة من الاعداء طمعوا فى ان يقتلوا نبى الله داؤد عليه السلام
وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل بطاعة ربه فانتهزوا الفرصة فى ذلك اليوم
وتسوروا المحراب فلما دخلوا عليه وجدوا عنده اقواما يمنعونه منهم فخافوا فوضعوا
كذبا فقالوا خصمان بغى بعضنا على بعض الى اخر القصة وليس فى نظم القرآن ما يمكن
ان يحتج به فى الحاق الذنب بداؤد عليه السلام الا الفاظ اربعة احدها قوله تعالى
وظن داؤد انما فتناه وثانيها قوله تعالى فاستغفر ربه وثالثها قوله واناب

ورابعها قوله تعالى فغفرنا له ذلك ثم نقول وهذه الالفاظ لا يدل شيء منها على
ما ذكروه وتقريره من وجوه الاول انهم لما دخلوا عليه لطلب قتله بهذا الطريق
وعلم داود عليه السلام ذلك دعاه الغضب الى ان يشتغل بالانتقام منهم الا انه
مال الى الصفح والتجاوز عنهم طلبا لمرضاة الله وكانت هذه الواقعة هي الفتنة
لانها جارية مجرى الابتلاء والامتحان ثم انه استغفر ربه مما هم به من الانتقام
منهم وتاب عن ذلك الهم واناب فغفر له ذلك القدر من الهم والعزم والثاني
انه وان غلب على ظنه انهم دخلوا عليه ليقتلوه الا انه ندم على ذلك الظن وقال لما لم تقم
دلالة ولا امارة على ان الامر كذلك فبئس ما عملت بهم حيث ظننت بهم
هذا الظن الردى فكان هذا هو المراد من قوله وظن داود عليه السلام انما
فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا واناب منه فغفر الله له ذلك الثالث ان
الداخل
دخولهم عليه كان فتنة لداود عليه السلام الا انه عليه السلام استغفر لذلك
العازم على قتله فداود عليه السلام استغفر لهم واناب اى رجع الى الله تعالى
في طلب مغفرة ذلك الداخل القاصد للقتل وقوله تعالى فغفرنا له ذلك اى
غفرنا لاجله ذلك الذنب لاجل احترام داود ولتعظيمه كما قال بعض المفسرين في
قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك اى ليغفر لك ولاجلك من ذنب امتك

الرابع هب انه تاب داود عليه السلام من زلة صدرت منه لكن لا نسلم ان تلك الزلة وقعت بسبب المرأة فلم لا يجوز ان يقال ان تلك الزلة انما حصلت له لانه قضى لاحد الخصمين قبل ان يسمع كلام الخصم الثاني فانه لما قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه فحكم عليه بكونه ظالما بمجرد دعوى الخصم بغير بينة فيكون هذا الحكم مخالفا للصواب فعند هذا اشتغل بالاستغفار والتوبة الا ان هذا من باب ترك الاولى والافضل ايضا كما قيل فثبت بهذه البيانات انا اذا حملنا هذه الآيات على هذا الوجه فانه لا يلزم اسناد شيء من الذنوب الى داود عليه السلام بل ذلك يوجب اسناد اعظم الطاعات اليه والا يضمحل مطاعن لا يتم الا اذا قلنا الخصمان كانا ملكين ولما كانا من الملائكة وما كان بينهما مخاصمة وبغى احدهما على الآخر كان قولهما خصمان بغى بعضنا على بعض كذبا فمدعاه لا يتم الا بشيئين احدهما اسناد الكذب الى الملائكة في قولهما خصمان لعدم الخصومة بين الملائكة وفي قولهما بغى بعضنا على بعض لعدم البغي بين الملائكة وفي قولهما ان هذا اخي له تسع وتسعون نعجة لعدم وجود النعاج لهم والكذب على الملائكة غير جائز لقوله تعالى لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون ويفعلون ما يؤمرون والثاني ان يتوسل باسناد الكذب الى الملائكة الى اسناد افحش القبائح الى رجل كبير من اكابر الانبياء فاما

اذا حملنا الكلام على ان الخصمين كان رجلين دخلا عليه لغرض الشر ثم
وضعا هذا الحديث الباطل فحينئذ لزم اسناد الكذب الى شخصين فاسقين
فكان هذا اولى من القول الاول ولو سلم ان الخصمين كانا ملكين ارسلهما الله تعالى
اليه لينبهاه على زلته ويكون تقرير الملكين تمثيلا وتصويرا القصة من قبيل
المعاريض دون الاخبار بمضمون الكلام حتى يلزم الكذب فلا نسلم ان زلته ما
ذكره الطاعنون بل زلته كانت ما ذكرنا من انه خطب امرأة كان خطبها
اوريا فزوجها اولياءها داؤد عليه السلام دون اوريا ويدل عليه قوله وعزني في
الخطاب قال في اليواقيت والجواهر بعد نقل عبارت الفتوحات وهي هذه
واما الجواب عن خطيئة داؤد عليه السلام التي استغفر منها وخر راكعا
واناب فكانت نظرة فجاءة بغير تقدم نية صالحة ولذلك قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم كانت خطيئة اخي داؤد النظر انتهى وذلك انه رفع راسه
من الارض بغير نية تناسب مقامه فاخذه الله بذلك ولذلك ورد انه
لم يرفع بصره الى ناحية السماء الى ان مات حياء من ذلك الرفع السابق
مع الغفلة فغاية الذنب هو رفع البصر ولو الى مباح بغير نية فافهم فيعلم
ان مواخذة الاكابر في الحركات والسكنات مع الغفلة لا تختص بالنظر

ولا غيره فلو قدر انه حرك اصابع مع الغفلة عن شهود رضى الحق بذلك لاخذه
لوجوب الحضور عليهم مع الله على الدوام انتهى ويؤيده وما اخرجه الديلمي
عن ابن عباس رضي الله عنهما كان لهارون ولدان يخدمان المسجد و
يسرجان قناديله من نار تاتيهما من السماء وان النار تاخرت ذات
ليلة عن دقتها التي كانت تأتي فيه فاسرج الولدان تلك القناديل
من النار الدنيا فجاءت النار من السماء فوقعت عليهما فقام
هارون ليطفي عن ولديه تلك النار فصاح موسى كف عن ذلك
ودع امر الله ينفذ فيهما فاوحى الله عز وجل هذا فعلي بمن خالف امري
من اوليائي فكيف بمن خالف امري من اعدائي فان قيل ان هذا
الجواب وان كان دافعا للطعن المذكور بالحيثية المذكورة
ولكنه لا يقطع مادة اصل الاشكال لان غرضنا لطاعنين اثبات
صدور الذنب عن داؤد عليه السلام ولو كان بترك الواجب
فلهم ان يقولوا لما كان الحضور مع الله دائما واجبا عليه فكان
الغفلة عن الشهود حراما عليه فيكون التارك للواجب والمرتكب
للحرام مذنبا وهو عين مدعى الطاعن فاقول يحتمل ان لا يكون المراد

بالوجوب الوجوب الشرعی بل یکون الواجب بمعنی المستحسن والافضل ولا مضائقة بترك الافضل تامل فیه

الفصل التاسع فی شان سیدنا سلیمان علیه السلام واحتج الطاعنون فی عصمة الانبیاء علی عدم

عصمته بامور احدها قوله تعالی ووهبنا لداؤد سلیمان نعم العبد انه اواب اذ عرض علیه بالعشی الصافنات الجیاد فقال انی احببت حب الخیر عن ذکر ربی حتی توارت بالحجاب ردوها علی فطفق مسحا بالسوق والاعناق فان ظاهره یدل علی ان اشتغاله بتلك الصافنات الهاه عن ذکر الله حتی روی انه فاتت عنه صلوة العصر باستعراض الافراس ثم سال الله ان یرد علیه الشمس واخذ السیف فعقر الخیل فی سوقها واعناقها ویؤیده ما اخرجه ابن جریر وابن منذر عن علی رضی الله عنه قال الصلوة التی فرط فیها سلیمان علیه السلام صلوة العصر وما اخرجه ابن ابی شیبة فی المصنف عن ابن عباس قال کان سلیمان علیه السلام لایکلم اعظاما له فلقد فاتته صلوة العصر وما استطاع احد ان کلمه وما اخرجه الطبرانی فی الاوسط وابن مردویه بسند حسن عن ابی بن کعب عن النبی صلی الله علیه وسلم فی قوله فطفق مسحا بالسوق والاعناق قال قطع سوقها واعناقها بالسیف ولاشك ان ترك الصلوة

كبيرة والجواب انه لا دلالة فى الآية على ترك الصلوة مع انه اذا كان
فوتها بالنسيان لم يكن ذنبا واعلم اولا ان فى تفسير قوله انى احببت حب الخير
وجوه الاول ان يضمن احببت معنى فعل يتعدى بعن كانه قيل انبت حب الخير عن
ذكر ربى والثانى ان احببت بمعنى لزمت والمعنى انى الزمت حب الخيل
عن ذكر ربى اى عن كتاب ربى وهو التوراة لان ارباط الخيل كما انه
فى القرآن ممدوح فكذلك فى التوراة ممدوح والثالث ان الانسان قد يحب
شيئا ولكن لا يحب ان يحبه كالمريض الذى يشتهى ما يزيد فى مرضه وكالاب الذى
يحب ولده المردى واما من احب شيئا واحب ان يحبه كان ذلك
غاية الكمال فى المحبة فيكون احببت حبا لهذه الخيل ثم قال عن ذكر ربى
معنى ان هذه المحبة الشديدة انما حصلت عن ذكر الله وامره لا عن الشهوة
والهوى وطلب الدنيا وهذا الوجه اظهر الوجوه ثم قوله تعالى حتى توارت
بالحجاب ردوها يحتمل رجوع الضميرين الى الشمس لانه جرى ذكر ماله تعلق بها
وهو العشى ويحتمل ان يكون كل واحد منهما عائدا الى الصافنات ويحتمل
ان يكون الاول متعلقا بالشمس والثانى بالصافنات ويحتمل ان يكون
بالعكس من ذلك فهذه احتمالات اربعة لا مزيد عليها فالاول ان يعود

الضمير ان معا الى الصافنات كانه قال حتى توارت الصافنات في بالحجاب
ردوا الصافنات علي والاحتمال الثاني ان يكون الضمير ان معا عائدين
الى الشمس كانه قال حتى توارت الشمس بالحجاب ردوا الشمس علي وهذا الاحتمال
بعيد والذي يدل على كونه بعيدا وجوه الاول ان الصافنات مذكورة تصريحا
والشمس غير مذكورة وعود الضمير الى المذكور اولى من عوده الى المقدر الثاني
انه قال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب فظاهر هذا اللفظ
يدل على ان سليمان عليه السلام كان يقول اني احببت حب الخير عن ذكر ربي
وكان يعيد هذه الكلمة الى ان توارت بالحجاب فلو قلنا المراد حتى توارت
الصافنات بالحجاب كان معناه انه حين وقع بصره عليها حال جريها
كان يقول هذه الكلمات الى ان غابت عن عينه وذلك مناسب ولو قلنا
المراد حتى توارت الشمس بالحجاب كان معناه انه كان يعيد هذه الكلمة
من وقت العصر الى وقت المغرب وهذا في غاية البعد الثالث انا لو حكمنا
بعود الضمير في قوله حتى توارت الى الشمس وحملنا اللفظ على انه ترك
صلوة العصر كان هذا منافيا لقوله احببت حب الخير عن ذكر ربي فان
تلك المحبة لو كانت عن ذكر الله لما نسي الصلوة ولما ترك ذكر الله الرابع

انه بتقدير انه عليه السلام بقي مشتغلا بتلك الخيل حتى غربت الشمس وفاتت

صلاة العصر فكان ذلك ذنبا عظيما وجرما قويا فالا يليق بهذه الحالة

التضرع والبكاء والمبالغة فى اظهار التوبة واما ان يقول على سبيل التهور

والعظمة لاله العالم ورب العالمين ردوها على بمثل هذه الكلمة العارية عن كل

جهات الادب عقيب ذلك الجرم العظيم فهذا لا يصدر من ابعد الناس

عن الخير فكيف يجوز اسناده الى الرسول المطهر المكرم الخامس ان القادر على

تحريك الافلاك والكواكب هو الله تعالى وكان يجب ان يقول ردها

على ولا يقول ردوها على فان قالوا انما ذكر صيغة الجمع للتنبيه على تعظيم

المخاطب فنقول قوله ردوها لفظ مشعر باعظم انواع الاهانة فكيف

يليق بهذا اللفظ رعاية التعظيم فان قالوا بارجاع ضمير الجمع فى ردوها

الى الملائكة كما ورد فى خبر على رضى الله عنه اشتغل سليمان عليه السلام بعرض

الافراس للجهاد حتى توارت بالحجاب اى غربت الشمس فقال بامر الله تعالى

للملائكة الموكلين بالشمس ردوها يعنى الشمس فردوها الى موضع وقت العصر

حتى صلى العصر فى وقتها اقول انه مع كونه خبرا واحدا لا يعارض الادلة

القطعية اليقينية يدل على فوت صلوته ناسيا فى حال اشتغاله بامور الجهاد

تامل فيه الساد س ان الشمس لو رجعت بعد الغروب لكان ذلك مشاهدا

لكل اهل الدنيا ولو كان الامر كذلك لتوفرت الدواعي على نقله واظهاره

وحيث لم يقل احد ذلك علمنا فساده السابع انه تعالى قال اذ عرض عليه

بالعشي الصافنات الجياد ثم قال حتى توارت بالحجاب وعود الضمير الى اقرب

المذكورين اولى واقرب المذكورين هو الصافنات الجياد واما العشي

فما بعدهما فكان عود ذلك الضمير الى الصافنات اولى ثم قوله فطفق مسحا

بالسوق والاعناق ليس معناه انه عليه السلام مسح السيف بسوقها واعناقها

اى قطعها لانه بعيد ايضا ويدل عليه وجوه الاول انه لو كان معنى مسح السوق

والاعناق قطعها لكان معنى قوله وامسحوا برؤسكم وارجلكم قطعها وهذا

مما لا يقوله عاقل بل لو قيل مسح راسه بالسيف فربما فهم منه ضرب العنق اما

اذا لم يذكر لفظ السيف لم يفهم البتة من المسح العقر والذبح الثاني

القائلون بهذا القول جمعوا على سليمان عليه السلام انواعا من الافعال

المذمومة فاولها ترك الصلوة وثانيها انه استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا

الى حيث نسي الصلوة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا راس

كل خطيئة وثالثها انه بعد الاتيان بهذا الذنب العظيم لم يشتغل بالانابة البتة

ورابعها انه خاطب رب العالمين بقوله ردوها علی وهذه کلمة لا یذکرها
الرجل الحصیف الا مع الخادم الخسیس وخامسها انه اتبع هذه المعاصی
بعقر الخیل فی سوقها واعناقها وروی عن النبی صلی الله علیه وسلم انه
نهی عن ذبح الحیوان الا لماکلته فهذه انواع من الکبائر نسبوها الی سلیمان
علیه السلام مع ان نظم القرآن لم یدل علی شیء منها وسادسها ان هذه القصة
انما ذکرها الله تعالی عقیب قوله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل یوم الحساب
وان الکفار لما بلغوا فی السفاهة الی هذا الحد قال الله تعالی لمحمد صلی الله علیه وسلم
اصبر یا محمد علی سفاهتهم وعلی ما یقولون واذکر عبدنا سلیمان وهذا الکلام
انما یکون لائقا لو قلنا ان سلیمان علیه السلام اتی فی هذه القصة بالاعمال
الفاضلة والاخلاق الحمیدة وصبر علی طاعة الله تعالی واعرض عن الشهوات
واللذات فاما لو کان المقصود من قصة سلیمان علیه السلام فی هذا الموضع
انه اقدم علی الکبائر العظیمة والذنوب الجسیمة لم یکن ذکر هذه القصة لائقا
بهذا الموضع فثبت ان کتاب الله تعالی ینادی علی هذه الاقوال الفاسدة
بالرد والافساد والابطال فالتفسیر المطابق لالفاظ القرآن ان نقول
ان رباط الخیل کان مندوبا الیه فی دینهم کما انه کذلک فی دین محمد صلی الله

عليه وسلم ثم ان سليمان عليه السلام احتاج الى الغزو فجلس وامر باحضار الخيل
وامر باجرائها وذكر انى لا احبها لاجل الدنيا ونصيب النفس وانما احبها
لامر الله تعالى وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله عن ذكر ربي ثم انه عليه السلام
امر باعدائها وتسييرها حتى توارت بالحجاب اى غابت عن بصره ثم امر الرائضين
بان يردوا تلك الخيل اليه فلما عادت اليه طفق يمسح سوقها واعناقها
والغرض من ذلك المسح امور الاول تشريفا لها وابانة لعزتها
لكونها من اعظم الاعوان في دفع العدو الثاني انه اراد ان يظهر انه في
ضبط السياسة والملك يتضع الى حيث يباشر الامور بنفسه الثالث
انه كان اعلم باحوال الخيل وامراضها وعيوبها فكان يمتحنها ويمسح سوقها
واعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير الذي ذكرناه ينطبق
عليه لفظ القرآن انطباقا مطابقا موافقا ولا يلزمنا نسبة شيء من تلك
المنكرات والمحذورات والعجب من الناس انهم كيف قبلوا الوجوه السخيفة
مع ان العقل والنقل يردها وليس لهم في اثباتها شبهة اى دليل ظني فضلا عن حجة
واما الاخبار المذكورة فلم تبلغ الى درجة الصحة وعلى تقدير التسليم لا تصلح
معارضة للدلائل القوية اليقينية لكونها احادا ولو تنزلنا عن ذلك

فالاخبار تدل على فوت صلوته صلى الله عليه وسلم نسيانا او لا مضائقة فيه وقد نام
نبينا صلى الله عليه وسلم في الوادي حتى طلعت الشمس وقضوا الصبح فالنسيان والنوم
سيّان في عدم الاختيار وثانيهما اي ثاني الامرين قوله تعالى ولقد فتنا سليمان
والقينا على كرسيه جسدا ثم اناب بانهم قالوا ان سليمان عليه السلام بلغه خبر مدينة
في البحر فخرج اليها بجنوده تحمله الريح فاخذها وقتل ملكها واخذ بنتا له اسمها
جرادة من احسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه واسلمت فاحبها وكانت
تبكي دائما على ابيها فامر سليمان عليه السلام الشيطان فمثل لها صورة ابيها فكستها
مثل كسوته وكانت تذهب الى تلك الصورة بكرة وعشيا مع جواريها يسجدن لها
على عادتهن في ملكه فاخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة
ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله تعالى وكانت له
ام ولد يقال لها امينة اذا دخل للطهارة او لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها
وكان ملكه في خاتمه فوضع عندها يوما فاتاها الشيطان صاحب البحر على صورة
سليمان وقال يا امينة خاتمي فتختم به وجلس على كرسي سليمان فاقام عليه الطير والجن
والانس وتغيرت هيئته سليمان فاتى امينة لطلب الخاتم فانكرته وطردته فعرف
ان الخطيئة قد ادركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال انا سليمان

حثوا عليه التراب وسبوه ثم اخذ بخدم السماكين فكان يحمل لهم السمك فيعطونه
كل يوم سمكتين فمكث على هذه الحالة اربعين يوما عدة ما عبد الوثن في بيته فانكر
آصف وعظماء بني اسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان فقلن
ما يدع امرأة منا في دمها ولا يغتسل من جنابة ثم طار الشيطان وقذف الخاتم
في البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة في يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم
فتختم به ووقع ساجدا لله تعالى ورجع اليه ملكه واخذ ذلك الشيطان وادخله في
صخرة والقاها في البحر وهل هذا الا لعصيانه بايقاد الصنم الذي يعبد له في
بيته والجواب ان اهل التحقيق استبعدوا هذا الكلام من وجوه الاول ان الشيطان
لو قدر على ان يتشبه بالصورة والخلقة بالانبياء فحينئذ لا يبقى اعتماد
على شيء من الشرائع فلعل هؤلاء الذين رآهم الناس في صورة محمد
صلى الله عليه وسلم وعيسى وموسى عليهم السلام ما كانوا اولئك بل كانوا شياطين
تشبهوا بهم في الصورة لاجل الاغواء والاضلال ومعلوم ان ذلك يبطل
الدين بالكلية وكما يبطل الدين نبيا الثاني ان الشيطان لو قدر على ان
يعامل نبي الله سليمان بمثل هذه المعاملة لوجب ان يقدر على مثلها مع جميع العلماء
والزهاد وحينئذ وجب ان يقتلهم وان يمزق تصانيفهم وان يخرب ديارهم ...

ذلك في حق احاد العلماء فلان يبطل مثله في حق اكابر الانبياء اولى الثالث
كيف يليق بحكمة الله واحسانه ان يسلط الشيطان على ازواج سليمان عليه السلام
ولا شك انه قبيح فاحش ثم حاشا من سوء هذه العقيدة الفاسدة الكاسدة
وكيف يتوهم ذلك مع ان الشيطان اللئيم لا يمكن له التمثل بصورة
نبي من الانبياء في النوم فكيف يتمثل بصورة سليمان عليه السلام في اليقظة مع وجود
في ذلك المكان الرابع لو قلنا ان سليمان عليه السلام اذن لتلك المرأة في
عبادة تلك الصورة فهذا كفر منه ولم يقل به احد وان لم يأذن فيه البتة
فالذنب على تلك المرأة فكيف يؤاخذ الله سليمان بفعل لم يصدر عنه واما
اتخاذ التماثيل فلم يصح الا باذن منه عليه السلام واذا علمت هذا فاعلم ان
ما قاله اهل التحقيق في تفسير هذه الاية امور الاول ان فتنة سليمان عليه السلام
انه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش صار مسلطا علينا مثل ابيه فسبيلنا
ان نقتله فعلم سليمان ذلك فكان يربيه في السحاب فبينما هو مشتغل بمهماته اذ القي
ذلك الولد ميتا على كرسيه فتنبه على خطائه في انه لم يتوكل فيه على الله فاستغفر ربه
وتاب فهذا مما لا باس به وغايته ترك الاولى وليس في التحفظ ومباشرة
الاسباب ترك الامتثال لامر التوكل على ما قال عليه السلام اعقلها وتوكل

فان قيل كانت الشياطين يصعدون الى السماء حينئذ فما فائدة رفعه فى السحاب
فى المنع عنهم قلت فائدته ان الشياطين التى خاف سليمان على ابنه منهم
كان فى خدمته الدائمة فى الارض فكان فى الرفع الى السحاب رفعه عن ابصارهم
وتغيبه عن علمهم وتسليمه الى محافظة الملائكة الثانى ماروى عن النبى عليه الصلوة
والسلام انه قال قال سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة
تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل انشاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة
واحدة جاءت بشق ولد له عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة فالقته
القابلة على كرسيه فوضع فى حجره فوالذى نفسى بيده لو قال انشاء الله لجاهدوا
كلهم فى سبيل الله فرسانا اجمعون فذلك قوله ولقد فتنا سليمان الثالث
ان فتنة سليمان كانت لسبب مرض شديد القاه الله عليه ومعنى قوله والقينا
الجزاى والقينا على كرسيه منه جسدا وذلك لشدة المرض والعرب تقول فى الضعيف
انه لحم على وضم وجسم بلا روح ثم اناب اى رجع الى حال الصحة ولا يبعد ايضا
ان يقال انه ابتلاه الله تعالى بتسليط وقوع خوف او وقوع بلاء تو قعه من بعض
الجهات حتى صار بقوة ذلك الخوف كالجسد الضعيف على ذلك الكرسى ثم
ان الله تعالى ازال عنه ذلك الخوف واعاده الى ما كان عليه من القوة وطيب القلب

فاللفظ محتمل لهذه الوجوه ولا حاجة الى حمله على تلك الوجوه الركيكة واما
طلب المغفرة فانه لا يستلزم تقدم الذنب كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني
استغفر الله في اليوم والليلة الحديث مع انه عليه السلام معصوم من الذنوب
كلها كما ستقف عليه وايضا الانسان لا ينفك البتة عن ترك الافضل والاولى
وحينئذ يحتاج الى طلب المغفرة لان حسنات الابرار سيئات المقربين وقال
بعض العلماء انما كان استغفاره هضما لنفسه لان الانبياء كانوا في مقام
هضم النفس واظهار الندم والخضوع دائما وثالثها اي ثالث الامور قوله هب لي
ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي انك انت الوهاب بانه عليه السلام طلب الدنيا
وهو يدل على حرصه والدعاء بعدم وصول الخير للغير وهو حسد والحسد ذنب والجواب
عنه بوجوه الاول ان الملك هي القدرة فكان المراد اقدرني على اشياء لا يقدر
عليه غيري البتة ليصير اقتداري عليها معجزة تدل على صحة نبوتي ورسالتي
والدليل على صحة هذا الكلام انه تعالى قال عقيبه فسخرنا له الريح تجري بامره
رخاء حيث اصاب فكون الريح جاريا بامره قدرة عجيبة وملك عجيب ولا شك
انه معجزة دالة على نبوته فكان قوله هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي هو
هذا المعنى لان شرط المعجزة ان لا يقدر غيره على معارضتها فقوله لا ينبغي لاحد

يعني لا يقدر احد على معارضته والثاني انه عليه السلام لما مرض ثم عاد الى الصحة
عرف ان خيرات الدنيا صائرة الى الغير بارث او بسبب آخر فسئل ربه ملكا
لا يمكن ان ينتقل منه الى غيره وهو ملك الدين الذي لا يمكن فيه الانتقال
فقوله ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي اى ملكا لا يمكن ان ينتقل عني الى غيري
فذا ليس بحرص ولا حسد الثالث ان الاحتراز عن طيبات الدنيا مع القدرة
عليها اشق من الاحتراز عنها حال عدم القدرة عليها فكانه قال يا الهي اعطني
مملكة فايقة على ممالك البشر بالكلية حتى احترز عنها مع القدرة عليها
ليصير ثوابي اكمل وافضل والرابع انه كان من الناس من يقول ان الاحتراز
عن لذات الدنيا عسير صعب لان هذه اللذات حاضرة وسعادات الآخرة
نسية والنفس يصعب بيعها بالنسية فقال سليمان عليه السلام اعطني يا رب مملكة
تكون اعظم الممالك الممكنة للبشر حتى انى ابقى مع تلك القدرة الكاملة
في غاية الاحتراز عنها ليظهر للخلق ان حصول الدنيا لا يمنع عن خدمت المولى
الخامس ان من لم يقدر على الدنيا يبقى ملتفت القلب اليها فيظن ان فيها
سعادات عظيمة وخيرات نافعة فقال سليمان يا رب لعزت اعطني اعظم الممالك حتى
يقف الناس على كمال حالها فحينئذ يظهر للعقل انه ليس فيها فائدة

وحينئذ يعرض القلب عنها ولا يلتفت اليها واشتغل بالعبودية ساكن النفس غير مشغول القلب بعلائق الدنيا والتماس سليمان ليس طلبه للمفاخرة بامور الدنيا الفانية وانما كان هو من بيت نبوة وملك وكان في زمن الجبابرين وتفاخرهم بالملك ومعجزة كل نبي ما اشتهر في عصره كما غلب في عهد الكليم السحر فجاءهم بما يتلقف ما اتوا به وفي عهد نبينا الفصاحة فاتاهم بكلام لم يقدروا على اقصر سورة منه وليس المقصود بقوله لا ينبغي لاحد من بعدي استقلاله به بحيث لا يعطي احد مثله ليكون رغبة في الملك وحرصا عليه بل كان مراده من قوله هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي تخصيصه بتلك المعجزة كما كانت لسائر الانبياء معجزات خاصة لا يشاركهم فيها غيرهم وايضا كان غرضه منه طلب ثبات الملك ودوامه لنفسه والمعنى لا تسلبنيه الى آخر عمري كما لم تسلبنيه مني فيما مضى منه وهذا ليس بحسد لان الحسد عبارة عن ارادة زوال النعمة عن الغير وليس لاحد مثل ملكه حتى اراد سليمان عدم زواله عنه بل هو دعاء لنفسه بعدم زوال نعمته الى الغير مثل قول القائل رب هب لي زوجة لا يصل اليها غيري وانما دعا بهذا الدعاء لسياسة الناس وانصاف بعضهم من بعض لما فيه من القيام

بحقوق الله ولم يسئاله لاجل ميله الى الدنيا فهو كقول يوسف عليه السلام
اجعلني على خزائن الارض قال بعض المفسرين ان معنى قوله لا ينبغي لاحد من
بعدي لا يصح لاحد من بعدي لعظمته كقولك لفلان ما ليس لاحد من الفضل
والمال على ارادة وصف الملك بالعظمة لا ان لا يعطي احد مثله فيكون منافية
ولا شئ في ان تتعلق همة العبد و يستوهب من مولاه نعما جليلة و
الطافا عظيمة وانما المحذور في ان يتمنى زوالها عن غيره واجاب بعض
العلماء بان ملك سليمان عليه السلام لما كان عظيما خاف ان لا يقوم
غيره بشكره و لا يحافظ فيه على حدود الله تعالى وكان عالما بان سر نبينا صلى الله
عليه وسلم لا يلاحظ الدنيا ولا ملكها كما قد افنى جميع ما في ملك وجوده من جهة
الافعال والصفات فلم يبق شئ فظهر مكانه شئ لا يوصف حيث وقع تجلي الذات
في مرتبة لم ينلها احد من افراد الخلق سابقا و لا لاحقا وستظهر سلطنته
الصورية ايضا بحيث يكون آدم ومن دونه تحت لوائه فلا
يكون في ذلك الدعاء ضرر على الانبياء عليهم السلام واجاب بعضهم بان
يكون معنى قوله لا ينبغي لاحد من بعدي لا يسئالك الملك احد بل يجب ان يكل
امره الى الله في اختياره له وقال بعض المفسرين كان ذلك

الدعاء منه عليه السلام بالهام من الله لانه تعالى لما اراد تخصيصه بالملك الهمه
تلك الدعاء فقال رب هب لى الآية بان يكون الظهور به بالفعل
فى عالم الشهادة فى الامور العامة والخاصة مختصا لى لا مطلق التمكن
فان ذلك مما آتاه الله تعالى غيره من الكمل نبيا كان او وليا الا ترى
ان نبينا صلى الله عليه وسلم قال ان عفريتا من الجن تفلت على البارحة ليقطع
على صلاتى فامكننى الحديث فعلمنا ان الله تعالى قد وهب التصرف فيه بما شاء
من الربط وغيره ثم ان الله تعالى ذكره فتذكر دعوة سليمان فتادب
معه كمال التأدب حيث لم يظهر بالتصرف فى الخصوص فكيف بالعموم
فرده الله ذلك العفريت بتركه هذا التأدب خاسئا من الظفر به وكان فى وجود
سليمان عليه السلام قابلية السلطنة العامة والهمه الله تعالى ان يسأل
الملك المخصوص به فلم يكن سؤاله البخل والحسد والحرص على الاستمداد
بالنعمة والرغبة فيها كما توهمه الجهلة قال صاحب الكشاف فان قلت
اما تشبه الحرص والحسد على الاستبداد بالنعمة ان يستعطى الله ما لا يعطيه
[illegible] سليمان عليه السلام ناشئا فى بيت الملك والنبوة وارثا
[illegible]

على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز يكون دليلا لنبي على
نبوته انتهى قال في اليواقيت وقد ذكر الشيخ في باب الوصايا من الفتوحات
ان الاكابر انما سئلوا الله تعالى التوسع في الدنيا الا لغرض صحيح وذلك
انهم لما احكموا الزهد في الدنيا والقناعة فيها بالقليل امنوا على انفسهم
ان يشتغلوا من الله بشئ فسألوا الله التوسع في الدنيا ليوسعوا بها على
انفسهم وعلى من يلوذ بهم اعطاء لنفوسهم ومعارفهم حقهم وليستلذ ذوا
بخطاب الله عز وجل لهم بقوله اقرضوا الله قرضا حسنا فانه تعالى ما خاطب
بذلك الا اهل الجدة والسعة فلاجل لذة خطاب الحق تعالى لهم ذلك سارعوا
الى تحصيل مرتبة الغنى بالتجارات والمكاسب الشرعية لعلمهم بان من لا مال له محروم
من لذة هذا الخطاب فقد بان لك ان سليمان عليه السلام لم يقدح في كماله سؤاله
الملك اذ لو تمكن في قلبه لم يسمح بفقد الحالة التي كرهت الدنيا لاجلها انتهى والاصل
ان الدنيا باسرها اقل من جناح بعوضة فلا تكون شاغلة من الله تعالى بالنسبة
الى الانبياء والكمل ومحال ان يسئلوا من ربهم ما يحجبهم عنه او يحجبهم الله تعالى
ما يحجبهم كرامة لهم وقد صرح صاحب التأويلات النجمية على بعض الاجوبة بقوله
ومنها انه قدم طلب المغفرة على طلب الملك لانه لو كان طلب الملك زلة

فی نحو الانبیاء کانت مسبوقة بالمغفرة لا یطالب بها ومنها ان الملك مهما یکن
فی ید مغفور له منظور بنظر العنایة ما یصدر منه تصرف فی الملك الا مقرونا
بالعدل والنصفة وهو محفوظ من آفات الملك وتبعاته ومنها قوله وهب لی ملکا
لا ینبغی لاحد من بعدی ای یکون ذلك موهوبا بالله بحیث لا ینزع منه ویوع تبه
من نبیاء کما هی السنة الالهیة جاریة فیه ومنها قوله لا ینبغی لاحد من بعدی ای
لا یطلبه احد غیری لئلا یقع فی فتنة الملك علی مقتضی قوله تعالی ان الانسان
لیطغی ان رأه استغنی فان الملك جالب للفتنة ومنها قوله لا ینبغی لاحد
من غیری ای لا یکون هذا الملك ملتمس احد منك غیری للتمتع والانتفاع به
وهو بمعزل عن قصدی وینتهی فی طلب هذا فان لی فی طلب هذا الملك
بیته لنفسی وبیته لقلبی وبیته لروحی وبیته للمالك باسرها وبیته للرعایا
فاما بیتی لنفسی فتزکیتها عن صفات الذمیمة واخلاقها اللئیمة وذلك فی
منعها عن استیفاء شهواتها وترك مستلذاتها النفسانیة بالاختیار
دون الاضطرار وانما یتیسر ذلك بعد القدرة الکاملة علیه بالمالکیة والملکیة
بلا مانع ولا منازع وکمالیته فی المملکة بحیث لا یکون فیها ما یحرك داعیة
من دواعی البشریة المرکوزة فی جبلة الانسان یکون کل واحدة من المشتهیات

والمستلذات النفسانية محركة الداعية تناسبها عند تملكها والقدرة
عليها عند توقان النفس اليها وغلبات هواها فيجرم على النفس مرضعها
ويحيها من مشاربها وينهاها عن هواها خالصا لله وطلبا لمرضاته فتموت
النفس عن صفاتها كما يموت البدن عند اعواز وفقدان ما هو غذاء ليعيش
به فاذا ماتت عن صفاتها الذميمة يحييها الله بالصفات الحميدة كما قال
ولنحيينه حياة طيبة وقال قد افلح من ذكاها فلا يبقى لها نظر
الى الدنيا وسائر نعمها كما كان حال سليمان لم يكن له نظر الى الدنيا
ونعيمها وانما كان مع تلك الوسعة فى المملكة ياكل كسرة من كسب يده
مع جليس مسكين ويقول مسكين جالس مسكينا واما تنقية القلب فتصفية
عن محبة الدنيا وزينتها وشهواتها وتوجيهه الى الآخرة بالاعراض عنها
عند القدرة عليها والتمكن فيها بتصرفها فى سبيل الله وقلع اصلها من
ارض القلب ليبقى القلب صافيا من الدنس قابلا للفيض الالهى فانه
خلق مرآة لجميع الصفات الالهية وآمانته لروحه فتحليته بالاخلاق
الحميدة الربانية ولا سبيل اليها الا بعلو الهمة وخلوص النية فان المرأ
يطير بهمته كالطائر يطير بجناحيه ومرتبة الهمة بحسب نيل المقاصد الدنيوية

الدنية وصرفها فى نيل المراتب الدينية الاخروية الباقية وان ترك المقاصد الدنيوية الدنية وان كان اثر التربية الهمة ولكن لا يبلغ حد اثر الصرف عما يملك من المقاصد الدنيوية لنيل مراتب الدرجات العلية فلما كان من اخلاق الله تعالى ان يحب معالى الامور ويبغض سفسافها التمس سليمان اقصى مراتب الدنيا ونهاية مقاصدها لئلا يلتفت اى لان لا يشتغل قلبه بمرتبة من مراتب الدنيا بعد حصولها باسرها له ويستعملها فى تربية الهمة لتحلى روحه بان يحسن اليهم ويؤلف قلوبهم ببذل المال والجاه فان القلوب جبلت على حب من احسن اليها فانهم اذا احبوا نبى الله لزمهم حب الله فيكون حب الله وحب نبيه فى قلوبهم محض الايمان ومن لم يمكن ان يؤمن بالاحسان فيدخلهم فى الايمان بالقهر والغلبة بان يأتيهم بجنود لم يردها كما ادخل بلقيس وقومها فى الايمان واما نيته للممالك بان يجعل الممالك الدنيوية الفانية اخروية باقية بان يتوسل بها الى الحضرة بصرفها باظهار الدين واقامة الحق واعلاء كلمة الاسلام فانقيل قوله لا ينبغى لاحد من بعدى هل يتناول النبى صلى الله عليه وسلم اولا اجيب ما بالصورة فيتناول ولكن لعلوهمته وكمال قدرة لا لعدم استحقاقه لانه عرض عليه صلى الله عليه وسلم ملك اعظم من ملكه

فلم يقبله وقال الفقر فخري واما بالمعنى فلم يتناول النبي صلى الله عليه وسلم
لانه قال فضلت على الانبياء بست يعني على جميع الانبياء ولا خفاء في ان سليمان
عليه السلام ما بلغ درجة واحد من اولى العزم من الرسل مع اختصاصه
بصورة الملك منهم وهم معه مفضولون لست فضائل من النبي صلى الله
عليه وسلم فمعنى الملك الحقيقي الذى كان ملك سليمان صورة بلا ... سليمان
داخلا في الفضائل التي اختصه الله بها واخبر عنها بقوله وكان فضل الله عليك
عظيما بل اعطاه الله ما كان مطلوب سليمان من صورة الملك ومعناه اوفر مما
اعطى سليمان عليه السلام انتهى والاولى في الجواب ان يقال لبس مراد سليمان
عليه السلام بالبعدية البعدية الزمانية حتى تناول الانبياء بل كان
مراده بها البعدية في الرتبة يعني لا ينبغي لاحد من بعدي في المرتبة بان لا يكون
نبيا فيكون معناه ان من كان مثلي في انقطاع التعلقات عن الخلق واشتغال
قلبه بحب الله ومعرفته لا يضره ولا يشغله شئ فكان له الدنيا وسيلة الى
كسب الحسنات ومن لم يكن كذلك كانت الدنيا له شاغلا عن الله فكانت الدنيا
مضرة له فلا ينبغي له لضررها والانبياء كلهم شاغلون قلوبهم بحب الله تعالى
ومعرفته فلا يضرهم الدنيا او يقال ان مراده بقوله من بعدي غيره من ملوك زمانه

لان لا یعارض معجزۃ اللہ الدالۃ علی نبوتہ فافہم **الفصل العاشر فی شان سیدنا یونس علیہ السلام** واحتج الطاعنون فی عصمۃ الانبیاء علی عدم عصمتہ

بقولہ تعالیٰ وذاالنون اذ ذہب مغاضبا فظن ان لن نقدر علیہ فنادی

فی الظلمات ان لا الہ الا انت سبحانک انی کنت من الظالمین

من وجوہ اولہا ان اکثر المفسرین علی انہ ذہب یونس مغاضبا

لربہ ویقال ہذا قول ابن مسعود وابن عباس والحسن والشعبی

وسعید بن جبیر ووہب واختار ابن قتیبۃ ومحمد ابن جریر

فاذا کان کذلک فیلزم مغاضبۃ للہ تعالیٰ والمغاضبۃ للہ من

اعظم الذنوب ثم علی تقدیر ان ہذہ المغاضبۃ لم تکن مع اللہ تعالیٰ

بل کانت مع ملک قومہ فہو ایضا کان محظورا لان اللہ تعالیٰ

قال فاصبر لحکم ربک ولا تکن کصاحب الحوت وذلک

یقتضی ان ذلک الفعل من یونس کان محظورا وثانیہا قولہ

تعالیٰ فظن ان لن نقدر علیہ وذلک یقتضی کونہ شاکا فی قدرۃ

اللہ تعالیٰ والشک فی قدرۃ اللہ ذنب کبیر وثالثہا قولہ انی کنت من الظالمین

والظلم ذنب وقال اللہ تعالیٰ الا لعنۃ اللہ علی الظالمین ورابعہا

انه لو لم يصدر عنه الذنب فلم عاقبه الله تعالى بان القاه فى بطن الحوت وخامسها
قوله لا تكن كصاحب الحوت فان لم يكن صاحب الحوت مذنبا لم يجز النهى عن
تشبيهه به وان كان مذنبا فقد حصل الغرض والجواب عن الاول انه
ليس فى الآية من غاضبه لكنا نقطع على انه لا يجوز على نبى الله ان
يغاضب ربه لان ذلك صفة من يجهل كون الله مالكا للامر والنهى
والجاهل بالله لا يكون مؤمنا فضلا عن ان يكون نبيا واذا ثبت
انه لا يجوز صرف هذه المغاضبة الى الله تعالى وجب ان يكون المراد
انه خرج مغاضبا لغير الله والغاضب مما يغاضب من يعصيه فيما يامره
به فيحتمل قوله او الملك او هما جميعا ومعنا مغاضبته لقومه انه غضب
عليهم لطول ما ذكرهم واقاموا على كفرهم وظن ان ذلك يسوغ حيث
لم يفعله الا غضبا لله والفة لدينه وبغضا للكفر واهله وكان
عليه ان يصبر وينتظر الاذن من الله تعالى فى المهاجرة عنهم فابتلى
ببطن الحوت او انه لما اخبر قومه ان الله تعالى ينزل العذاب بهم لاجل
معلوم وفارقهم ثم بلغه بعد مضى الاجل انه تعالى لم يعذبهم ولم يعلم لاى
سبب لم يعذبهم فخشى ان ينسب الى الكذب ويعير به فقال لا ارجع

الى قومه كذا يا فذهب معاضبا للرجوع اليهم كما دها له والغضب
الكراهة وان كان من قبله خاصة الا انه اخرج على بناء المفاعلة للدلالة
على كمال غضبه والمبالغة فيه لان اكثر استعمال بناء المفاعلة فى المبالغة
ولا شك ان ماصدر بطريق المبالغة يكون اتم ويحتمل ان يكون البناء
على بابه اى من باب المشاركة من حيث انه اغضب قومه حين
لم يؤمنوا بدعوته واصروا على الكفر مدة واغضبوا اياه حين وعظهم وزجرهم
اوحين خرج من بينهم لخوفهم لحوق العذاب بهم عند خروجه من بينهم واما قوله مغاضبة
القوم ايض كانت محظورة قلنا لا نسلم انها كانت محظورة فان الله تعالى امره بتبليغ
الرسالة اليهم فلما لم تقبل رسالته ونبوته عندهم بسبب اصرارهم على الكفر صار
مغاضبا لهم وكان ذلك الغضب غضبا لله تعالى اى لاجله والفته لدينه لا و
بغضا للكفر والشرك وعن الثانى انه ليس معنى قوله فظن ان لن نقدر عليه ظن
عدم قدرت الله تعالى عليه لان من ظن عجز الله فهو كافر ولا يجوز نسبة الكفر
الى الانبياء لما مر بل معناه اما ان لن نضيق عليه لان القدر قد يكون بمعنى
ضيق يقال قدر على عياله قدرا قال الله تعالى يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر اى يضيق ومن قدر عليه رزقه اى ومن ضيق رزقه وروى عن ابن

عباس رضی علی معاویة یوما فقال له معاویة لقد ضربتنی امواج القرآن البارحة فغرقت فیها ولم اجد لنفسی خلاصا الا بک فقال وما هی یا معاویة فقرء هذه الآیة وقال ویظن نبی الله ان لا یقدر علیه تعالی فقال ابن عباس هذا من القدر لا من القدرة اولن نقضی علیه بالعقوبة لان القدر قد یکون بمعنی قضی یقال قدر الله الشیء وقدره ای قضاه وهو قول مجاهد وقتادة والضحاک والکلبی ورواية العوفی عن ابن عباس رضی الله عنه واختار الفراء والزجاج وقال الزجاج نقدر بمعنی نقدر یقال قدر الله الشیء قدرا وقدره تقدیرا فالقدر بمعنی التقدیر کما قرء عمر ابن عبد العزیز والزهری فظن ان لن نقدر علیه بضم النون والتشدید من التقدیر اولن نعمل فیه قدرتنا علی ان یکون نقدر من القدرة التی هی مجاز عن اعمال القدرة ومباشرة الفعل بها علی طریق اطلاق السبب وارادة المسبب فان بین القدرة والفعل علاقة السببیة فلا یبعد جعل احدهما مجازا عن الآخر ویحتمل ان یکون هذا من باب التمثیل بان یشبه حاله فی خروجه عن قومه من غیر انتظار لامر الله تعالی بحال من ظن انه تعالی لا یقدر علیه وعن الثالث انه علیه السلام عد نفسه من الظالمین لاجل انه کان تارکا للافضل مع القدرة علی تحصیله فکان

ذلك ظلما بالنسبة اليه لان حسنات الابرار سيئات المقربين والملامة
ايضا كانت بهذا الاعتبار والجواب عن الرابع انا لا نسلم ان ذلك
عقوبة اذ الانبياء لا يجوز ان يعاقبوا بل المراد به المحنة لكن كثيرا
من المفسرين يستعملون العقوبة فى مطلق المحضرة هذا كله على تقدير وقوع
تلك القصة يعنى وقوع يونس عليه الصلوة والسلام فى بطن الحوت بعد اشتغاله
باداء الرسالة واما على تقدير وقوع هذه القصة قبل اشتغاله باداء الرسالة
على ما روى عن ابن عباس انه قال كان يونس وقومه يسكنون فلسطين
فغزاهم ملك وسبى منهم تسعة اسباط ونصفا وبقى سبطان ونصف فاوحى
الله تعالى الى شعيب النبى عليه الصلوة والسلام ان اذهب الى خرقيل الملك
وقل له وجه نبيا قويا امينا الى هؤلاء فانى القى فى قلوبهم الرعب حتى
يرسلوا معه بنى اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان فى مملكته خمسة
من الانبياء فقال يونس ابن متى فانه قوى امين فدعاه الملك وامره ان يخرج
فقال يونس هل امرك الله تعالى باخراجى قال لا قال فهل سمانى لك قال
لا فقال يونس وههنا انبياء غيرى فالحوا عليه فخرج مغاضبا للملك
ولقومه فاتى بحر الروم فوجد قوما هيؤا السفينة فركب معهم فلما احتبت السفينة

تكافأت بهم فكادوا يفرقون فقال الملاحون ههنا رجل عاص او عبد آبق لان
السفينة لا تفعل هذا الا وفيها رجل عاص ومن رسمنا اذا ابتلينا بهذا البلاء ان
نقترع فمن وقعت عليه القرعة القيناه في البحر ولان يغرق واحد خير من ان
تغرق السفينة فاقترعوا ثلاث مرات فوقعت القرعة فيها كلها على يونس
عليه السلام فقال انا الرجل العاصي والعبد الآبق فالقى نفسه في البحر
فجاء حوت وابتلعه فاوحى الله تعالى الى الحوت ان لا تؤذ منه شعرة
فاني جعلت بطنك سجنا له ولم اجعله طعاما ثم لما انجاه الله تعالى
من بطن الحوت ونبذه بالعراء كالفرخ المنتوف ليس به شعر ولا جلد
انبت الله عليه شجرة من يقطين يستظل بها ويأكل من ثمرها حتى
اشتد فيبست فحزن عليها يونس عليه السلام فقيل له اتحزن على
شجرة ولم تحزن على مائة الف او يزيدون حيث لم تذهب اليهم
ولم تطلب راحتهم ثم اوحى الله تعالى اليه وامره ان يذهب اليهم
فتوجه اليهم حتى دخل ارضهم وهم منه غير بعيد فاتاهم يونس وقال
لملكهم ان الله تعالى ارسلني اليك فارسل معي بني اسرائيل قالوا ما نعرف ما تقول ولو
علمنا انك صادق لفعلنا وقد اتيناكم في دياركم وسبيناكم فلو كان الامر

كما تقول لمنعنا الله عنكم فطاف بهم ثلاثة ايام يدعوهم الى ذلك فابوا عليه

فاوحى الله تعالى اليه قل لهم ان لم يؤمنوا جاءهم العذاب فابلغهم فابوا فخرج من عندهم

فلما فقدوه ندموا على فعلهم فانطلقوا يطلبونه فلم يقدروا عليه ثم ذكروا

امرهم وامر يونس للعلماء الذين عندهم فقالوا انظروا واطلبوه في المدينة

فان كان فيها فليس مما ذكر من نزول العذاب شئ وان كان قد خرج فهو

كما قال فطلبوه فقيل لهم انه خرج العشية فلما ائيسوا اغلقوا باب مدينتهم فلم

يدخلها دوابهم ولاغنمهم وعزلوا كل والدة عن ولدها وكذا الصبيان والامهات

ثم قاموا ينتظرون الصبح فلما انشق لصبح رأوا العذاب نزل من السماء فشقوا

جيوبهم ووضعت الحوامل ما في بطونها وصاح الصبيان ونعقت الاغنام والبقر

فرفع الله العذاب عنهم فبعثوا الى يونس فآمنوا به وبعثوا معه بني اسرائيل انتهى

كما هو الصحيح لقوله تعالى في سورة والصافات فنبذناه بالعراء وهو سقيم

وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه الى مائة الف او يزيدون فلاحاجة

الى الاجوبة المذكورة لانه لما جاءه الملك وامره بالخروج الى الملك

المقابل وقال له يونس هل امرك الله باخراجي فقال الملك لا ثم سأله ثانيا

فقال هل سماني لك فقال لا اثبت عنده ان خروجه بنفسه الى ذلك الملك

ليس بامر الله تعالى فلا ضرورة له بالخروج اليه ولو قال الملك فى جوابه نعم امرنى الله باخراجك لخرج البتة وبهذا سئله مرة بعد اخرى لكن لما كانت له اولى ان يسعى فى تخليص قومه وان لم يكن واجبا عليه ابتلى ببطن الحوت وعد نفسه من الظالمين

الفصل الحادى عشر فى شان سيدنا ومولانا وحبيبنا وشفيعنا محمد عليه وعلى آله وصحبه افضل الصلوة والتسليمات

واحتج الطاعنون فى عصمة الانبياء على عدم عصمته عليه السلام بامور منها قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى فان هذا القول يدل على انه عليه السلام كان على دين قومه الى مدة كما قال السدى انه عليه الصلوة والسلام كان على دين قومه اربعين سنة وقال المجاهد فى تفسير هذا القول ووجدك ضالا عن الهدى فهداك لدينه وقال الكلبى وجدك ضالا يعنى كافرا فى قوم ضلال فهداك للتوحيد والموافقة مع الكفار فى امور الدين ذنب عظيم اقول ليس معنى الآية ما زعمه الطاعنون لانه يستلزم الكفر وهو على الانبياء محال غير جائز لقوله عليه السلام ما كفر بالله نبى قط وايضا انعقد الاجماع على عصمة الانبياء من الشرك والكفر كما مر فى الباب الاول وايضا قال الله تعالى فى شانه عليه السلام ما ضل صاحبكم وما غوى فكيف يليق بالمومن ان يخطر بالقلب تلك العقيدة

المفاسدة بل معنى الآية ما ذكره الجمهور من المفسرين فى تفسيرها بوجوه احدها

ما روى عن ابن عباس والحسن والضحاك وشهر بن حوشب وجدك ضالا

عن معالم النبوة واحكام الشريعة غافلا عنها لا طريق الى دركه الا السمع

فهداك اليه باعمال المذكورة فيه فيكون الضلال بمعنى الغفلة كقوله تعالى

لا يضل ولا ينسى ويؤيده قوله وان كنت من قبله لمن الغافلين وقوله ما كنت تدرى

ما الكتاب ولا الايمان وثانيها لما قال كعب رضى الله عنه ان حليمة لما قضت حق الرضاع

جاءت برسول الله صلى الله عليه وسلم لترده على عبد المطلب فسمعت عند باب مكة

هنيئا لك يا بطحاء مكة اليوم يرد اليك النور والبهاء والجمال قالت

فوضعته لاصلح شأنى فسمعت هدة شديدة فالتفت فلم اره فقلت

يا معشر الناس اين الصبى فقالوا لم نر شيئا فصحت واحمداه فاذا شيخ فان

يتوكأ على عصى فقال اذهبى الى الصنم الاعظم فان شاء ان يرده

اليك فعل ثم طاف الشيخ بالصنم وقبل راسه وقال يا رب لم تزل منتك على

قريش وهذه السعدية تزعم ان ابنها قد ضل فرده ان شئت فانكب

على وجهه وتساقطت الاصنام وقالت اليك ايها الشيخ فهلاكنا على يد محمد

فالقى الشيخ عصاه وارتعد وقال ان لابنك ربا لا يضيعه فاطلبيه على مهل فانحشرت

قریش الی عبد المطلب فطلبوہ فی جمیع مکۃ فلم یجدوہ فطاف عبد المطلب بالکعبۃ
سبعًا وتضرع الی اللہ تعالی ان یردہ فسمعوا منادیا ینادی من السماء معاشر الناس
لا تضجوا فان لمحمد ربا لا یخذلہ ولا یضیعہ وان محمدا بوادی تہامۃ عند شجر السمر
فسار عبد المطلب ہو وورقۃ بن نوفل فاذا النبی صلی اللہ علیہ وسلم قائم تحت
شجرۃ یلعب بالاغصان وبالورق وثالثہا ما روی مرفوعًا انہ علیہ الصلوۃ
والسلام قال ضللت عن جدی عبد المطلب وانا صبی ضائع کاد الجوع
یقتلنی فہدانی اللہ ذکرہ الضحاک وذکر تعلقہ باستار الکعبۃ ویقول یارب
رد ولدی محمدا فما زال یرددھذا عند البیت حتی اتاہ ابوجہل علی ناقۃ
ومحمد بین یدیہ وھو یقول لا تدری ماذا نری من ابنک فقال عبد المطلب
ولم قال انی اناخت الناقۃ وارکبتہ من خلفی فابت الناقۃ ان تقوم
فلما ارکبتہ امامی قامت الناقۃ کان الناقۃ تقول یا احمق ھو الامام
فکیف یقوم خلف المقتدی وقال ابن عباس ردہ الی جدہ بید
عدوہ کما فعل بموسی حین حفظہ علی عدوہ ورابعہا قال سعید بن المسیب
خرج رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم مع عمہ ابی طالب فی قافلۃ میسرۃ غلام
خدیجۃ فبینما ھو راکب ذات لیلۃ مظلمۃ علی ناقۃ جاء ابلیس فاخذ بزمام الناقۃ

فعدل بها عن الطريق فجاء جبرئيل عليه السلام فنفخ ابليس نفخة وقع منها الى
ارض الحبشة وقيل الى ارض الهند ورده الى القافلة فمن الله تعالى عليه
بذلك وخامسها يقال ضل الماء فى اللبن اذا صار مغمورا فمعنى الاية
كنت مغمورا بين الكفار بمكة فقواك الله تعالى حتى اظهرت دينه وسادسها
العرب تسمى الشجرة الفريدة فى الفلاة ضالة كانه تعالى يقول كانت تلك
البلاد كالمفازة ليست فيها شجرة تحمل ثمر الايمان بالله ومعرفة الا
الا انت فانت شجرة فريدة فى مفازة الجهل فوجدتك ضالا فهديت
بك الخلق الى الحق ونظيره قوله عليه السلام الحكمة ضالة المؤمن وسابعها ووجدك
ضالا عن معرفة الله تعالى حين كنت طفلا صبيا كما قال
والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا فخلق فيك العقل والهداية
والمعرفة والمراد من الضال الخالى عن العلم لا الموصوف بالاعتقاد الخطاء
او وجدك ضالا عن وصال محبوبك فهديك الى وصاله حتى كنت
قاب قوسين او ادنى وثامنها كنت ضالا عن النبوة ما كنت تطمع فى ذلك
ولا خطر شئ من ذلك فى قلبك فان اليهود والنصارى كانوا يزعمون ان النبوة
فى بنى اسرائيل فهديتك الى النبوة التى ما كنت فيها البتة او كنت منقطعا

في ابتداء ظهورك متحيرا عن ادراك حقيقتك وحقيقتنا فهديناك الى معرفتك
لان من عرف نفسه فقد عرف ربه وتاسعها انه قد يخاطب السيد ويكون
المراد قومه مثل قوله لئن اشركت ليحبطن عملك فقوله ووجدك ضالا
اي وجد قومك ضلالا فهداهم بك وبشرعك وعاشرها وجدك ضالا
عن الضالين منفردا عنهم مجانبا لدينهم فكلما كان بعدك عنهم اشد كان
ضلالهم اشد فهداك الى ان اختلطت بهم ودعوتهم الى الدين المبين
الحادي عشر وجدك ضالا عن الهجرة متحيرا في يد قريش متمنيا فراقهم وكان
لا يمكنك الخروج بدون اذنه تعالى فلما اذن له ووافقه الصديق عليه
وهداه الى خيمة ام معبد وكان ما كان من حديث سراقة وظهور القوة
في الدين كان ذلك المراد بقوله فهدى الثاني عشر وجدك ضالا اي عن القبلة
فانه كان يتمنى ان تجعل الكعبة قبلة له وما كان يعرف ان ذلك هل يحصل
له ام لا فهداه الله بقوله فلنولينك قبلة ترضاها فكانه سمى ذلك التحير
بالضلال الثالث عشر انه حين ظهر له جبرئيل عليه السلام في اول امره
ما كان يعرف اهو جبرئيل عليه السلام ام لا وكان يخافه خوفا شديدا وربما
اراد ان يلقي نفسه من الجبل فهداه حتى عرف انه جبرئيل عليه السلام والرابع عشر

الضلال بمعنی المحبة کما فی قوله انك لفی ضلالك القدیم ای محبتك

یعنی وجدك محبا عاشقا مغرقا فی الحب العشق یکنی بالضلال لاستلزامه السکر

غالبا والسکران یغلط الطریق غالبا و فی الحدیث حبك الشئ یعمی ویصم فهو

لتسمیة السبب باسم المسبب کما فی قوله تعالی انزل الله من السماء من رزق

یعنی من مطر و قال نسوة فی المدینة امراة العزیز تراود فتنها عن نفسه

قد شغفها حبا انا لنراها فی ضلال مبین ومعناه انك محب فهدیناك الی الشرائع

التی بها تتقرب الی خدمت محبوبك الخامس عشر وجدك ضالا عن امور الدنیا

لا تعرف التجارة ونحوها ثم هدیناك حتی ربحت تجارتك وعظم ربحك حتی

رغبت خدیجة فیك والمعنی انه ما کان لك وقوف علی الدنیا و ما کنت

تعرف سوی الدنیا فهدیناك الی مصالح الدنیا بعد ذلك السادس عشر وجدك

ضالا ای ضائعا فی قومك کانوا یؤذونك ولا یرضون بك رعیة فقوی

امرك وهداك الی ان صرت امرا والیا علیهم السابع عشر معناه کنت ضالا

ما کنت تهتدی علی طریق السموات فهدیناك اذ عرجت بك الی السموات لیلة المعراج

الثامن عشر وجدك ضالا ای ناسیا فهدیناك ای ذکرتك وذلك انه لیلة المعراج

نسی ما یجب ان یقال بسبب الهیبة فهداه الله الی کیفیة الثناء حتی قال

لا احصی ثناء علیك التاسع عشر انه وان كان عارفا بالله بقلبه

الا انه كان فی الظاهر لا یظهرلهم خلافا فعبر عن ذلك بالضلال وهذا ظاهر

وهیه قول السدی والمجاهد والكلبی لان الكفر لیس معناه ما فهمه الطاعن

لاستحالة صدوره عن الانبیاء علیهم السلام بالدلائل العقلیة والنقلیة

والاجماع كما ذكرنا فلا بد ان یحمل الكفر علی المعنی اللغوی كنت

ساترا للتوحید من غیر اظهاره عند القوم فهداك الله الی اظهار توحیده

عندهم فاظهرته وبالجملة لادلالة لهذه الایة والاقوال المذكورة علی العصیات

والمیل عن طریق الحق والعشرون ووجدك ضالا ای عن التوحید الذاتی عند كونك

فی عالم ابیك محتجبا بالصفات عن الذات فهداك بنفسه الی عین الذات

ومنها قوله تعالی ووضعنا عنك وزرك الذی انقض ظهرك بان الوزر هو الذنب

وانقاض الظهر یدل علی كبره اجاب المفسرون المحققون عن هذا الاشكال

بوجوه احدها ما قال قتادة كانت للنبی صلی الله علیه وسلم صغائر سلفت

فی الجاهلیة قبل النبوة وقد اثقلته فغفرها له یعنی انه علیه الصلوة والسلام فعل

امورا قبل ظهور نبوته اذ لم یرد علیه شرع تحریمها فلما حرمت علیه بعد النبوة

عدها اوزارا وثقلت علیه واشفق منها فوضعها الله عنه وغفرها له وثانیها

ان المراد منه تخفيف اعباء النبوة التي تثقل الظهر من القيام بامرها وحفظ موجباتها والمحافظة على حقوقها فسهل الله تعالى ذلك عليه وحط عنه ثقلها بان يسرها عليه حتى يتيسرت له يعني ان اداء التكاليف الشرعية من دعوة الخلق وتبليغ الاحكام واتيان ما امر الله به وانتهاء كل ما نهى الله عنه ثقيل شاق المرتزات السموات والارض والجبال ابين ان يحملنها واشفقن منها وقال الله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين فلما شرح الله صدره صلى الله عليه وسلم للايمان والحكمة وازال عنه حظ الشيطان ورذائل النفس التي جبلت عليها النفوس صارت التكاليف الشرعية له عليه السلام طبعية مرغوبة محبوبة حتى قال وجعلت قرة عيني في الصلوة وهذه المرتبة التي عبر الله سبحانه وتعالى عنها بوضع الوزر يسمونها الصوفية بالايمان الحقيقي وهذا هو المعنى من قولهم لسقوط التكليف عن الصوفي وهذه المرتبة العليا اعني شرح الصدر ووضع الوزر حصلت للنبي عليه السلام ظاهرا وعيانا وتحصل الاولياء امته بوذنه باطنا بحيث يظهر في المثال وذلك بعد فناء النفس وزوال العين والاثر وهنالك يحكم الصوفية العلية بيشير بشرح الصدر والايمان الحقيقي فحاصل معنى الاية لولا شرحنا صدرك ولو ضعنا وزرك انقض

كلفة التكليف ظهرك ولم تستطع اداء ما وجب عليك حق الاداء ولهذا
قال عليه السلام لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا ويؤيده
ما قال الشيخ الاكبر محي الدين ابن العربي هو وزر النبوة والقيام باعبائها
لانه في مقام الشهود لا يجد للخلق وجودا فضلا عن الفعل ولم يفرق
بين فعل وفعل الشهود لا فعاله تعالى فكيف يثبت خيرا وشرا ويامر وينهى
وهو لا يرى الا الحق وحده فاذا رد الى مقام النبوة عن مقام الولايت
وحجب بحجاب القلب وثقل ذلك عليه وكاد ان ينقض ظهره لاحتجابه عن الشهود
الذاتي حينئذٍ فوهب لتمكين في مقام البقاء حتى لم يحتجب بالكثرة عن الوحدة
وشاهد الجمع في عين التفصيل ولم يغب عن مشهوده بالدعوة وذلك هو
شرح الصدر وهو بعينه وضع الوزر وثانيها الوزر ما كان يكره من
تغيرهم لسنة الخليل وكان لا يقدر على منعهم الى ان قواه الله وقال له ان
اتبع ملت ابراهيم وثالثها ذنوب امة صارت كالوزر عليه لا يعرف
ما ذا يصنع في حقهم الى ان قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم فامنه
من العذاب في العاجل ووعد له الشفاعة في الاجل وخامسها معناه
عصمناك عن الوزر الذي ينقض ظهرك لو كان ذلك الذنب

حاصلا فنفى العصمة وضعا مجازا فمن ذلك ما روى على عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال ما هممت بشيء مما كان اهل الجاهلية يعملون
به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من ذلك فان قلت
ليلة الغلام من قريش كان يرعى معي باعلى مكة لو حفظت لي غنمي حتى
ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشبان فخرجت اريد ذلك حتى اتيت اول
دار من دور مكة فسمعت عزفا بالدفوف والمزامير فقالوا فلان ابن فلان
يزوج بفلانة فجلست انظر اليهم وضرب الله على اذني فنمت فما ايقظني
الا مس الشمس قال فجئت صاحبي فقال ما فعلت فقلت ما صنعت شيئا
ثم اخبرته الخبر قال ثم قلت له ليلة اخرى مثل ذلك فضرب الله على
اذني فما ايقظني الا مس الشمس ثم ما هممت بعدها بسوء حتى اكرمني الله
برسالته وسادسها الورد ما اصابه من الهيبة والفزع في اول ملاقات
جبرئيل عليه السلام حين اخذته الرعدة وكاد يرمي نفسه من الجبل
ثم تقوى حتى الفه وما الحالة كاد يرمي بنفسه من الجبل لشدة اشتياقه
وقت فتور الوحي وسابعها الورد ما كان يلحقه من الاذى والشتم
حتى كاد ينقص ظهره وتاخذه الرعدة ثم قواه الله تعالى حتى صار

بحيث كانوا يذمون ويجهد ويقول اللهم اهد قومي وثامنها المراد من الوزر
وانثقل الحيرة التي كانت له قبل البعثة وذلك انه بكمال عقله لما نظر الى عظيم
نعم الله تعالى عليه حيث اخرجه من العدم الى الوجود واعطاه النبوة والعقل
وانواع النعم ثقل عليه نعم الله وكاد ينقض ظهره من الحياء لانه
عليه السلام كان يرى ان نعم الله عليه لاتنقطع وماكان يعرف انه
كيف يطيع ربه فلما جاءته النبوة والتكاليف وعرف انه كيف ينبغي له
ان يطيع فحينئذ قل حيائه وسهلت عليه تلك الاحوال فان اللئيم لايستحي
من زيادة النعم بدون مقابلتها بالخدمت والانسان الكريم النفس
اذا كثر الانعام عليه وهو لايقابلها بنوع من انواع الخدمت فانه يثقل
ذلك عليه حد بحيث يميته الحياء فاذا كلفه المنعم بنوع خدمت سهل
ذلك عليه وطاب قلبه وفيه ما فيه وتاسعها لعل ان يكون نزول
الآية بعد موت ابي طالب وخديجة فلقد كان فراقهما عليه وزرا
عظيما فوضع عنه الوزر برفعه الى السماء حتى لقيه كل ملك وحياه
فارتفع له الذكر فلذلك قال ورفعنا لك ذكرك والعاشر ان
الوزر عبارة عن ترك الاولى والانتقاض عبارة عن استعظامه اياه

وهو غير قادح في عصمته لحكاية عشرات الموادد بالوحي وغم الفراق وتوهم الوداع الذي احزن النبي صلى الله
تعالى عليه وآله وسلم وقت فتور الوحي وقول اليهود ان رب محمد ودعه فازال الله سبحانه ذلك الغم والحزن
بانزال الآيات من سورة الضحى والم نشرح حتى سكن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم جاشية نفسه واستقر
وعلم ان ذلك الفراق ليس على سبيل الوداع والقلى بل كان لحكمة ومنفعة فعند الله سبحانه ازالة
ذلك الغم من النعم عليه ومنها قوله تعالى عبس وتولى ان جاءه الاعمى فان عبد الله ابن ام مكتوم
لما اتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة
وابو جهل ابن هشام والعباس بن عبد المطلب وامية ابن خلف والوليد ابن المغيرة يدعوهم الى الاسلام
رجاء ان يسلم باسلامهم غيرهم فقال النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يا محمد اقرئني وعلمني
مما علمك الله وكرر ذلك فكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قطعه كلامه وعبس
واعرض عنه فعاتبه الله تعالى على ذلك الفعل وهو يدل على ان ذلك الفعل كان معصية وذنبا
والجواب ان ذلك الفعل ليس بذنب ولا معصية لان الاهم مقدم على المهم وابن ام مكتوم كان قد اسلم
وتعلم ما كان يحتاج اليه من امر الدين واما اولئك الكفار فما كانوا قد اسلموا وكان اسلامهم
سببا لاسلام جمع عظيم فالقاء ابن ام مكتوم ذلك الكلام في البين كالسبب في قطع ذلك
الخير العظيم لغرض قليل وذلك محرم وايضا قال الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات
اكثرهم لا يعقلون فنهاهم عن مجرد النداء الا في الوقت فمهما هذا النداء

الذی صار كالصارف للكفار عن قبول الايمان وكان القاطع على الرسول اعظم مهمانه اولى ان يكون ذنبا ومعصية وظاهر انه عليه السلام كان مأذونا فى ان يعامل اصحابه بحسب ما يراه مصلحة وانه عليه السلام كثيرا ما كان يؤدب اصحابه ويزجرهم عن اشياء لانه بعث لتأديبهم وتعليمهم محاسن الاخلاق والآداب لانه لما كان موهما لتقديم الاغنياء على الفقراء وذلك غير لائق بشان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكان ذلك جاريا مجرى ترك الاحتياط وترك الافضل عاتبه الله تعالى به لان حسنات الابرار سيأت المقربين ومنها قوله عفى الله عنك لما اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين فان هذه الآية تدل على صدور الذنب عن الرسول عليه السلام من وجهين الاول انه تعالى قال عفى الله عنك والعفو يستدعى سابقة الذنب والثانى انه تعالى قال لم اذنت لهم وهذا استفهام بمعنى الانكار فدل هذا على ان ذلك الاذن كان معصية وذنبا والجواب عن الاول لا نسلم ان قوله عفى الله عنك يوجب الذنب ولم لا يجوز ان يقال ان ذلك يدل على مبالغة الله فى تعظيمه وتوقيره كما يقول الرجل لغيره اذا كان معظما عنده عفى الله عنك ما صنعت فى امرى ورضى الله عنك ما جوابك

عن كلامه وعافاك الله ما عرفت حقي فلا يكون غرضه من هذا الكلام الا
مزيد التبجيل والتعظيم والجواب عن الثاني ان نقول لا يجوز ان يقال المراد
بقوله لم اذنت لهم الانكار لانا نقول اما ان يكون صدر عن الرسول ذنب
في هذه الواقعة او لم يصدر عنه ذنب فان قلنا انه ما صدر عنه ذنب
امتنع على هذا التقدير ان يكون قوله لم اذنت لهم انكارا عليه وان قلنا
انه كان قد صدر عنه ذنب فقوله عفى الله عنك يدل على حصول العفو عنه
وبعد حصول العفو عنه يستحيل ان يتوجه الانكار عليه فثبت انه على
جميع التقادير يمتنع ان يقال ان قوله لم اذنت لهم يدل على كون الرسول
مذنبا وعند هذا يحمل قوله لم اذنت لهم على ترك الاولى والافضل والاكمل
وتارك الافضل في امور الحروب قد يعاتب ومنها قوله تعالى ما كان لنبي
ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة
والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم فكلوا مما
غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم فانه عليه السلام لما اتى بسبعين
اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك
واهلك استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك

فقام عمر وقال كذبوك واخرجوك فقدمهم واضرب اعناقهم فان هؤلاء
ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء فمكن عليا من عقيل وحمزة من
العباس ومكنى من فلان ينسب له فنضرب اعناقهم فقال عليه الصلوة
والسلام ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن وان الله ليشدد
قلوب رجال حتى تكون اشد من الحجارة وان مثلك يا ابابكر مثل ابراهيم قال فمن
تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم ومثل عيسى في قوله ان تعذبهم
فانهم عبادك وان تغفرلهم فانك انت العزيز الحكيم ومثلك يا عمر مثل نوح
قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ومثل موسى حيث
قال ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم وقال رسول الله
صلى الله تعالى عليه واله وسلم الى قول ابي بكر فلما اخذ الفداء
نزلت هذه الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله تعالى عليه واله وسلم فاذاهو
وابوبكر يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء
بكيت وان لم اجد تباكيت فقال ابكي على اصحابك في اخذهم
الفداء ولقد عرض علي عذابهم ادنى من هذه الشجرة بشجرة قريبة
منه ولو نزل عذاب من السماء لما نجى منه غير عمر وسعد بن معاذ

انتهى اذا عرفت هذا فاعلم ان هذا المذكور يدل على صدور الذنب عنه عليه السلام من وجوه الاول ان قوله تعالى ما كان للنبي ان تكون له اسرى صريح في ان هذا المعنى منهي عنه وممنوع من قبل الله تعالى ثم ان هذا المعنى قد حصل لما روينا ولقوله تعالى بعد تلك الآية يا ايها النبي قل لمن في ايديكم من الاسرى الآية والثاني انه تعالى امر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وجميع قومه يوم بدر بقتل الكفار وهو قوله فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان وظاهر الامر للوجوب فلما لم يقتلوا بل اسروا كان الاسر معصية الثالث ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم حكم باخذ الفداء وكان اخذ الفداء معصية لقوله تعالى تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة اجمع المفسرون على ان المراد من عرض الدنيا ههنا هو اخذ الفداء ولقوله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم واجمعوا على ان المراد بقوله اخذتم ذلك الفداء والرابع ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وابا بكر بكيا وصرح الرسول عليه السلام انه انما بكى لاجل انه حكم باخذ الفداء وذلك يدل على انه ذنب والخامس

ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة
لشجرة قريبة ولو نزل لما نجى منه الا عمر وذلك يدل على الذنب والجواب
عن الوجه الاول ان قوله تعالى ما كان للنبي ان تكون له اسرى حتى يثخن
في الارض يدل على انه كان الاسر مشروعا ولكن بشرط سبق الاثخان
في الارض والمراد بالاثخان هو القتل والتخويف الشديد ولا شك
ان الصحابة قتلوا يوم بدر خلقا عظيما وليس من شرط الاثخان في الارض
قتل جميع الناس ثم انهم بعد القتل الكثير اسروا جماعة والآية
تدل على ان بعد الاثخان يجوز الاسر فصارت هذه الآية دالة دلالة
بينة على ان ذلك الاسر كان جائزا فكيف يمكن التمسك
بهذه الآية في ان ذلك الاسر كان ذنبا ومعصية ويتاكد
هذا الكلام بقوله تعالى حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما
فداء فان قالوا فعلى ما شرحتموه دلت الآية على ان ذلك الاسر كان جائزا
والاتيان بالجائز المشروع لا يليق ترتيب العتاب عليه فلم ذكر الله
بعده ما يدل على العقاب فنقول الوجه فيه ان الاثخان في الارض ليس
مضبوطا بضابط معلوم معين بل المقصود منه اكثار القتل بحيث يوجب

ويلقي الرعب في قلوب الكافرين وان كانوا يجترئوا على محاربة المؤمنين وبلوغ
الثخن الى هذا الحد المعتبر لاشك انه يكون مفوضا الى الاجتهاد فلعله غلب
على ظن الرسول عليه السلام ان ذلك القدر من القتل الذي تقدم
كفى في حصول هذا المقصود مع انه ما كان الامر كذلك فكان هذا خطاءً
واقعا في الاجتهاد في صورة ليس فيها نص وحسنات الابرار سيئات
المقربين فحسن ترتيب العتاب على ذكر هذا الكلام لهذا السبب مع ان
ذلك لايكون البتة ذنبا ولا معصية ويمكن ان يجاب بانه ليس فيه الزام
ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل ما بين سائر الانبياء
فكانه قال ما كان هذا النبي غيرك كما قال عليه السلام احلت لي الغنائم ولم
تحل لنبي قبلي فان قيل ما معنى قوله تريدون عرض الدنيا الاية قيل اراد
بالخطاب من اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده
والاستكثار منها وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل
الناس بالسلب وجميع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو
ثم قال الله تعالى لولا كتاب من الله سبق والجواب عن الوجه الثاني ان

نقول ان ظاهر قوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق ان هذا الخطاب انما كان
مع الصحابة لاجماع المسلمين على انه عليه السلام ما كان مامورا ان يباشر
قتل الكفار بنفسه واذا كان هذا الخطاب مختصا بالصحابة فهم لما تركوا القتل
واقدموا على الاسر كان الذنب صادرا منهم لا من الرسول عليه السلام ونقل
ان الصحابة لما هزموا الكفار وقتلوا منهم جمعا عظيما والكفار فروا ذهب الصحابة
خلفهم وتباعدوا عن الرسول عليه السلام واسروا اولئك الاقوام ولم يعلم الرسول
باقدامهم على الاسر الا بعد رجوع الصحابة الى حضرته وهو عليه السلام
ما اسر وما امر بالاسر فزال هذا السوال فان قالوا هب ان الامر كذلك
لكنهم لما حملوا الاسارى الى حضرته فلم لم يامر بقتلهم امتثالا لقوله تعالى
فاضربوا فوق الاعناق قلنا ان قوله فاضربوا التكليف مختص بحالة الحرب
عند اشتغال الكفار بالحرب فاما بعد انقضاء الحرب فهذا التكليف ما كان
متناولا له والدليل القاطع عليه انه عليه الصلوة والسلام استشار الصحابة
في انه بماذا يعاملهم ولو كان ذلك النص متناولا لتلك الحالة لكان مع
قيام النص القاطع تاركا لحكمه وطالبا ذلك الحكم من مشاورة الصحابة وذلك
محال وايضا فقوله فاضربوا فوق الاعناق امر والامر لا يفيد الا المرة الواحدة

وثبت بالاجماع ان هذا المعنى كان واجبا حال محاربة فوجب ان يبقى عند عدم
الدلالة على ما وراء وقت المحاربة وهذا الجواب شاف والجواب عن الوجه الثالث
وهو قولهم انه عليه السلام حكم باخذ الفداء واخذ الفداء محرم بانا
لا نسلم ان اخذ الفداء محرم واما قوله تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة
فنقول هذا لا يدل على قولكم وبيانه من وجهين الاول ان المراد من هذه الآية
حصول العتاب على الاسر والاخذ لغرض الدنيا وذلك لا يدل على ان
اخذ الفداء محرم مطلقا وذلك الاخذ لا لغرض الدنيا لان ابا بكر رضي الله عنه
قال الاولى ان ناخذ الفداء لتقوى العسكر به على الجهاد وذلك يدل على انهم
انما طلبوا ذلك الفداء للتقوي به على الدين والآية تدل على ذم من طلب الفداء
لمحض غرض الدنيا لا لتقوى الدين ولا تعلق لاحد المتباينين بالثاني والجواب
عن الرابع ان بكاء الرسول عليه السلام يحتمل ان يكون لاجل ان بعض الصحابة
لما خالف امر الله في القتل واشتغل بالاسر استوجب العذاب فبكى الرسول ع
خوفا من نزول العذاب عليهم ويحتمل ايضا انه عليه الصلوة والسلام اجتهد في
ان القتل الذي حصل هل بلغ مبلغ الاثخان الذي امره الله به في قوله حتى
يثخن في الارض ووقع الخطأ في ذلك الاجتهاد وحسنات الابرار سيئات المقربين

فاقدم على البكاء لاجل هذا المعنى والجواب عن المقاصر ان التى العذاب
انما نزل بسبب ان اولئك الا قوام خالفوا امر الله بالقتل واقدموا
على الاستحال ما وجب عليهم لا الاشتغال بالقتل ومنها قوله تعالى وما ارسلنا
من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى القى الشيطان فى امنيته فينسخ الله
ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم فان المفسرين ذكروا فى
سبب نزول هذه الآية ان الرسول عليه السلام لما رأى اعراض قومه عنه
وشق عليه ما رأى من مباعدتهم عما جاءهم به تمنى فى نفسه ان يأتيهم من الله
ما يقارب بينه وبين قومه وذلك لحرصه على ايمانهم فجلس ذات يوم فى ناد
من اندية قريش كثير اهله واحب يومئذ ان لا يأتيه من الله شئ فينفروا عنه
وتمنى ذلك فانزل الله تعالى سورة والنجم اذا هوى فقرءها رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى بلغ قوله افرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى
القى الشيطان على لسانه تلك الغرانيق العلى منها الشفاعة ترتجى فلما سمعت
قريش ذلك فرحوا ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قراته فقرء السورة
كلها فسجد وسجد المسلمون لسجوده وسجد جميع من فى المسجد من المشركين
فلم يبق فى المسجد مؤمن ولا كافر الا سجد سوى الوليد بن المغيرة وابى احيحة

سعيد بن العاص فانهما اخذا حفنة من التراب من البطحاء ورفعاها الى
جبهتيهما وسجدا عليها لانهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت
قريش وقد سرهم ما سمعوا وقالوا قد ذكر محمد آلهتنا باحسن الذكر فلما امسى رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتاه جبرئيل عليه السلام فقال ماذا صنعت تلوت على الناس
ما لم آتك به من الله وقلت ما لم اقل لك فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم
حزنا شديدا وخاف من الله خوفا عظيما حتى نزل قوله تعالى وما ارسلنا
من قبلك الآية فهذا يدل على سهوه عليه السلام فى ابلاغ الوحى والجواب
ان جماعة من المفسرين وان قالوا ان هذه الآية نزلت تسلية له عليه الصلوة
والسلام فى اغتمامه بما سبق به لسانه سهوا من حديث الغرانيق الا ان
رؤساء اهل السنة والجماعة ردوا هذا القول وقالوا هذه الرواية باطلة
موضوعة واحتجوا عليه بالقرآن العظيم والسنة والمعقول اما القرآن
فمنه قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين
ثم لقطعنا منه الوتين ومنه قوله تعالى قل ما يكون لى ان ابدله من
تلقاء نفسى ان اتبع الا ما يوحى الى ومنه قوله تعالى وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحى يوحى فلو انه عليه السلام قرأ عقيب هذه الآية

قوله تلك الغرانيق العلى لكان قد ظهر كذبه لله تعالى في الحال وذلك
لا يفعله مسلم واما السنة فهي ما روي عن محمد بن اسحاق بن خزيمة
انه سئل عن هذه القصة فقال هذا وضع من الزنادقة وصنف
فيه كتابا وقال الامام ابو بكر احمد بن حسين البيهقي هذه القصة غير ثابتة
من جهة النقل ثم اخذ يتكلم في ان رواة هذه القصة مطعون فيهم
وايضا فقد روى البخاري في صحيحه ان النبي عليه السلام قرأ سورة والنجم
وسجد فيها المسلمون والمشركون والانس والجن وليس فيه حديث
الغرانيق وروى هذا الحديث من طرق كثيرة وليس فيها البتة حديث
الغرانيق واما المعقول فما ذكره الامام النسفي في تفسيره بقوله
والصحيح المعتمد عليه ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم
لم يتكلم بها فانا لو توهمنا انه صلى الله عليه وآله وسلم
تكلم بها فلا يخلو الامر من احد ثلاثة اوجه اما ان يجري
ذلك على لسانه عمدا او اختيارا وهذا لا يجوز لانه كفر
وهو صلى الله تعالى عليه وآله وسلم جاء داعيا الى الايمان
ناهيا عن الكفر طاعنا في الاصنام فكيف يمدحها ويعظمها باختياره

وأما ان يجري الشيطان ذلك على لسانه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم جبرا بحيث لم يقدر على الامتناع عنه وهذا ايضا لا يجوز لان الشيطان لا يقدر على ذلك في حق غيره صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لقوله تبارك وتعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان ثم قوله تعالى حكاية عنه ما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فكيف يقدر على ذلك في حقه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم واما ان يقع ذلك على لسانه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم سهوا وغفلة من غير قصد وهو ايضا مردود لانه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان اعقل الخلق واعلمهم فكيف يجوز عليه هذه الغفلة خصوصا في حالة تبليغ الوحي ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله والثقة به لقيام احتمال الغلط والخطاء في كل واحد من الاحكام والشرائع فلما بطلت هذه الوجوه كلها لم يبق الا احتمال واحد وهو انه عليه السلام وقف وسكت عند قوله ومناة الثالثة الاخرى والشيطان حاضر عنده فتكلم الشيطان بهذه الكلمات متصلة بقرأته لا

وآله وسلم هو الذي تكلم بها لتكون الفتنة في قراءة النبي صلى الله تعالى عليه
وآله وسلم وكان الشيطان يتكلم في زمن الوحي ثم ذكر انه ظهر في صورة
شيخ نجدي على المشركين الذين اجتمعوا في دار الندوة وعملوا بعقد المكر
بالنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وتكلم في شوراهم وسفه رأي بعضهم
واخطأ آخرين وذكر ايضا انه نادى يوم احد الا ان محمدا قد قتل وقال
يوم بدر لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم وهذا الاحتمال غير
مستحيل عقلا وشرعا فتنة من الله تعالى ابتلاء لعباده ولا يقدح
في عصمته هذا هو المعتمد في التأويل على تقدير كون قصة الغرانيق اخرجها
ابن ابي حاتم والطبري وابن المنذر من طرق عن شعبة عن ابي بشر عن
سعيد بن جبير وكذا ابن مردويه والبزار وابن اسحاق في السير وموسى
بن عقبة في المغازي وابو معشر في السير كما نبه عليه الحافظ عماد
الدين ابن كثير وغيره وكذا نبه على ثبوت اصلها شيخ الاسلام و
الحافظ ابو الفضل العسقلاني فان طرقها وان كانت مرسلة
الا ان كثرة الطرق تدل على ان للقصة اصلا وقال القسطلاني
[illegible]

لمخرجه الطبري من طريق يونس بن يزيد عن ابن شهاب والثاني ما اخرجه

ايضا من طريق المعتمر بن سليمان وحماد بن سلمة كلاهما عن داود

بن ابي هند عن ابي العالية اذا ثبت هذا فلا بد لنا من تأويل فهذا

الوجه هو الاحسن هذا على تقدير تسليم القصة واما على تقدير

عدم تسليمها كما قال المحققون من المفسرين ان هذه القصة موضوعة

غاية ما في الباب ان بعضا من المفسرين رحمة الله تعالى عليهم ذكروها

لكنهم ما بلغوا في الكثرة حد التواتر وخبر الواحد لا يعارض

الدلائل العقلية والنقلية المتواترة فيكون معنى الاية ما ارسلنا

من رسول ولا نبي في حال من الاحوال الا مقدرا في شانه

اذا احب شيئا واشتاه وحدث به نفسه من امور الاخرة ما لم تؤمر

به وسوس اليه الشيطان والقى في مراده ما يوجب اشتغاله بالدنيا فيبطل

الله ما يلقي الشيطان ويذهب بعصمته عن الركون ويرشده

الى ما يهديه من آياته الداعية الى الاستغراق في امر الاخرة وتفصيله

ان التمني جاء في اللغة لامرين احدهما تمني القلب والثاني القراءة قال الله

تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني اي الا قراءة

لان الامی لا یعلم القرآن من المصحف وانما یعلمه قرأة فالامنیة

اما القرأة واما الخاطر اما اذا فسرناها بالقرأة ففیه قولان الاول انه

تعالی اراد بذلک ما یجوز ان یسهو الرسول علیه السلام فیه

ویشتبه علی القاری دون ما رووه من قوله تلک الغرانیق العلی والثانی

المراد منه وقوع هذه الکلمة فی قرأته ثم اختلف القائلون هذا علی

وجوه الاول ان النبی صلی الله تعالی علیه واله وسلم لم یتکلم

بقوله تلک الغرانیق العلی ولا الشیطان تکلم به ولا احد تکلم

به لکنه علیه السلام لما قرأ سورة والنجم اشتبه الامر علی الکفار

فحسبوا بعض الفاظه ما رووه من قولهم تلک الغرانیق العلی

وذلک علی حسب ما جرت العادة به من توهم بعض الکلمات

علی غیر ما یقال وهذا الوجه ذهب الیه جماعة وهو ضعیف لوجوه احدها

ان التوهم فی مثل ذلک انما یصح فیما قد جرت العادة بسماعه فاما

غیر المسموع فلا یقع ذلک فیه وثانیها انه لو کان کذلک لوقع هذا

التوهم لبعض السامعین دون البعض فان العادات مانعة من اتفاق

الجم الغفیر فی الساعة الواحدة علی خیال واحد فاسد فی المحسوسات

وثالثها لوكان كذلك لم يكن مضافا الى الشيطان الوجه الثانى قالوا ان ذلك الكلام كلام شيطان الجن وذلك بان تلفظ بكلام من تلقاء نفسه اوقعه فى درج تلك التلاوة فى بعض وقفاته ليظن انه من جنس الكلام المسموع من الرسول عليه السلام قالوا والذى يؤكده انه لا خلاف فى ان الجن والشياطين متكلمون فلا يمتنع ان يأتى الشياطين بصوت الرسول عليه السلام فيتكلم بهذه الكلمات فى اثناء كلام الرسول عليه السلام وعند سكوته فاذا سمع الحاضرون من المشركين تلك الكلمة بصوت مثل صوت الرسول عليه السلام وما رؤا شخصا آخر ظن الحاضرون من المشركين انه كلام الرسول ثم هذا لا يكون قادحا فى النبوة لما لم يكن فعلا له الوجه الثالث ان يقال المتكلم بذلك بعض شياطين الانس وهم الكفرة فانه عليه السلام لما انتهى فى قراءة هذه السورة الى هذا الموضع وذكر اسماء آلهتهم وقد علموا من عادته انه يعيبها فقال بعض من حضر تلك الغرانيق العلى فاشتبه الامر على القوم لكثرة لغط القوم وكثرة صياحهم وطلبهم تغليطه واخفاء قرأته ولعل ذلك كان فى صلوته لانهم كانوا

يقربون منه فى حال صلوته ويسمعون قرأته ويلغون فيها وقيل انه
عليه السلام كان اذا تلا القرأن على قريش توقف فى فصول الآيات
فالقى بعض الحاضرين ذلك الكلام فى تلك الوقفات فتوهم القوم انه
من قرأة الرسول صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ثم اضاف الله تعالے
ذلك الى الشيطان لانه بوسوسته يحصل اولا ولانه سبحانه جعل
ذلك المتكلم فى نفسه شيطانا وهذا ايضا ضعيف بوجهين احدهما انه
لو كان كذلك لكان يجب على الرسول عليه السلام ازالة الشبهة
وتصريح الحق وتبكيت ذلك القائل واظهار ان تلك الكلمة منه صدرت
ولو فعل ذلك لكان ذلك اولى بالنقل فان قيل انما لم يفعل الرسول
عليه السلام ذلك لانه كان قد ادى السورة بكمالها
الى الامة من دون هذه الزيادة فلم يكن ذلك مؤديا الى التلبيس
كما لم يؤد سهوه فى الصلوة بعد ان وصفها الى اللبس قلنا ان القرأن
لم يكن مستقرا على حالة واحدة فى زمان حياته لانه كان تأتيه
الآيات فيلحقها بالسور فلم يكن تأدية تلك السورة من دون
هذه الزيادة سببا لزوال اللبس وايضا فلو كان كذلك لم

ای سبب خاف من الله خوفا شدیدا کما رواه العوم الوجه الرابع هو
ان المتکلم بهذا هو الرسول علیه السلام ثم هذا یحتمل ثلاثة اوجه فانه اما
ان یکون قال هذه الکلمة سهوا او قسرا او اختیارا اما الوجه الاول وهو
انه علیه السلام قال هذه الکلمة سهوا فکما یروی عن قتادة و
مقاتل انهما قالا انه علیه السلام کان یصلی عند المقام فنعس وجری
علی لسانه هاتان الکلمتان فلما فرغ من السورة سجد وسجد کل من فی
المسجد وفرح المشرکون بما سمعوه واتاه جبرئیل علیه السلام فاستقرأه
فلما انتهی الی الغرانیق قال لم آتک بهذا فحزن رسول الله صلی الله تعالی علیه
وآله وسلم الی ان نزلت هذه الآیة وهذا ایضا ضعیف لوجوه احدها
انه لو جاز هذا السهو لجاز فی سائر المواضع وحینئذ تزول الثقة
عن الشرع وثانیها ان الساهی لا یجوز ان یقع منه مثل هذه الالفاظ
المطابقة لوزن السورة وطریقتها ومعناها فانا نعلم بالضرورة
ان واحدا لو انشد قصیدة لما جاز ان یسهو حتی یتفق منه بیت
شعر فی وزنها ومعناها وطریقتها ثالثها هب انه تکلم بذلك
سهوا فکیف لم یتنبه لذلك حین قرأها علی جبرئیل علیه السلام

وذلك ظاهراما الوجه الثانی وهو انه علیه السلام تکلم بذلک فتمرا وهو
الذی قال قوم ان الشیطان اجبر النبی صلی الله علیه وآله وسلم علی ان یتکلم
بهذا وهذا ایضاً فاسد بوجوه احدها ان الشیطان لو قدر علی ذلک
فی حق النبی علیه السلام لکان اقتداره علینا اکثر موجب ان
یزیل الشیطان الناس عن الدین ولجاز فی اکثر ما یتکلم به الواحد
منا ان یکون ذلک باجبار الشیاطین وثانیها ان الشیطان لو قدر علی هذا
الاجبار لارتفع الامان من الوحی لقیام هذا الاحتمال وثالثها انه باطل
بدلالة قوله تعالی حاکیا عن الشیطان وما کان لی علیکم من
سلطان الا ان دعوتکم فاستجبتم لی فلا تلومونی ولوموا انفسکم و
قال تعالی انه لیس له سلطان علی الذین آمنوا وعلی ربهم یتوکلون انما
سلطانه علی الذین یتولونه وقال لاغوینهم اجمعین الا عبادک منهم المخلصین ولا شک انه
علیه السلام کان سید المخلصین اما الوجه الثالث وهو انه علیه السلام تکلم
بذلک اختیارا وههنا وجهان احدهما ان نقول ان هذه الکلمة باطلة
والثانی ان نقول انها لیست کلمة باطلة اما علی الوجه الاول فذکروا
فیه طریقین الاول قال ابن عباس رضی الله تعالی عنهما فی روایة عطاء

ان شیطانا یقال له الابیض اتاه علی صورة جبرئیل علیه السلام والقی علیه هذه الکلمة فقرأها فلما سمع المشرکون ذلک اعجبهم فجاء جبرئیل علیه السلام فاستعرضه فقرأها فلما بلغ الی تلک الکلمة قال جبرئیل علیه السلام انا ما جئتک بهذه قال رسول الله صلی الله تعالی علیه وآله وسلم انه اتانی آت علی صورتک فالقاها علی لسانی الطریق الثانی قال بعض الجهال انه علیه السلام لشدة حرصه علی ایمان القوم ادخل هذه الکلمة من عند نفسه ثم رجع عنها وهذان القولان لا یرغب فیهما مسلم البتة لان الاول یقتضی انه علیه السلام ما کان یمیز الملک المعصوم والشیطان الخبیث والثانی یقتضی انه کان خائنا فی الوحی وکل واحد منهما خروج عن الدین اما الوجه الثانی وهو ان هذه الکلمة لیست باطلة وههنا ایضا طرق الاول ان یقال الغرانیق هم الملائکة وقد کان ذلک قرآنا منزلا فی وصف الملائکة فلما توهم المشرکون انه یرید آلهتهم نسخ الله تلاوته الثانی ان یقال المراد منه الاستفهام علی سبیل الانکار فکانه قال اشفاعتهن ترتجی الثالث ان یقال انه ذکر الاثبات واراد النفی کقوله تعالی یبین الله لکم ان تضلوا ای لا تضلوا کما قد یذکر النفی ویرید به الاثبات کقوله تعالی

قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئا والمعنى ان
لتشركوا وهذان الوجهان الاخيران لعيترض عليهما بانه لو جاز ذلك بناء
على هذا التأويل فلم لا يجوز ان يظهروا كلمة الكفر فى جملة القرآن او فى
الصلوة بناء على هذا التاويل ولكن الاصل فى الدين ان لا يجوز عليهم
شئ من ذلك لان الله تعالى قد نصبهم حجة واصطفى هم للرسالة فلا يجوز
عليهم ما يطعن فى ذلك او ينفر ومثل ذلك فى التنفير اعظم من الامور
التى حثه الله تعالى على تركها كنحو الفظاظة وقول الشعر أهذا
كله اذا فسرنا التمنى بالتلاوة واما اذا فسرناها بالخاطر وتمنى
القلب فالمعنى ان النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم متى تمنى بعض
ما يتمناه من الامور وسوس الشيطان اليه بالباطل ويدعوه الى ما لا ينبغى
ثم ان الله تعالى ينسخ ذلك ويبطله ويهديه الى ترك الالتفات الى
وسوسة فيكون معنى الآية اذا تمنى اى اذا اراد فعلا مقربا
الى الله تعالى القى الشيطان فى فكره ما يخالفه فيرجع الى الله
تعالى فى ذلك وهو كقوله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم
طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وعلى هذا تكون

الرواية المذكورة من مفتريات الملاحدة و يدل على موضوعيتها ما قال
في الشفا ان هذه الرواية لم يخرجه احد من اهل الصحة ولا رواه ثقة
بسند سليم متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون
المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف ونقله ونعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته
واضطراب رواته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته فقائل يقول انه في الصلوٰة
واخر يقول قالها في نادى قومه حين نزلت عليه السورة واخر يقول قالها وقد
اصابته سنة واخر يقول بل حدث نفسه فسهى واخر يقول ان الشيطان قالها على
لسانه وان النبي عليه السلام لما عرض على جبرئيل قال ما هكذا اقرأتك و آخر
يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبي عليه السلام قرأها فلما بلغ ذلك قال والله
ما هكذا انزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواة ومنها قوله تعالى انا انزلنا
اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله ولا تكن للخائنين خصيما
واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما فان طعمة لما سرق درعا وطلبت الدرع منه
رمى واحدا من اليهود بتلك السرقة ولما اشتدت الخصومة بين قومه وبين قوم اليهودي
جاء قومه الى النبي صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه ان يعينهم على هذا الخصومة وان يلحق
هذه الخيانة باليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فنزلت الاية

المذكورة فهي تدل على صدور الذنب من الرسول عليه السلام ولولا اراد
الرسول عليه السلام ان يخاصم لاجل الخائن ويذب عنه لما ورد النهي عنه والجواب
ان النهي عن الشئ لا يقتضي كون المنهي فاعلا للمنهي عنه بل ثبت في الرواية
ان قوم طعمة لما التمسوا من الرسول عليه السلام ان يذب عن طعمة وان
يلحق السرقة باليهودي توقف وانتظر الوحي فنزلت هذه الآية وكان الغرض
من هذا النهي تنبيه النبي عليه الصلوة والسلام على ان طعمة كذاب وان اليهودي
برئ عن ذلك الجرم فان قيل الدليل على ان ذلك الجرم قد وقع من النبي
عليه السلام قوله تعالى بعد هذه الآية واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما فلما
امره الله بالاستغفار دل على سبق الذنب واجيب عنه بوجوه الاول لعله مال
طبعه الى نصرة طعمة لسبب انه كان في الظاهر من المسلمين فامر بالاستغفار
لهذا القدر لان حسنات الابرار سيئات المقربين والثاني لعل القوم لما شهدوا
على سرقة اليهودي وعلى براءة طعمة من تلك السرقة ولم يظهر للرسول عليه السلام
ما يوجب القدح في شهادتهم هم بان يقضي بالسرقة على اليهودي ثم لما اطلعه الله
تعالى على كذب اولئك الشهود عرف ان ذلك القضاء لو وقع لكان خطأ
فكان استغفاره بسبب انه هم بذلك الحكم الذي لو وقع لكان خطأ في نفسه

وان كان صدوره عند الله فيه الثالث قوله واستغفر الله يحتمل ان يكون المراد واستغفر الله لاولئك الذين يذبون عن طعمة ويريدون ان يظهروا برائة عن السرقة ومنها قوله تعالى فان كنت فى شك مما انزلنا اولئك فسال الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين فانه يدل على صدور الشك عنه عليه السلام فى ما انزل عليه وهو ذنب والجواب انه اختلف المفسرون فى ان المخاطب بهذا الخطاب من هو فقيل النبى عليه الصلوة والسلام وقيل غيره اما من قال بالاول فاختلفوا على وجوه الاول ان الخطاب مع النبى عليه السلام فى الظاهر والمراد غيره كقوله تعالى يا ايها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين وكقوله لئن اشركت ليحبطن عملك وكقوله يا عيسى بن مريم أانت قلت للناس والذى يدل على صحت هذا وجوه الاول قوله تعالى فى آخر السورة يا ايها الناس ان كنتم فى شك من دينى فبين ان المذكور فى اول الآية على سبيل الرمز هم المذكورون فى هذه الآية على سبيل التصريح الثانى ان الرسول لو كان شاكا فى نبوة نفسه لكان شك غيره فى نبوته اولى وهذا يوجب سقوط الشريعة بالكلية

والثالث ان بتقدير ان يكون شاكا في نبوة نفسه فكيف يزول ذلك
الشك باخبار اهل الكتاب عن نبوته مع انهم في الاكثر كفار وان حصل
فيهم من كان مؤمنا الا ان قوله ليس بحجة لا سيما وقد تقرر ان ما في ايديهم
من التوراة والانجيل مصحف محرف فثبت ان الحق هو ان هذا الخطاب
وان كان في الظاهر مع الرسول صلى الله عليه وسلم الا ان المراد هو الامة ومثل
هذا الخطاب معتاد فان السلطان الكبير اذا كان له امير وكان
تحت راية ذلك الامير جمع فاذا اراد ان يأمر الرعية بامر مخصوص فانه
لا يوجه خطابه عليهم بل يوجه ذلك الخطاب على ذلك الامير الذي جعله
اميرا عليهم ليكون ذلك اقوى تأثيرا في قلوبهم الوجه الثاني انه تعالى
علم ان الرسول لم يشك في ذلك الا ان المقصود انه متى سمع هذا الكلام
فانه يصرح ويقول يا رب لا اشك ولا اطلب الحجة من قول اهل الكتاب
بل يكفيني ما انزلته علي من الدلائل الظاهرة ونظيره قوله تعالى للملائكة
اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون والمقصود ان يصرحوا بالجواب الحق ويقولوا
سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن وكما قال لعيسى عليه السلام
أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله والمقصود منه

ان يصرح عيسى عليه السلام بالبراءة عن ذلك فكذا ههنا والوجه الثالث
ان قوله فان كنت فى شك فافعل كذا وكذا قضية شرطية والقضية الشرطية
لا اشعار فيها البتة بان الشرط وقع او لم يقع وبان الجزاء وقع او لم يقع
بل ليس فيها الا بيان ان ماهية ذلك الشرط مستلزمة لماهية ذلك
الجزاء والدليل عليه انك اذا قلت ان كانت الخمسة زوجا كانت
منقسمة بمتساويين فهو كلام حق لان معناه ان كون الخمسة زوجا يستلزم
كونها منقسمة بمتساويين ثم لا يدل هذا الكلام على ان الخمسة زوج ولا على
انها منقسمة بمتساويين فكذا ههنا هذه الآية تدل على انه لو حصل هذا الشك
لكان الواجب فيه هو فعل كذا وكذا فاما ان هذا الشك وقع او لم يقع
فليس فى الآية دلالة عليه الوجه الرابع فى تقرير هذا المعنى ان نقول المقصود
من ذكر هذا الكلام استمالة قلوب الكفار وتقريبهم من قبول الايمان وذلك
لانهم طالبوه مرة بعد اخرى بما يدل على صحة نبوته وكانهم استحيوا من
تلك المعاودات والمطالبات وذلك الاستحياء صار مانعا لهم من قبول الايمان
فقال تعالى فان كنت فى شك من نبوتك فتمسك بالدلائل يعنى اولى الناس
بان لا يشك فى نبوته هو نفسه ثم مع هذا ان طلب هو من نفسه دليلا على نبوة نفسه

بعد ما سبق من الدلائل الباهرة والبينات القاهرة فانه ليس فيه عيب
ولا يحصل بسببه نقصان فاذا لم يستقبح منه ذلك في حق نفسه فلان لا يستقبح
من غيره طلب الدلائل اولى والخامس ان يكون التقدير انك لست شاكا
البتة ولو كنت شاكا لكان لك طرق كثيرة في ازالة ذلك الشك
كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا والمعنى انه لو فرض ذلك
الممتنع واقعا لزم منه المحال الفلاني فكذا ههنا لو فرضنا وقوع هذا الشك
فارجع الى التوراة والانجيل لتعرف بهما ان هذا الشك زائل وهذه الشبهة
باطلة الوجه السادس هو ان لفظ ان في قوله ان كنت في شك للنفي
اي ما كنت في شك يعني لا نأمرك بالسؤال لانك شاك لكن لتزداد يقينا
كما ازداد ابراهيم عليه السلام بمعاينة احياء الموتى يقينا واما الوجه الثاني
وهو ان يقال ان هذا الخطاب ليس مع الرسول فتقريره ان الناس في زمانه
كانوا فرقا ثلاثة المصدقون به والمكذبون له والمتوقفون في امره الشاكون
فيه فخاطبهم الله تعالى بهذا الخطاب فقال ان كنت ايها الانسان في شك مما
انزلنا اليك من الهدى على لسان محمد فاسأل اهل الكتاب ليدلوك على
صحة نبوته وانما وحد الله ذلك وهو يريد الجمع كما في قوله يا ايها الانسان ما غرك

بربك الكريم الذي خلقك ويا ايها الانسان انك كادح وقوله فاذا مس الانسان

ضر ولم يرد في جميع هذه الآيات انسانا بعينه بل المراد هو الجماعة فكذا ههنا و

لما ذكر الله تعالى لهم ما يزيل ذلك الشك عنهم حذرهم من ان يلحق بالقسم الثاني

وهم المكذبون فقال ولا تكن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين

ومنها قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه

ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ فتطردهم فتكون

من الظالمين روى عن عبد الله بن مسعود انه قال مر الملاء من قريش على

رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صهيب وخباب وبلال وعمار وغيرهم من

ضعفاء المسلمين فقالوا يا محمد ارضيت بهؤلاء عن قومك افنحن نكون تبعاً

لهؤلاء اطردهم عن نفسك فلعلك ان طردتهم اتبعناك فقال عليه السلام ما انا

بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شئت

فقال نعم طمعاً في ايمانهم وهذا يدل على عدم عصمته من وجوه الاول انه عليه الصلوة

والسلام طردهم والله تعالى نهاه عن ذلك الطرد فكان ذلك الطرد ذنبا

والثاني انه تعالى قال فتطردهم فتكون من الظالمين وقد ثبت انه طردهم

فيلزم ان يقال انه كان من الظالمين والثالث انه تعالى حكى عن نوح عليه السلام

انه قال وما انا بطارد الذين آمنوا ثم انه تعالى امر محمدا عليه السلام بمتابعة الانبياء
عليهم السلام فى جميع الاعمال الحسنة حيث قال اولئك الذين هدى الله فبهداهم
اقتده فبهذا الطريق وجب على محمد عليه السلام ان لا يطردهم فلما طردهم كان
ذلك ذنبا والرابع انه تعالى ذكر هذه الآية فى سورة الكهف فزاد فيها فقال
تريد زينة الحياة الدنيا ثم انه تعالى نهاه عن الالتفات الى زينة الحياة الدنيا
فى آية اخرى فقال ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة
الحياة الدنيا فلما نهى عن الالتفات الى زينة الدنيا ثم ذكر فى
تلك الآية انه يريد زينة الحياة الدنيا كان ذلك ذنبا الخامس نقل ان
اولئك الفقراء كلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الواقعة
فكان عليه السلام يقول مرحبا بمن عاتبني ربي فيهم او لفظ هذا معناه وذلك
يدل ايضا على الذنب والجواب عن الاول انه عليه السلام ما طردهم لاجل
الاستخفاف بهم والاستنكاف من فقرهم وانما عين لجلوسهم وقتا معينا سوى الوقت
الذى كان يحضر فيه اكابر قريش وكان غرضه منه التلطف فى ادخالهم فى الاسلام
ولعله عليه السلام كان يقول هؤلاء الفقراء من المسلمين لا يفوتهم بسبب هذه
المعاملة امرهم فى الدنيا وفى الدين وهؤلاء الكفار فانهم يفوتهم الدين

والاسلام فكان ترجيح هذا الجانب اولى فاقصى ما يقال ان هذا الاجتهاد وقع خطاء الا ان الخطاء فى الاجتهاد معفو واما قوله ثانيا ان طردهم يوجب كونه عليه السلام من الظالمين فجوابه ان الظلم عبارة عن وضع الشئ فى غير موضعه والمعنى اولئك الضعفاء الفقراء كانوا يستحقون التعظيم من الرسول عليه السلام فاطردهم عن ذلك المجلس كان ذلك ظلما الا انه ما طردهم ولا تركهم بل عين لهم وقتا معينا وذلك من باب ترك الاولى والافضل لا من باب ترك الواجبات وكذا الجواب عن سائر الوجوه فانا نحمل كل هذه الوجوه على ترك الاولى والافضل والاكمل والاحرى والله اعلم بالصواب ومنها قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فان هذا القول صريح فى صدور الذنب عنه عليه السلام والجواب عنه من وجوه الاول ان المراد به ترك الاولى وتسمية ذنبا بالنظر الى منصبه الجليل لان حسنات الابرار سيئات المقربين فى المثنوى شعر انكه عين لطف باشد بر عوام * قهر شد بر عشق كيشان كرام * والثانى ما قال ابن عطاء قدس سره لما بلغ عليه السلام سدرة المنتهى ليلة المعراج قدم هو وآخر جبرئيل فقال يا جبرئيل تتركنى فى هذا الموضع وحدى فعاتبه الله تعالى حين سكن الى جبرئيل فقال ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر

والثالث المراد بالمغفرة الحفظ والعصمة والتبرئة من العيوب ازلا وابدا
فيكون المعنى ليحفظك الله ويعصمك من الذنب المتقدم والمتأخر فهو تعالى
انما جاء بما تقدم اشارة الى انه عليه السلام محفوظ معصوم فى اللاحق
كما فى السابق والرابع ما قال الشعرانى يجوز حمل نحو قوله تعالى ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر على نسبة الذنب اليه من حيث ان شريعته
هى التى حكمت بانه ذنب فلولا اوحى به اليه ما كان ذنبا فجميع ذنوب
امته يضاف اليه وأتى شريعته بهذا التقدير فما كان قوله ليغفر لك الله
الآية الا تطمينا له عليه السلام ان الله قد غفر جميع ذنوب امته التى جاءت
به شريعته ولو بعد عقوبته قال فى التأويلات النجمية ان المراد بالفتح فى قوله
تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا فتح باب قلبه عليه السلام الى حضرت
ربوبيته بتجلى صفات جماله وجلاله وفتح ما انغلق على جميع القلوب ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك اى ليستر لك بانوار جلاله ما تقدم من ذنب
وجودك من بدء وجودك وهو اول شىء تعلقت به القدرة كما قال اول ما خلق الله
روحى وفى رواية نورى وما تأخر من وقت وجودك الى الابد وذنب
الوجود هو الشرك الحقيقى للوجود وغفره ستره بنور الوحدة لمحو آثار الاثنينية

انتهى وقال الطبرى واختاره القشيرى ان المراد بالذنب ما كان
عن سهو وغفلة وتأويل وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول
وما ادرى ما يفعل بى ولا بكم سر بذلك الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقصد الآية انك مغفور لك غير مواخذ
بذنب ان لو كان واجاب البعض بان المراد بما تقدم ما جاء فى حديث مارية
وبما تأخر ارادة امرأة زيد وهذا محكى عن المجاهد وقال ابن عباس رضى الله عنهما
المراد بما تقدم وما تاخر الذنوب الماضية والمستقبلة فرضا يعنى لو كانت
لك ذنوب فى الماضى والمستقبل لغفرت لك كلها وقال السبكى رحمه الله تاملت
فى هذه الآية فما وجدت فيها الا احتمالا واحدا وهو ان هذا تشريف من الله لرسوله
من غير ثبوت الذنوب له عليه السلام لان من عادة الملوك اذا رضى واحد من
عبده ومملوكه يقول له غفرت جميع ذنوبك وفرغت ذمتك من المواخذة
وان لم يكن له ذنب فكانه تعالى افاض عليه النعم الدنيوية والاخروية ومنها
قوله تعالى واذ تقول للذى انعم الله عليه وانعمت عليك امسك عليك زوجك
واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق ان تخشاه
فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المومنين حرج فى ازواج ادعيائهم

اذا قضوا منهن وطرا وكان امر الله مفعولا فان المفسرين قد ذكروا في تفسير هذه الاية

وسبب نزولها انه عليه السلام اتى زيدا ذات يوم لحاجة ولم يكن هو في بيته فابصر

زينب فجاءة في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من اتم نساء

قريش فوقعت في نفسه محبتها واعجبه حسنها فقال سبحان الله يا مقلب القلوب ثبت

قلبي وانصرف فلما جاء زيد الى بيته ذكرت له ذلك ففطن زيد القى في نفسه

كراهتها في الوقت واتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اريد ان افارق

صاحبتي فقال له ما لك ارابك منها شيئا قال لا والله يا رسول الله ما رأيت

منها الا خيرا ولكنها تتعظم على لشرفها وتوذيني بلسانها فقال له النبي عليه السلام

امسك عليك زوجك واتق الله في امرها واخفى في نفسه محبتها وكان حريصا

على ان يطلقها زيد فيتزوجها فعاتبه الله تعالى بذلك السبب قيل ان ما ذكره

في سبب نزولها من وقوع محبتها في قلب النبي عليه السلام وارادته طلاق زيد اياها

فيه اقدام عظيم من قائله وقلت معرفته بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله

كيف مد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحيوة الدنيا وكيف يقال انه رآها فجاءة

فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت وما كان النساء يحتجبن

منه عليه السلام مع انه تعالى اعلم انه يبدي ما اخفاه كما قال وتخفي في نفسك

کان اراده صلی الله علیه وسلم ولم یظهر غیر تزویجها منه فقال ذوجناکها فلو کان الذی اضمره
رسول الله صلی الله علیه وسلم محبتها او ارادة طلاقها لکان یظهر ذلک لانه یجوز
ان یخبر انه یظهره ثم یکتمه ولا یظهره ولا ینبغی للمسلم ان یغتر بنقل المفسرین وان کانوا
من اهل السنة والجماعة لان الحق احق بالاتباع وان کان مخالفا لما هو علی السنة
القوم معاذ الله عن ذلک الاعتقاد فی جناب علیه السلام لان عصمة الله تعالی یقیه
فی کل فعل وقول یصدر عنه والذی یدل علی براءته عن نظر الخیانة وعن الذی
شابهت الخیانة وان لم یکن فی نفسه خیانة ما قاله علیه السلام فی قتل عبد الله ابن
ابی سرح بعد اعتراض عثمان رضی الله عنه بشفاعة له واعطاء الامان له وقیامه
عن المجلس مع قول العمر رضی الله عنه له علیه السلام لقد کان عینی الی عینک هل تشیر
الی فاقتله الانبیاء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد ولما عد رسول الله صلی الله
هذا مقولة قول النبی ص ۱۲
علیه وسلم هذا القدر من خیانة النظر فی حق نفسه ولم یجوزه لمشابهته بالخیانة
فی الظاهر مع ان اضماره کان لاجل مصلحة الدین فکیف یجوز المؤمن ان یظن هم
انه علیه السلام نظر الی زوجة الغیر واخفی محبتها فی قلبه بل لابد ان یعتقد براءته
لان نفسه کانت مطیعة لله تعالی فی کل وقت ولیس للهوی دخل فیه لان شیطانه
قد اسلم ولم یأمره الا بخیر فعلم ان ما ذکروه لا یعتد به بل المعتمد فی سبب نزولها

ما روي عن علي بن الحسين ان النبي صلى الله عليه وسلم قد اوحى اليه ان زيدا
يطلق زينب وانه عليه السلام يتزوجها بتزويج الله اياها فلما شكى زيد للنبي
صلى الله عليه وسلم خلق زينب وانها لا تطيعه واعلمه بانه يريد طلاقها قال له على
طريق النصح والوصية امسك عليك زوجك واتق الله في قولك واخفى عليه
السلام في نفسه ما اعلمه الله من انها ستكون زوجة له وانما اخفاه استحياء
من ان يقول لزيد ان التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي ولم يأمره
بطلاقها خوفا من لائمة الناس ان يقولوا امر رجلا بطلاق امرأته ثم
نكحها فكان ذلك الخوف والخشية شفقة ورحمة على الناس من وقوعهم
في الفتنة بان يخطر ببالهم نوع انكار او اعتراض عليه او شك في نبوته
بان النبي منزه عن مثل هذا الميل فيخرجهم من الايمان الى الكفر ولا يطيقون
سماع هذه الحالة ولا يقدرون على تحملها وما كان اظهار سر الذي اوحى الله
اليه في تلك المقدمة واجبا عليه لان ذلك السر يتعلق بالمشية والارادة
ولا يجب على الرسل الاخبار عن المشية وانما يجب عليهم الاخبار والاعلان
عن الاوامر والنواهي كما انه عليه السلام كان يقول لابي لهب آمن بالله وقد
علم ان الله اراد ان لا يؤمن ابو لهب كما قال الله تعالى سيصلى نارا ذات لهب

لان ذلك الذي يتعلق بعذاب ابي لهب مما هو المشية والارادة فلا يجب
عليه الاظهار والاخبار عنه وقوله آمن بالله يتعلق بالاوامر والنواهي فكذا
ههنا امر زيدا بالامساك اداءا للامر بالمعروف ولكن كان الاولى له ان يصمت
عند سماع قول زيد او يقول له انت اعلم بشانك وربما يعاتب الانبياء بترك الاولى
وبعض المباحات خصوصا اذا كان الدخول في ذلك البعض سلما الى حصول
واجبات يعظم اثرها في الدين كما ان طلاق زيد لزينب وتزويج النبي صلى الله
عليه وسلم اياها سبب لازالة حرمة التبني وابطال سنة الجاهلية ورفع الحرج
عن المومنين كما قال الله تعالى لكيلا يكون عن المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم
فثبت ان ما اضمره النبي عليه السلام هو السر المذكور دون محبتها
وطلاق زيد لها ولو سلم انه عليه السلام رآها فجاءة واستحسنها واخفى محبتها ونكاحها
لو طلقها فاقول انه ايضا لا يقدح في حال الانبياء عليهم السلام لان العبد غير ملوم
على ما يقع في قلبه مثل هذه الاشياء ولا نكرة فيما طبع عليه البشر من استحسان
الحسن والنظرة الفجاءة معفو عنها ما لم يقصد مأثما ومعلوم انه عليه السلام منع نفسه
عنها ومنع عن هواها وامر زيدا بامساكها اداء للامر بالمعروف ونصحه على خلاف
مقتضى طبعه فهو يوجب عظم الاجر قال الله تعالى ويؤثرون على انفسهم

ولو كان بهم خصاصة وقال من يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون مع ان
ذلك الحبشي عليه السلام ما كان من مراد الان دواعيه من قبل اذن الهي
اذ ليس للشيطان عليه سبيلا فافهم مما ذكرت لك من التحقيقات والتدقيقات
علمت ان الرسل والانبياء عليهم الصلوة والسلام معصومون من صدور الصغائر
والكبائر ولا ينبغي لك ان تلتفت الى خرافات الطاعنين لانه موجب لما سيأتي في الباب الآتي

ان شاء الله تعالى

واما الباب الثالث ففي بيان ما هو سب او في حكم سب في حق الانبياء عليهم الصلوة والسلام

نصيحا او تلويحا او في حكم سبابهم ونقصهم واعلم اولا ان كل من شتم نبيا من الانبياء
او عابه او لحق به نقصا في نفسه او دينه او نسبه او خصلة من خصاله او عرضه
او شبهه بشئ على طريق السب له او الازدراء عليه اى الاحتقار به والاستخفاف
بحقه او التصغير لشانه او الغض اى الخفض والتنقص من امره او عابه في
حكمه او دعا عليه بالويل او بشئ من المكروه او تمنى مضرة له كانت تحصل لديه
او نسب اليه ما لا يليق بمقامه الشريف ومكانه المنيف على طريق الذم او لعب
ومزح في جانبه الكريم بسخف من الكلام وفحش في المنطق ومنكر من القول وزور
اى كذب وافتراء او امر منحرف عن الحق او عيره وعابه بما جرى من المحنة

والبلاء عليه كالفقر والفاقة او غمصه اى حقره ببعض العوارض البشرية الجائزة حرباً ننا عليه او يؤى منه فهو ساب له والحاصل ان كل من قال قولا يدل على استهانة نبي من الانبياء فهو ساب له وحكمه القتل وهو ثابت بالكتاب والسنة والاجماع اما الكتاب فقوله تعالى ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا اليما فكل من اذى النبي فهو ملعون وقال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا فعلم ان الملعون واجب القتل وقوله فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت الآية فنفى الله اسم الايمان عمن وجد فى صدره حرجا من قضائه ومن تنقصه فقد ناقض هذا اى عارض ما يجب عليه من انه لم يجد من نفسه حرجا من قضائه وقوله يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي الى قوله ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون ومن المعلوم ان مجرد رفع الصوت فوق صوته لا يبطل العمل فان المعاصي سواء كانت الكبائر والصغائر لا تبطل الحسنات عند اهل السنة والجماعة وانما يبطلها الكفر وهو لا يكون الا اذا تضمن رفع الصوت خفض حرمة النبي صلى الله عليه وسلم واستخفاف منصبه فعلم ان اذاه واستخفاف

منصبہ کفر والکافر یقتل بالارتداد فانقیل ان هذه الآیات تدل علے قتل من سب او اذا نبینا صلی الله علیه وسلم او خفض حرمته او استخف بمنصبه ولا دلالة لها علی ان استخفاف منصب سائر الانبیاء ایضا موجب لهذا الحکم قلت قد ذکرنا فی الباب الاول ان الانبیاء کنفس واحدة فکانت حرمتهم کحرمة واحدة فلاجل هذا کان تکذیب احد منهم تکذیب الکل فما کان موجب هتك حرمة نبی واحد فهو موجب هتك حرمة کل نبی واما الاجماع فقد ثبت اجماع العلماء من المفسرین والمحدثین وائمة الفتوی من المجتهدین من لدن الصحابة رضی الله عنهم اجمعین الی هلم جرا علی ما ذکرناه قال القاضی ابو بکر بن المنذر محمد ابن ابراهیم نیشاپوری اجمع عوام اهل العلم ای کلهم علی ان من سب النبی صلی الله علیه وسلم یقتل صونا لقدره تعظیما لامره وممن قال ذلك مالك بن انس امام المذهب واللیث بن سعد واحمد بن حنبل واسحاق بن راهویه وهو مذهب الشافعی رحمة الله قال القاضی ابو الفضل رحمة الله علیه وهو مقتضی قول ابی بکر الصدیق رضی الله عنه وبمثله قال ابو حنیفة واصحابه والثوری والاوزاعی واهل الکوفة فی المسلم لکنهم قالوا هو مرتد یقبل توبته

وروی مثله الولید بن مسلم عن مالک وقد ذکر غیر واحد الاجماع علی
قتله وتکفیره واشار بعض الظاهریة وهو ابو محمد علی بن احمد ابن سعید بن
حزم الیزیدی القرطبی الظاهری الفارسی الاصل الی الخلاف فی تکفیر
المستخف به والمعروف ما قدمناه من تکفیره وقتله قال محمد بن
سحنون اجمع علماء الاعصار فی جمیع الامصار ان شاتم النبی صلی الله
علیه وسلم المتنقص له کافر والوعید جار علیه بعذاب الله له وحکمه
عند الامة القتل ومن شک فی کفره وعذابه فقد کفر ولحق به قال ابن القاسم
المصری فی العتبیة من سبه او شتمه او عابه او تنقصه فانه یقتل وحکمه
عند الامة القتل واما السنة فقد روی بسند صحیح عن علی ابن ابی طالب
رضی الله عنه ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال من سب نبیا فاقتلوه
ومن سب اصحابی فاضربوه وجاء فی الخبر الصحیح من امر النبی صلی الله تعالی علیه وسلم
بقتل کعب بن الاشرف وقوله من لکعب بن الاشرف فانه یوذی الله ورسوله
وغیرهما من الآثار الا ان ههنا وجوها لا بد لنا من بیانها لئلا یشتبه الحکم علی المفتی
فالمستفتی احدها ان یکون القائل بالامور المذکورة قاصدا السب نبی
من الانبیاء علیهم الصلوة والسلام فحکمه الکفر والقتل

كما ذكرنا وثانيها ملحق بالوجه الاول في البيان والجلاء اى في الظهور وعدم الخفاء
وهو ان يكون القائل لما قال من الكلام في جهته عليه السلام غير قاصد للسب
ولا للاستخفاف ولا استحقار ولا معتقد لمضمون الكلام ولكن تكلم في جهة
نبى من الانبياء بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يليق
بشان الانبياء او نفى ما يجب ثبوته له مما هو في حقه نقيصة من مثل ان ينسب
اليه اتيان كبيرة اى صدورها من قول او فعل او مداهنة اى مصانعة في تبليغ
الرسالة او مساهلة في حكم بين الناس ويخفض وينقص من مرتبة العلية
او ياتى بسفه من القول او قبيح من الكلام او نوع من السب وما فيه
من قلت الادب في جهة نبى وان ظهر بدليل حال القائل انه لم يعمد ذمه
في مقاله ولم يقصد سبه لاعتقاده كماله لكن صدر عنه مقاله اما لجهالة
بغرت حملته على مقاله او لغلق من اثر غمه ناله او منكر محرم او غيره
او قلة مراقبته في شان الانبيا او قلت ضبط لسانه وقلة مبالاة في
بيانه وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه حكم الوجه الاول اى الكفر والقتل بدون التوقف
والاستتابة اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة لان معرفة ذات الله وصفاته
وما يتعلق بانبيائه فرض على مجملا في مقام الاجمال ومفصلا

فی مقام التفصیل ولهذا من قال انا ملحد کفر ولو قال ما علمت انه کفر لا یعذر
بهذا فی القضاء الظاهر والله اعلم بالسرائر ولا یعذر بدعوی زلل اللسان
ولا شیٔ مما یظن انه عذر اذا کان عقله فی فطرته سلیما وافتے فقهاء الاندلس
بقتل ابن حاتم المتفقه الطلیطلی صلبه بما شهد علیه من استخفافه
بحق النبی صلی الله علیه وسلم وتسمیته ایاه اثناء مناظرته بالیتیم وختن
حیدرة وزعمه ان زهده لم یکن قصدا ولو قدر علی الطیبات اکلها
الی اشباع لهذا الاستخفاف والاستحقار فی حقه علیه السلام مما یکفی
امر واحد منها فی تکفیره وقتله وهذا اجهل من ابن الحاتم المذکور بماله
علیه السلام وکماله فی هذا المقام حیث خیر بین ان یکون نبیا ملکا وبین
ان یکون نبیا عبدا فاختار الفقر وقال اجوع یوما فاصبر واشبع یوما
فاشکر لیکون مظهر لنعت الجلال والجمال فالملعون المذکور اراد الطعن
فی زهده والقدح فی فقره مع انه محل فخره تواضعا لربه وانکسار فی
امره وافتے فقهاء القیروان واصحاب سحنون بقتل ابراهیم الفزاری وکان
شاعرا ماهرا فی کثیر من العلوم الادبیة والعقلیة وکان ممن یحضر مجلس القاضی
ابی العباس ابن طالب للمناظرة فی العلوم فرفعت علیه امور منکرة من هذا الباب

في الاستهزاء بالله وانبيائه فاحضره اي لاجل ابراهيم الفزاري القاضي
ابو العباس يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر ابو العباس بقتله وصلبه فطعن
في بطنه بالسكين حتى هلك وصلب منكوسا راسه ثم انزل فاحرق بالنار
وحكى بعض المورخين انه لما دفعت الى خشبة وزالت عنها الايدي استدارت
وحولت عن القبلة فكان ذلك اية لجميع الحاضرين وكبر الناس وجاء كلب
فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلعم وذكر حديثا عنه عليه السلام
انه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله المرابط من قال
ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب قبلت توبته وان لم يتب
قتل لما اقتضته ذمة لان الهزم تنقص في مرتبته عليه السلام اذ لا يجوز
وقوع الهزيمة في خاصة نفسه عليه السلام لبراءة ساحته من الهزيمة عن مقام
طاعته اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته عن ابي اسحاق قال البراء
كنا اذا احمر الباس نتقي به عليه السلام وان الشجاع منا للذي يحاذي به
اي يقابله وكذا روي عن علي كرم الله وجهه واما هجرته عليه السلام من البيت الحرام
فانما كان بامر الله تعالى بالهجرة الى دار السلام وثالثها اي ثالث الوجوه
ان يقصد احد من الانام الى تكذيب نبي من الانبياء فيما تواتر عنه من الكلام

او اتى بدمعه احكام الاسلام التى اجمع عليها الاعلام او ينفى نبوته و رسالته عن من ارسل اليهم او ينفى وجوده فى عالم نسهوده او يتبرئ منه فهو كافر بالاجماع يجب قتله بحكم الحاكم او نائبه الا انه ان كان معلنا غير متستر بذلك كان حكمه حكم المرتد من غير نزاع عند المالكية والحنفية الا ان المختار عند المالك انه يقتل وان تاب فتوبته غير مقبولة وان كان مستترا فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة قولا واحدا عند المالكية قال فى حاشية البيضاوى الزنديق فى عرف الفقهاء من يبطن الكفر مصرا عليه ويظهر الايمان تقية وذكر الولوالجى هى فرقة من الثنوية القائلين بتناسخ الارواح ودوام الدهر والاشباح تبعا للجوهرى فى صحاحه ان الزنديق من الثنوية وهو معرب والجمع الزنادقة وقد تزندق والاسم الزندقة انتهى وقال ابن فرقول الزنادقة من لا تعتقد ملة من الملل المعروفة ثم استعمل فى كل من عطل الاديان وانكر الشرائع وفى من اظهر الاسلام واسر غيره والاصح عند الشافعية انه الذى لا ينتحل دينا واختلفوا فى قبول توبته والاصح عندنا يعنى الحنفية انها تقبل قبل الظفر وبعدها والدليل عليه قوله تعالى آمنوا كما آمن الناس فانه خطاب للمنافقين وهم من الزنادقة وقد امروا بالايمان وطلب منهم ان يؤمنوا فينبغى ان تقبل توبتهم منهم لان ما لا يقبل

من المكلف لا يطلب منه بالامر التكليفي واذا قبلت توبتهم وهم زنادقة
علم ان توبة الزنديق مقبولة فهو المطلوب وعند المالكية لا تقبل توبة
الزنديق انتهى وقال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد صلى الله عليه وسلم
اى تبرأ منه او اعرض عنها وكذبه فى نبوته فهو مرتد حلال الدم الا ان يرجع
قبل قيام الحد عليه فعلم من هذا ان توبة قبل قيام الحد يسقط القتل سواء
كان معلنا به او مستترا وكذا من تنبأ او قال ان بعد نبيكم نبي
يأتى يولد او نبى ناسخ لدين محمد صلعم لانه مكذب لله ورسوله قال الله تعالى
ولكن رسول الله وخاتم النبيين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا خاتم النبيين
وايضا قال عليه السلام مثلى ومثل الانبياء كمثل رجل بنى دارا فاكملها واحسنها
الا موضع لبنة فكان من دخلها فنظر اليه قال ما احسنها الا موضع اللبنة
فانا موضع اللبنة ختم بي الانبياء وقال لا نبى بعدى ورابعها اى رابع الوجوه
ان يأتى من الكلام بمجمل مشتمل على تعدد معنى محتمل او يتكلم من القول بمفصل على
محمل المجمل على النبى وغيره ويتردد فى المراد بالكلام المفصل من سلامة النبى
من المكروه وملامته فههنا محل تردد نظر المتأملين وحيرة العبرة ومظنة
اختلاف المجتهدين فمنهم من قدم حرمة النبي وحمى حمى عرضه من ان تنقصه

فاقدم على قتل قائله من غير استتابة ومنهم من اعظم حرمة الدم ودفع الحدود
بالشبهات لقوله عليه الصلاة والسلام ادرءوا الحدود بالشبهات كما رواه جماعة
الثقات وروى الحاكم والبيهقي عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا ادرءوا الحدود
عن المسلمين ما استطعتم فان وجدتم للمسلم مخرجا فخلوا سبيله فان الامام
لان يخطئ في العفو خير من ان يخطئ في العقوبة انتهى فالجمع بين حمى العرض
ودرء الحد بالشبهة ممكن بان يعرض التوبة على القائل المذكور فان تاب
فهو المراد والا قتل فيرتفع الاشكال ويزول الاحتمال وخامسها اي خامس الوجوه
ان لا يقصد القائل في محتمل كلامه نقص النبي ولا يذكر عيبا في امره ولا شتما وذما
في حقه لكنه في محتمل كلامه يميل ويجذب بذكر بعض اوصافه الى ما يصرفه عن
ان يفهم منه نقص وذم في اثناء الكلام او يستشهد في بعض ما قاله ببعض
احوال الانبياء الجائزة عليهم في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة
لنفسه او لغيره على سبيل التشبيه بقوله او فعله او عند هضيمته اي نقيصة عظيمة
اصابته او مذلة وحقارت لحقته اي لنبي من الانبياء ليس على طريق الاقتداء
والاهتداء به بل على مقصد الترفيع والاعلاء اما لنفسه او لغيره
من الآباء والابناء او على سبيل التشبيه لنفسه او لغيره بالانبياء

وعدم التعظيم والتبجيل في تمثيله لنبي وقصد الهزل كقول القائل ان قيل في السوء فقد قيل في الانبياء او ان كذبت فقد كذب الانبياء او ان اذنبت فقد اذنبوا وانا اسلم من السنة الناس ولم يسلموا يعني الانبياء والرسل وكقول الحسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد من ملوك الاندلس المعروف بالمعتمد بالله وفي وزيره ابي بكر بن زيدون كان ابا بكر ابو بكر الرضى وحسان حسان وانت محمد اي كان وزيرك ايها الممدوح ابا بكر بن زيدون ابو بكر الصديق وشاعرك حسان المصيصي حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم وكانك انت الممدوح محمد صلى الله عليه وسلم فان هذه الامثلة المذكورة كلها وان لم تتضمن سبا صريحا ولا اضافة الى الانبياء نقصا اي عيبا قبيحا ولا قصد القائل الاحتقار ولا الانتقاص لكن مع ذلك ما قام بحق الكلام وما وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا رسلها ولا قوى حرمة الاصطفاء ولا عزاز المرتبة المكرمة ولا المنزلة المعظمة حتى شبه من شبه من الامراء والوزراء بالانبياء والاصفياء لاجل جائزة اصابها من ممدوحها ومشقة ومصيبة قصد التبري عنها او ضرب مثل لتطييب مجلس القائل والمقول له ترغيبا في مجالسته ومخالطته ومصاحبته

ومكالمته او مبالغة فى الوصف لتحسين كلامه و تزئين مرامه عن عظم الله خطره

اى منزلته شرف قدره ومرتبته من الانبياء والاصفياء فحق هذا القائل

ان ورئ عنه القتل احتياطا الادب بضرب وجيع وتوبيخ بليغ فظيع والحبس

فيكان شنيع وقوة تعزيره بحسب شنعته فقاله ولم يزل المتقدمون من العلماء

والامراء ينكرون مثل هذا المدح من جاء به من الشعراء وقد انكر هارون الرشيد

على ابى النواس قوله فان يك باقى سحر فرعون فيكم فان عصى موسى بكف

خصيب اى ان يكن فى مملكتهم ارض مصر لقبية من سحر فرعون فلا هى تجدى نفعا

مع وجود عصى موسى بكف عبرها خصيب تلقف ما يأفكون وقال له الرشيد يا

ابن اللخناء اى يا ابن المنتنة نتن المستهزئ المستحقر احصا موسى تجعلك

ابا ها بكف خصيب وامر بلخراجه عن عسكره فى ليلته واستفتى بعض قضاة

الاندلس القاضى ابا محمد ابن منصور رحمه الله تعالى فى رجل تنقصه رجل آخر

شئ من الكلام فقال له انما تريد نقصى بقولك وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص

البشرى حتى النبى صلى الله عليه وسلم فافتاه باطالة حبسه وايجاع ادبه اذ لم يقصد

السب الا ان فيه حكم بقتله لكفره وقال ابو الحسن فى شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا

فقال له الرجل اسكت فانك امى فقال الشاب اليس كان النبى امّيا فتشنع

عليه فقال له وكفر الناس الشفق الشاب بما قال واظهر الندم عليه فقال

ابو الحسن اما اطلاق الكفر عليه فخطأ ولكنه مخطئ فى اشهاده بصفة النبى

صلى الله عليه وسلم وكون النبى اميا آية له وكون هذا اميا نقيصة فيه وجهالة

ومن جهالته احتجاجه بصفة النبى صلى الله عليه وسلم لكنه اذا استغفر وتاب

واعترف ولجاء الى الله تعالى فيترك وقوله لاينتهى الى حد القتل وما طريقه

الادب فطوع فاعله بالندم عليه يوجب الكف عنه وكان بعض فقهاء الاندلس

افتى بقتله اخذا له بظاهر قوله زجرا له ولغيره قال الفاضل على القارى رحمة الله

عليه ولعل هذا كله مبنى على السياسة وسد باب لذريعة والا فالمخلوق من

حيث هو مخلوق خرج من العدم الى الوجود وفى صدد الزوال عن عالم الشهود

ناقص الحال بالاضافة الى كمال الملك المتعال لا سيما ولا يخلو احد عن تقصير

فى مقام العبودية عما يجب عليه من قضاء حقوق الربوبية كما اوما اليه

صلى الله عليه وسلم بقوله لا احصى ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وكما اشار اليه

سبحانه وتعالى بقوله كلا لما يقض ما امره قال البيضاوى لم يقض لانسان من لدن

آدم عليه الصلوٰة والسلام الى هذه الغاية امر الله تعالى باسره اذلا يخلو احد

من تقصير ما ولو كان عظيما فى قدره انتهى وسادسها اى سادس الوجوه

ان يقول القائل ذلك القول الذي فيه نقص من قدر نبي من الانبياء حاكيا
عن غيره راويا او ناقلا عنه فهذا الناقل ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته
ودلالة حالته المؤذنة بغرضه الباعث له على روايته ويختلف الحكم باختلاف
صورة حكايته وقرينته ودلالة حالته على اربعة وجوه من الاحكام فان كان ناقله
مخبرا به على وجه الشهادة لاحد او عليه نفيا او اثباتا او غرض الناقل تعرف حال
قائله وصفته والانكار عليه ليعلم ما يترتب عليه من قتل وتعزير وتوبيخ ونحو ذلك
او ليحترز عن مجالسته ومصاحبته فهذا القول على هذا المنوال مما ينبغي امتثاله
ويقبل مقاله ويحمد فاعله وكذلك الحكم ان حكاه في كتاب او في مجلس وعظ
ودرس على طريق الرد فعله او النقض على قائله والافتاء لما يوجبه من قتل ونحوه
فهذا الرد والنقض منه ما يجب بيان حكمه ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي
والمحكي عنه فان كان القائل لذلك الذي حكاه ممن تصدى لان يؤخذ منه
العلم او الرواية او يجزم بحكمه لكونه اميرا او قاضيا او يجزم بشهادته لعدالته
ويفتي في الحقوق لعلمه وحكمه يجب على سامع قوله الافشاء والاشاعة
بما سمع منه والتنفير للناس عنه ويجب الشهادة عليه بما قاله ليجتنب عنه
ويجب على من بلغه ذلك الذي صدر منه من ائمة المسلمين انكاره وبيان

كفره وفساد قوله نقطاع ضرره عن المسلمين وكذلك حكم واعظ العامة
ومؤدب الصبيان لانه لا يؤمن على القاء ذلك فى قلوبهم فيتأكد فى
حق هؤلاء الايجاب بالانكار لحق الانبياء عليهم السلام وان لم يكن القائل
من المذكورين فصيانة الانبياء عن الطعن والنقص فيهم ايضا واجب
لا يجوز التهاون عنها فى حق مؤمن الا اذا قام بهذا من علا به الحق وانفصلت
به الحكومة وظهر به الصدق سقط الغرض عن الباقين لكن يستحب لهم الدعوى
والشهادة للتقوية والتشهير للقضية والمبالغة فى الاجتناب الاحتراز عنهم
واما الاباحة لحكاية قوله المشتمل على الكفر بغير ما ذكرنا من المقصود فلا مدخل
لان التنزه بغير غرض شرعى لا يجوز بعرض نبى من الانبياء والتحرك بسوء
ذكره لا يجوز لاحد لا ذاكرا ولا راويا ولا ناقلا واما للاغراض المتقدمة
كالشهادة والرد والنقض فموضع تردد بين الايجاب والاستحباب وان نقل
مقالات الغير من سب نبى والازراء بمنصبه على وجه الحكاية والاسمار واحاديث
الناس ومقالاتهم فهو ممنوع لبعضه اشد من بعض فى المنع والعقوبة بحسب علم
الحاكى وقصده وشدة المحكى عنه فى الشناعة وغيره ولهذا قالوا فيمن حفظ
نصف بيت بقصد حفظها وارادة نشره مما هجى به النبى صلى الله عليه وسلم

انه كفر وسب يوخذ بقوله ولا ينفعه نسبة الى غيره فيتبادر الى قتله ويعجل الى
الهاوية امره وقد حكي ان رجلا سأل مالكا رحمه الله عمن يقول القرآن
مخلوق فقال مالك رحمه الله انه كافر فاقتلوه فقال انما حكيته عن غيري فقال
مالك انما سمعناه منك لا من غيرك وكان هذا الحكم على طريق الزجر
والتغليظ فلهذا لم ينفذ قتله وسابعها اي سابع الوجوه ان يذكر ذاكر
ما يجوز على الانبياء كارعاء الغنم لما في الحديث ما من نبي الا وقد رعى
الغنم وفي حديث كنت ارعاها على قراريط او يختلف في جواز عليه
كارتكاب صغيرة عمدا او يعرض عليه من الامور البشرية كالاحوال الطبعية
او يذكر احد ما امتحن به وصبر في ذات الله تعالى من قوة بلائه كالضرب به
الايذاء له من اعدائه او يذكر ما لقيه من شدة في وقته كاختيار الفقر
والفاقة لنبينا صلى الله عليه وسلم هذا كله على سبيل الرواية وتحصيل العلم
ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبياء وما يجوز عليهم فهذا نوع خارج مما ذكر
في الوجوه المذكورة ليس فيه عيب ونقص ولا استحقار ولا استهزاء لا في
ظاهر اللفظ ولا في قصد اللافظ ولكن يجب ان يكون الكلام فيما ذكرنا
مع اهل العلم واليقين ومن هو من طلبة الدين ممن يعرفون مقاصده ويحققون

فوائده ويجنبون ذلك الكلام ممن عساه لا يفهمه ولذا كره بعض السلف تعليم النساء
سورة يوسف لما اشتملت عليه لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن
ولو ذكر هذا المذكور مع الاذكياء من الطلبة على طريق المذاكرة والتعليم
لابد للمتكلم ان يلتزم في كلامه عند الذكر يعني عند ذكر نبي من الانبياء
وعند ذكر تلك الاحوال توقيره وتعظيمه ويلاحظ حال لسانه بلطف شانه ولا يتركه
ويظهر على نفسه علامات الادب خوفا من الرب عند ذكر الشدائد على الانبياء
من جهت الخلق الظهر عليه الاشفاق او الشفقة والرحمة ويتوقد له ويتغيظ به
ويود لو كان في ذلك الوقت لاوقع بعامل ذلك الشدائد ما قدر من آثار
المقت والغضب ويجب ان يفدى بروحه وابيه وامه للنبي صلى الله عليه وسلم
لو قدر عليه والنصرة له ان امكنته لديه ويطلب حسن اللفظ وادب
العبارة كان يقول هل يجوز من نبي المخالفة في بعض الاوامر والنواهي
ومواقعة الصغائر بل الاولى ان يقول هل يجوز عنه صدور الزلل الا
وترك الاولى واجتنب عن كريه الالفاظ وقبيح العبارة كلفظ الجهل والكذب
والمعصية ولا يقول هل يجوز عنه صدور الكبيرة والمعاصي والذنوب
كما اجترء عليها الطاعنون ولا يقول يجهل النبي مجئ الساعة لقبح لفظ الغلط

ومشاعر فان حسن العبارة معتبر عنه ارباب الاشارة كما حكى انه كانا معبّران لبعض الامراء وجعل وظيفة احدهما الفا والاخر نصفه وعجز ندمائه وجلسائه عن وجه الفرق بينهما لاتحادهما فى مراتب العلم والصلاح والادب فسئلوه عن ذلك وعن تميزهما بما هناك فقال رئيت فى النوم ان اسنانى سقطت فصاحب الالف عبر بانك تعيش بعد اقوامك كلهم وعبر الاخر بانهم يموتون قدامك جميعهم فانظروا الفرق بين العبارتين مع ان مؤداهما واحد فى الاشارتين بل نقول لا يعلم ولا يدرى نبى من الانبياء مجئ الساعة ولا يعلم المغيبات من الاشياء الا بما اعلمه الله تعالى احيانا وقد صرح علمائنا الحنفية بتكفير من اعتقد ان النبى يعلم الغيب لمعارضة قوله تعالى قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله وقال الله ان الساعة اتية اكاد اخفيها اى عن نفسى لو امكن فضلا عن غيرى وفى الحديث مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة الاية وفى الحديث جبرئيل ما المسئول عنها باعلم من السائل والحاصل ان الانبياء عليهم السلام لا يعلمون المغيبات فمن اعتقد خلافه فقد افترى عليهم وحكم الافتراء قدعر من القتل والمشهور من مذهب مالك رحمه الله واصحابه واقوال السلف

وجمهور العلماء قتل الساب والمفتري حدا لا كفرا ان اظهر التوبة منه وحكمه
حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول سواء كانت توبة على هذا القول المشهور
بعد القدرة على اخذه والشهادة على قوله المؤدي الى قتله او جاء تائبا
من عند نفسه لان قتله حد وجب عندهم لا تسقطه التوبة كسائر
الحدود من الزنا وقتل النفس ونحوهما اتفاقا وفيه انه قياس مع الفارق
فان هذه الحدود عامة ثابتة بالكتاب والسنة واما من كفر بسبب سب
ثم تاب فلا يعرف لحد في هذا الباب اذ كثير من ارتد عن الاسلام ثم تاب
وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته ورفعت عنه ردته هذا وقد صح
عنه عليه السلام ان الاسلام يرفع ما قبله وهو يشمل الاسلام السابق واللاحق
وقال الشيخ ابو الحسن القابسي رحمه الله اذا اقر بالسب وتاب عنه واظهر التوبة
قتل بالسب لانه هو حده ووافقه ابو محمد بن زيد و سحنون على هذا الا انه
قيده بالمسلمين واما الذمي الذي صرح بسب نبي من الانبياء او عرض استخف
بقدره فلا خلاف عند المالكية في قتله ان لم يسلم واستدلوا بانا
لم نعطه الذمة على سب الانبياء وقد قال الله تعالى وان نكثوا ايمانهم
من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الى قوله فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم

ولا يخفى على المتأمل ان هذه الآية فى المصالحة مع الحربي والكلام فى الذمى
وقد قال الله تعالى قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون
ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية
عن يد وهم صاغرون فظاهر الآية ان بعد اعطاء الجزية يرتفع عنهم القتل
واما اذا اسلم الذمى بعد سبه فعند بعض المالكية يسقط اسلامه قتله
لان الاسلام يهدم ما قبله سواء كانت مظلمة وغيرها ولانا نعلم
باطنة الكافر فى بغضه وتنقصه بقلبه لكنا منعنا الذمى من اظهاره
فلم يزدنا ما اظهره من السب وغيره الا مخالفة للامر ونقضا العهد
فاذا رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله
قال الله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف بخلاف المسلم اذا سبه
ثم تاب فانه يقتل ولا يسقط قتله توبته لانا ظننا بباطنه حكم ظاهره وخلاف
ما ظهر عنه الآن فلم تقبل بعد رجوعه بالتوبة وفيه شئ وهو ان كفره ساعة كيف
يكون اشد من كفر سنين معه انه لا عبرة لظننا اذ يحتمل انه كان كافرا يستتر
وما صح له الايمان المعتبر وعند بعضهم يعنى المالكية لا يسقط اسلام الذمى
الساب قتله لانه حق وجب على الذمى لانتهاكه حرمة النبى فلم يكن رجوعه

الى الاسلام بالوجه الذى يسقط كما وجب على الذمى من حقوق المسلمين من قتل وقذف واذا قلنا لا تقبل توبة المسلم الساب لدفع قتله فان لا تقبل توبة الكافر الذمى بطريق الاولى وفيه ان قياسه على سائر حقوق المسلمين غير صحيح والاولى ان يقال كما يقبل توبة الحربي ان تقبل توبة الذمى والمسلم لانهما اقرب الى الدين وقد قبل النبي صلى الله عليه وسلم توبة المرتدين واليهود بعد شتمهم له عليه السلام وما عند ابى حنيفة والثورى واتباعهما من فقهاء الكوفة لا يقتل الذمى بالسب لان ما هو عليه من الشرك اعظم ما صدر من سبه لنبي من الانبياء ولكن يؤدب ويعزر بقدر مقاله وقوة حاله نحمد الله على تاليف كتاب لطيف وترصيف مجموع شريف

لك الحمد ياذا المن والفضل والعطاء	تباركت ربنا تكون ما تشاء
واشكر ياذا المجد اياك خاضعا	على كل ما تعطى بفضلك دائما
خصوصا على فيض جديد سرنے	وذلك تاليف الكتاب الذى حوى
فوائد من انوارها الشمس شرفت	وصار مزيدا فى مزيد ضيائها

قطعة تاريخ اتمام تاليف كتاب از عمدة العلما وقدوة الاذكيا ناظم بدل ونا ثر لاجواب مولوى سيد احمد على سيماب محمد ا بادے

عرف ٹونک افاض الله بجاه فیوضاته علی الدوام

قطعه

از عنایات قادر مطلق	آنکه خلاق جزو کل آمد
این کتابی پر از فنون فیض	مایهٔ رشد هر عقل آمد
از پی رهروان راه یقین	حبذا مشعل سبل آمد
سال اتمام او بلا علت	کاشف عصمت رسل آمد

۵۱۱ ۹ ۱۱

خاتمة الطبع

الحمد لله علی احسانه والصلوة والسلام علی رسوله وآله واصحابه اجمعین الی یوم الدین که درین زمان سعید واوان حمید کتاب لاجواب فیض بخشای برنا وشاب موسوم به **تحفة الاخلاء فی عصمة الانبیاء** ع حسب اجازت بندگان عالی جناب فیاض زمان حاتم دوران حضور فیض گنجور یمین الدوله وزیر الملک نواب محمد علی خان بهادر صولت جنگ دام الله اقباله واعاد الله ملکه والی ریاست محمد آباد عرف ٹونک مقیم بنارس بتصحیح وتنقیح تام ومحنت ومشقت لا کلام عالم خفی وجلی مولوی محمد معشوق علی سلمه الله القوی باهتمام برگزیدهٔ دوران نامور زمان محمد علی بخش خان سلمه الرحمان در مطبع علوی بتاریخ چهارم شهر ربیع الآخر ۱۲۹۴ هجری مزین بزیور طبع گشته اریکه آرای شاهد مقصود گردید فقط

واسطی سند اس امر کی کتاب چھپی ہوئی مطبع علوی کی ہے مہر مطبع ثبت کیگئی فقط	محمد علی بخش خان ۱۲ مهر مطبع علوی

صحت نامہ اغلاط تحفۃ الاخلاء فی عصمۃ الانبیاء

صفحہ	سطر	غلط	صحیح
٣	٤	منز لة	مزلة
=	٥	امرنی هو	امرنی من هو
٤	٨	حاوی الارواح	حادی الارواح
=	٩	الدارسات	الدراسات
=	١٣	بالعبارت	بالعبارة
٥	١٠	حیسبید	حینئذ
=	١٣	همزون	یهمزون
٧	٥	اوامر	وامر
=	٦	الوحے	الموحے
=	١٥	الانجیل	نزل الانجیل
٨	٥	اولو	اولے
٨	٦	نوح	نوح
=	٩	الوالعزم	اولی العزم
=	١٠	بنیے ما	نبی مثل ما
=	١٥	الحب	الجب
٩	٩	بالختشار	بالمنشار
٩	١١	لعجلت	لعجلة
١٠	٥	تبشیین	تبیلین
١٠	٦	وارسے	دارسے
=	٧	تلی وارها	تلی دارها
=	١٣	الانبیاء	الانباء
=	١٤	الانبیاء	الانباء

صفحہ	سطر	غلط	صحیح
١١	١٤	لوجوه	یوجوه
١٢	٦	سمع	بسمع
=	١١	الطهار	اظهار
=	=	الانه	الا ان
١٣	١	أعلم	اعلم
١٤	١٠	برایت	بدایته
=	١٢	لم یحصل	مالم یحصل
=	١٤	مثل	مثلا
=	١٥	فهدایت	فبدایته
١٥	٧	للقصد	القصد
=	١١	قدارة	قدرة
=	١٢	یبلج	مبلج
=	١٤	الاختلاف	الاخلاق
١٦	٥	ایض	ایضاً
١٧	١٤	بیی	نبی
١٨	٥	وکثرة المخالفین	ولکثرة المخالفین
=	٦	حوقتهم	حماقتهم
١٩	٨	لایجواز	لایجوز
=	١٣	لا یقع	لایقع منهم
٢٠	٥	اصلا کبیرة	اصلا لاکبیرة
=	=	ولاخطاء	الاخطاء
=	١٢	خلہ	خلع

صفحه	سطر	غلط	صحیح
٢٠	١٤	وقال	فقال
٢١	١٥	العيهد	العهد
٢٢	〃	لواحد	الواحد
٢٣	١	فوله	قوله
〃	٥	مشاقة	مشاقته
〃	٦	ان تعلم	انا نعلم
〃	٩	منزجر	متزجر
〃	١١	ولاتحققوا	ولا تستحقوا
٢٤	١٥	والخبرية	والخيرية
٢٦	١٠	واذاقلنا	واذ قلنا
〃	١٤	المعتول	العقول
〃	١٤	بالفضل	بالفصل
٢٨	٣	وابناؤلهم	ابناء لهم
〃	٩	سيقت	سبقت
〃	٣	احرها	اخرها
٢٩	[illegible]	فوق	وفق
٣٠	[illegible]	فدغته	[illegible]
〃	١	كثرات	كثرة
٣١	١٣	الصدق	المصدوقيه
〃	〃	بجميع	جميع
٣٢	٩	وتغيرا	وتغير
〃	〃	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

صفحه	سطر	غلط	صحیح
٣٢	١٠	لغيرالواحد	لتغيير الواحد
〃	〃	برفضة	برفضه
〃	〃	بدمه	بذمه
〃	١١	قدجاءمعهم	قد جامعهم
〃	١٢	ويتلونه	وتبلونه
〃	١٣	اقطعواقطع	اقطع واقطع
٣٣	١	ولهم	ولّهم
٣٤	١١	الباب الثاني	واما الباب الثاني
〃	١٣	انبياء	ابنيا
٣٥	١٢	فقافهم	فى هم
٣٦	٧	بصيغته	بصيغة
٣٧	١	فيها	فيها
٣٧	٣	الحارب	الحارث
〃	٤	هذا اللفظ	بهذا اللفظ
٣٨	١	اتينا	اتينا
〃	٢	الايات	لآيات
٣٩	١	ذكرالله تعالى	ذكره تعالى
〃	٤	ذلك	ذلك
〃	١٠	اى اسئل	اى واسئل
٤٠	٩	جنة	جنته
٤٢	١٠	زوجة	زوجته
〃	〃	جرادة	جرادة
٤٣	١	[illegible]	[illegible]

صفحه	سطر	غلط	صحیح
۴۳	۱۴	قلك	تلكما
۴۴	۳	جزم	جزاء
〃	۴	هذل	هذه
〃	۶	نقل	ما نقل
〃	۹	الاالاعلى	الاالاعلى
〃	۱۵	فالتعليم	كالتعليم
۴۵	۶	تنزيه	تنزيته
۴۵	۷	ولانقوم	وتقوم
〃	۱۴	يقضاء	بقضاء
〃	۱۳	بينه	بنبه
〃	۱۵	ولااعتراف	ولااعتراف
۴۶	۸	ترقيك	وترقيك
〃	۹	اصيرالمومنين	امرالمومنين
〃	۱۴	للذية	لذريته
۴۷	۴	توبته	توبته
〃	۵	ورحمه	ورحمته
〃	۶	بالطاغه	بالطاعة
〃	۹	تذنبوا	تذنبوا
〃	۱۵	واسباب	اسباب
۴۸	۱	معه	مع
〃	۵	افضلوامعه	افضلومعنى
〃	۶	امرخلفته	ان خلفته
〃	[illegible]	[illegible]	شاهدوت
۴۸	۱۰	اكل	اكلى
۴۸	۱۳	لسيدنا	سيدنا
〃	۱۵	يامرديني	يامرونيهي
۵۱	۱۲	فتى	غنى
۵۲	۹	كات	كات
〃	۱۴	يعابتون	يعاتبون
۵۴	۵	بالهداية	بالبداهة
〃	۸	بينتها	نيتها
۵۵	۵	ماقصد	ماقصده
۵۷	۱۲	الاولى	ماالاولى
〃	۱۳	ولاتقصات	ولانقصان
۵۸	۱۱	اى بانا	بانا
۵۹	۱	والتبعيد	والتنبيه
۶۰	۲۰	المظلوبة	المطلوبة
〃	۹	المولاء	المولى
۶۱	۸	الحجة	الحجنه
۶۳	۷	معصبة	معصية
۶۴	۱	حياه	حياء
〃	۵	على العقل	على الفعل
۶۶	۲	يهل	بجهل
۶۷	۶	والنفر	والنفر
〃	۱۵	صرة	مرة صرة
۶۸	۳	السنى	السنى

صفحه	سطر	غلط	صحیح
۶۸	۸	ارادہ	ارادة
۶۹	۱	الاجتماء	الاجتماع
۷۰	۱۲	عیارة	عبارة
〃	۱۳	تهسیه	منبه
۷۲	۲	اخمرة	اغترہ
〃	۴	الجنة	ان الجنة
〃	۱۰	عباد	عبادہ
۷۳	۳	بصنعة	بصفته
۷۴	۱۲	وتحیة بینك	وتحیه بلیك
۷۶	۱۲	افتراق الاجزاء او بمعنے	افتراق الاجزاء فلا منافات بين هلاك نعيم الجنة ودوام اكلها لان هلاكه بمعنے افتراق الاجزاء او بمعنے
۷۶	۱۳	نقی ذاتها	بقاء ذاتها
۷۷	۹	تجنت	الجنة
〃	۱۴	تحصیل	یحصل
۷۸	۹	لیطوف	یطوف
〃	〃	لله ما	لاصرما
〃	۱۱	لاعضینه	لاعصینه
〃	۱۴	یعمله	بعبیله
۷۹	۱	فوق السموات	الا فوق السموات

صفحه	سطر	غلط	صحیح
۷۹	۱۳	الی ما اجر	الی ما اخبر
۸۱	۱۴	لم یجد بذلك	لم یخل علمها بذلك
۸۲	۳	لجنت الخلد	بجنة الخلد
۸۴	۲	خبان	جنان
〃	〃	انا	ان
۸۵	۶	وغایة	وغایته
〃	۱۵	الضب	لضب
۸۶	۱	الضب	لضب
〃	۸	ورالعبها	ورابعها
〃	۱۱	والظمان	والظماء
۸۷	۴	یعلم ادم	لعلم ادم
〃	۱۲	بوجوه	بوجهیه
۹۰	۱	عزیز	عزیر
〃	۱۲	لاتغایر	لاتتغایر
〃	۱۳	واتاب	واناب
۹۲	۵	وبطلانا	وبطلان
〃	۶	فمثمارها	فثمارها
〃	۷	لما ان	اما ان
〃	۱۴	المنتهی	المنهی
۹۳	۱۰	بقاء	بفناء
〃	۱۳	دفعة واحد ولما ثبت [illegible]	دفعة واحدة او بعدکل [illegible]

صفحه	سطر	غلط	صحیح
۹۳	۱۰	فی جنة	فی جنته
۹۵	۴	مبنه	منبه
؍؍	؍؍	ایل	ایل
؍؍	۱۱	بعضها	بعضا بعضا
۹۶	۶	یسرون	یسیرون
؍؍	۹	عمر	عمی
۹۷	۸	وابنه	دابته
؍؍	۱۰	فاتبعته	فابتلعته
؍؍	۱۳	قلم یقدر	فلم لم یقدر
۹۹	۷	طاعرف	لما عرف
؍؍	۹	واما لاستقراء	واما الاستقراء
؍؍	۱۳	مضره	مضرة
؍؍	۱۴	کله الله	کله لله
۱۰۰	۱۲	وخربوه	وضربوه
؍؍	۱۵	یبس	ابیبس
۱۰۲	۱۱	وحسان	وحان
۱۰۳	۷	انه	ایضا
؍؍	۱۱	استغتینا	استغنینا
۱۰۴	۵	التفریع	التقریر
؍؍	۶	یعلمون	یعملون
؍؍	۱۵	من الدین	من الاین
۱۰۶	۳	بقال انه	یقال له انه
۱۱۷	۱۳	ذجره	زجره

صفحه	سطر	غلط	صحیح
۱۰۸	۴	الجواز	لجواز
؍؍	۷	من رحیم	من رَحِمَ
۱۰۹	۲	ساوی	فقال ساوی
؍؍	۴	اتبنه	ابنه
؍؍	۱۲	ینجینی	ینجیَ
؍؍	۱۴	ان لا بن	الا بن
؍؍	؍؍	لعظیمة	العظیمة
۱۰۹	۱۵	امرالله	امر اله
۱۱۱	۲	والله ترجعون	والیه ترجعون
؍؍	۱۰	قدر والله	قدر دالله
۱۱۲	۸	بذه الدعوة	هذه الدعوة
۱۱۳	۱۰	عن ذنب	عنه ذنب
۱۱۳	۶	اختلفی	اختلفوا
۱۱۴	۴	ولا تحوز	ولا یخوض
؍؍	؍؍	والین	والین
؍؍	۱۰	ومکان	ومن کان
؍؍	۱۵	اذاجاء	اذ جاء
۱۱۶	۱۳	خالطه	خالط
۱۱۸	۱	ستغیرا	متغیرا
؍؍	۵	ان تقول	ان تقول
۱۱۹	۱۰	مسطمعنا	مطمئنا
؍؍	۱۲	یصدران	یصدرون
؍؍	۱۳	عدو ولا قتیل	عدو ولا قتیل

صفحہ	سطر	غلط	صحیح
۱۲۰	۷	المؤيد	المؤبد
〃	۱۳	لانفاد	لانقاذ
۱۲۱	۶	مسئلتنا	ز مسئلتنا
〃	۱۳	متراشدا	مسترشدا
۱۲۲	۱۲	فلذالك	فذلك
۱۲۳	۲	العرض	الفرض
〃	۳	ارشاد للضنا كينة	ارشاد للمائنية
۱۲۴	۹	ضوئه ضوئه	ضوئه
۱۲۶	۱۲	ووقوع	وقوع
۱۲۸	۶	المبتدئ	المبتدأ
〃	۱۰	فلم يقبض	فلولم تقبضى
۱۲۹	۳	مساعدين	مساعدين
۱۳۱	۹	قطعة	قطعته
〃	۹	عزين	عزيز
〃	۱۴	سبيل الكفار	سبيل الانكار
۱۳۲	〃	حقبة	حقة
۱۳۳	۶	ينے	نبے
〃	۷	اسماء	السماء
〃	۹	هوهو	اهو هو
〃	۹	فوزنة بثمر	فوزنته ثوزنته
〃	۱۰	زننه	زنه
〃	〃	زنته	زنه
۱۳۴	۱۰	دارو	داري
۱۳۴	۱۱	وعرفت	وعرفت
۱۳۵	۱	انزل الله	انزلها الله
〃	۸	وعاشرها ابراهيم	وعاشرها ابراهيم
〃	۱۱	الرجهين	الوجهين
〃	۱۵	استحق	اسحاق
۱۳۶	۳	علمين	علمنے
۱۳۷	〃	الشوك	الشكوك
〃	۱۲	طمانية	طمانيته
〃	۱۴	لامرتيه	مرية
۱۳۸	۵	عليه قبل	عليه قبل
〃	۱۴	بينهم	نبيهم
۱۴۰	۲	والطمانية	والطمانية
〃	۱۳	الملكة	الملكية
〃	۱۵	ليسقنے	ليسقيے
۱۴۱	۲	النام	التام
۱۴۰	۱۱	مقامات	مقامين
۱۴۱	۴	تبيرا	تبيير
〃	۵	ولاجل هذا	ولاجل هذا
〃	۱۳	من القرآن	من القرآن
۱۴۲	۱۳	المحدود	المحدد
〃	۱۴	مجے	[illegible]
۱۴۳	۴	[illegible]	[illegible]
〃	۶	قلب	[illegible]

صفحہ	سطر	غلط	صحیح
۱۴۴	۱۰	وصفه	صنعته
"	۱۱	یالعبن	یالعین
"	۱۲	یالعین	یالعین
۱۴۷	۴	یازوی	یازمی
"	۱۳	السماع	السماء
۱۴۹	۱۰	خلق	حلق
"	۱۲	بدان	بدن
"	۱۳	فسود	فرد
۱۵۰	۱۴	بعی کل حیثة	لغی کل حبشة
۱۵۱	۸	تکلمة	تکملة
"	۹	جبنة	جنته
۱۵۲	۱۳	ازواج	ازدواج
"	"	وقرنیة	وقرنیه
۱۵۳	۳	الحفد	الحقد
۱۵۴	۷	لبعض	ببعض
"	۱۰	وقت	ووقت
"	۱۱	النفس	النفس
۱۵۵	۱	منطوتها	سطوتها
"	"	وذهبت	ووهنت
"	۴	ویترنی	ویترنی بترنیته
"	۱۵	تائة	تأتیه
۱۵۶	۹	یقول	یقال

صفحہ	سطر	غلط	صحیح
۱۵۷	۸	واهو	اهو
۱۵۹	۳	قریب	عنقریب
"	۹	بعضهم	بعضهم له
"	۱۴	وعن سارة	ولسارة
۱۶۰	۵	تقدیر الفعل	تقریر القتل
"	۹	الخرخشة	الخرمشة
"	۱۰	تقدیر	تقریر
۱۶۱	۱۵	علهم	علیهم
۱۶۳	۱	مس شرط	من شرطه
۱۶۵	۷	فمما طلب	فما طلب
۱۶۶	۳	ان یقطع	ان ینقطع
"	"	ستفرغا	متصرفا
"	۱۰	وعصمت	عصمة
"	۱۱	اواعسم	اواعم
۱۶۹	۸	ابوامة	ابو امنه
۱۷۰	"	التام المعرفة	التام المعرفة
"	۱۵	آوے رکن	آوے الی رکن
۱۷۱	۱۱	العارد	العدق
۱۷۳	۱۴	ای ان	رای ان

صفحه	سطر	غلط	صحیح
١٧٣	١٧	والتفويض	وتفويض
١٧٤	١	يوسف عليه السلام	يوسف
″	٣	والله اعلم من	واعلم من
″	٧	وبالتقويض	وبالتفويض
١٧٥	٢	الله تعالى	لله تعالى
١٧٦	١٣	عن الكاتب	عن القلب
١٧٧	٥	وخر على الارض مغشيا الارض	وخر على الارض مغشيا
١٧٨	٢	وجهها	وهبها
″	٤	ليست	لبست
″	٦	وقس على	وقس على هذا
″	١٤	بعدهم	وعدم
١٧٩	١٠	فوجهته	فوجهة
″	١١	ووجهته	ووجهة
″	″	وجهته	وجهة
١٧٩	١٣	لوجهتها	بوجهتها
″	١٤	الاشياء الاخروية	للاشياء الدنيوية وتجليت

صفحه	سطر	غلط	صحیح
			في الاشياء الاخروية بوجهتها التي الى الوجود وهذا الحيثية ومربياته للاشياء الاخروية
١٨٠	٧	رتبه	رتبت
١٨١	١١	لتنبيهم	لتنبئهم
١٨٢	١	والقوة	والقوى
١٨٥	١	يعني	يعني به
″	٢	عاليه	عليه
″	١٠	الى يحل	ان يحل
١٨٦	٢	السيدى نووے	السدى نوے
″	٣	المرتوا قعها	لمرتواقعها
١٨٧	٣	الروايته	الروايات
″	١٠	الموجيبيه	الموجبية
١٨٨	٨	والنساء	والنشاء
١٩٠	″	من اول	من ادل
″	٩	خيرا للذين	خير للذين
″	١٠	شرح	شر
″	١٤	ذلك الوقت الوقت	ذلك الوقت
١٩١	٣	فليغفلوا	فليقبلوا

صفحه	سطر	غلط	صحیح
١٩٣	٩	الشهوه	الشهوة
١٩٤	٢	لانه قصدها	لا انه قصدها
//	١٣	ثم لم	ثم لما لم
١٩٦	٣	وان الجن	وان السجن
//	١٢	طبيعة	طبيعته
//	١٣	على ان دينه	الا ان دينه
١٩٧	٢	ببزواه	بذوات
//	١٠	يضربه	بضربه
//	//	فعل	فعلي
١٩٨	٤	رابته	براءته
//	١١	مما ذكرت	فما ذكرت
١٩٩	٧	نكة	تكة
//	٩	سباق	سياق
٢٠٠	١٣	واليقتدي	وليقتدي
//	١٣	والتشبث	والتثبت
٢٠١	١١	سوء ا	سوءً
٢٠٢	٤	نفقتها	لفقتها
٢٠٣	٢	كلام	كلامه
//	//	قال	قائله
//	٩	الشعر	الشعراء
//	١٣	استخرجه	استخرجها
٢٠٥	٢	التهمة انه	التهمة والحال انه
//	١٣	[illegible]	[illegible]

صفحه	سطر	غلط	صحیح
٢٠٧	٢	لقولك ان	لقولك اغنا
٢٠٩	١٠	تحبيبه	تحبيذ
//	١٣	لقيسها	لقسمها
٢١٠	٩	ولم يكن	اولم يكن
//	//	مستحق	مستحقا
٢١١	٤	قتلهم	قتله
//	١١	الانقطاء	الانقطاع
٢١٢	١٢	قدم	سدم
//	١٤	ولم يوخذ	ولم يوخذ به
٢١٣	٨	في قوله تعالى	في قوله
٢١٤	٣	اثم	انم
//	٥	خوفه تعالى	خوفه
//	//	ذلك	وذلك
//	٢	الخ	الآيه
٢١٥	٧	نهيهم	نهضهم
//	١٣	ولاصنعن	ولاصنعن
٢١٦	٤	الايق	الاليق
٢١٦	١٣	للامة	ملامته
//	١٥	استاد	استناد
٢١٧	١٤	قابلته	قابله
٢١٨	٣	واعنى	اغنى
//	٣	ويقتل	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

صفحہ	سطر	غلط	صحیح
٢١٨	١٤	تهاية	نهاية
٢١٩	٥	هرون رضی الله	هارون رضي
		بما فعل	بما فعل
″	١٣	وخليفة	وخليفته
″	″	العداد	العدو
٢٢٠	٣	لم يبقى	لم يبق
٢٢١	٣	ولا ترحقني	ولا ترهقني
٢٢٢	٩	الى حنيفة	الحنفي
٢٢٣	١٥	بموقه	بموته
٢٢٤	٥	مايحب له	ما لا يحب له
″	٧	انه على	انه علم
٢٢٤	١١	وكما هذا	وكان هذا
٢٢٥	٩	يهول	بهول
٢٢٦	٩	في رعية	في رعيته
٢٢٧	٣	صار النبي	سار النبي
″	٣	غمزات	غمرات
″	٦	النزوع	النزع
٢٢٨	١١	جناية	جنايته
٢٣٠	٩	فرد والحق	فرداو الحق
″	١٠	لانه على الدوام	لانه حالة على الدوام
٢٣١	٣	انسانا خيانا	انسانا خيانا
″	٥	تحيه	تحية
″	١١	[illegible]	[illegible]

صفحہ	سطر	غلط	صحیح
٢٣١	١٥	موسى	بموسى
٢٣٢	١٥	لقد ظلمك	لقد ظلمك
		بسعال	بسؤال
٢٣٣	١	ليبسغى	لينبغي
″	٥	يخلوا	يخلو
٢٣٣	١٣	بينهما	فبينما
٢٣٤	٢	منتبعها	فتتبعها
″	١	فامتد اليها	فامتد اليه اليها
٢٣٥	٣	لمكث	فمكث
″	٨	اللهم	الهم
٢٣٦	١٠	ودعاه	وعاوده
٢٣٧	٢	والضيافي	والفيافي
″	٨	سباحة	سباحته
″	″	الى الضيافي	الى الفيافي
٢٣٨	٣	حشقه	عشقه
″	″	واحتبا له الكثيرة	واحتبا له الكثيرة
″	١٥	ورحمتك	ورحمة
٢٣٩	١٣	فاحتمال	فاحتال
٢٤٠	٢	البالغ	لبالغ
″	٣	حال القصة	حاصل القصة
″	٥	ولو لينشطر	ولو لنشطر
″	١٠	هذا القصة	هذه القصة
″	١٠	[illegible]	[illegible]

صفحہ	سطر	غلط	صحیح
۲۴۲	۶	عن القبل الفجر	عن القبل والفجر
۲۴۳	۱۰	ساخته	ساحته
〃	۱۴	علی القبایح	علی القبائح
۲۴۴	۶	انهم وجدوا	انهم انما وجدوا
۲۴۵	〃	یودونه	یردونه
۲۴۷	۸	علمت	عملت
۲۴۸	۹	وبعنی	وبغی
〃	۱۲	بعدم	لعدم
〃	۱۳	بقوله	لقوله
۲۴۹	۴	لیتبهماه	لینبهاه
۲۵۰	۱	حرك اصابع	حرك الاصابع
〃	۲	وما اخرجه	ما اخرجه
〃	۵	عن وقتها	عن وقتها
〃	۱۱	لا یقطع	لا یقلع
〃	۱۵	مذنبا	مذنب
۲۵۳	۶	نظاهر	وظاهر
۲۵۴	۸	ردد ها	ردو ها
〃	۹	ردد ها	ردو ها
〃	۱۰	ردد ها	ردو ها
〃	۱۳	ردد ها	ردو ها
〃	〃	فردد ها	فردو ها
۲۵۵	۶	فما بعدهما	فما بعدهما
۲۵۶	۱	ردد ها	ردو ها

صفحہ	سطر	غلط	صحیح
〃	۴	الالما اکلته	الا لما أکلته
۲۵۷	۷	اعوان	الاعوان
〃	۹	اعظم	اعلم
〃	۱۱	الطباقا	انطباقا
〃	۱۳	من ان	مع ان
۲۵۸	۱۰	فخاس	فجلس
〃	۱۱	الطهارة	للطهارة
〃	۱۳	خای	خاتمی
۲۶۰	۸	یفعل	بفعل
〃	۹	فلم یصح لا بادن	فلم یصح الاذن
〃	۱۲	فیبنهما	فبینهما
〃	۱۴	وغایة	وغایته
۲۶۱	۷	فالفنة	فالفتنه
۲۶۳	〃	فالفة	فائقة
〃	۹	ملکه	مملکته
〃	۱۴	سادات	سعادات
〃	۱۵	المالك	الممالك
۲۶۴	۴	العبارین	الجبارین
〃	۵	یتلفف	یتلقف
〃	۱۱	ولتسلبنیه	لاتسلبنیه
۲۶۵	۴	منافیة	منافنة
〃	۱۰	لا یوسف	لا یوصف
۲۶۶	۱۱	والمحرص	والحرص

صفحه	سطر	غلط	صحیح
٢٦٦	١٥	انفه	الفه
٢٦٧	١٢	اقل منی	اقل من
〃	١٣	او یجیبهم الله	او یجیبهم الله
٢٦٨	٩	وینتهی	و نیدتی
〃	١٠	بنته	نية
〃	〃	وينته	ونية
〃	〃	وينته	ونية
〃	〃	وينته	و نية
〃	〃	وينته	و نية
〃	〃	للمالك	للممالك
〃	١٠	فاما ينتهي	فاما نيتي
٢٦٩	١	الداعية	للداعية
〃	٢	مرضعها	مراضعها
〃	٨	وياكل كسرة	ياكل كسرة
٢٦٩	١٥	وسربيته الضمة	وتربيته [illegible]
٢٧٠	٧	الماء	المال
〃	٨	لله	الله
〃	١٠	لم يردها	[illegible]
〃	١١	نية للمالك	[illegible]
٢٧٢	٩	قوله	قوله
〃	〃	ومعنا	[illegible]
〃	١	[illegible]	[illegible]
[illegible]	٥	[illegible]	[illegible]

صفحه	سطر	غلط	صحیح
٢٧٤	٩	والفنه	والفة
٢٧٥	٢	ففرقت	فغرقت
٢٧٦	٣	للحضرة	المضرة
٢٧٧	١	يفرقون	يغرقون
〃	٢	من رسنا	من اسمنا
〃	١٠	اشلد	اشتد
٢٧٨	١٣	وارسلنا	وارسلناه
٢٨٠	٥	لا يضلوا	لا يضل ربي
〃	٨	والرباء	والبهاء
〃	١١	اذهي	اذهب
٢٨١	١٥	فسها	فيها
٢٨٢	٧	فوجدلنه	فوجدناه
٢٨٣	٦	ضلالهم	ضلالهم
٢٨٤	١٠	الدنيا	الدين
٢٨٥	٥	النفو كنت	النفو كنت بعيني
٢٨٦	٥	اذ يحملها	اذ يحملتها
〃	١٢	[illegible]	وتحصل وليا
〃	١٣	بورانته	بوراثته
٢٨٧	٩	[illegible]	[illegible]
٢٨٨	٢	يعلمون	يعلمون
〃	[illegible]	[illegible]	[illegible]
[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]

صفحہ	سطر	غلط	صحیح
٢٨٩	١	من السوزد	من الوزر
٢٩٠	٣	حاشه	حاشته
″	٤	والقلاع	والقلاء
″	٥	ان يائه	ان جائه
″	٦	عتنيه	عتبة
٢٩١	٥	تقديم	لتقديم
٢٩٢	٧	ليستجل	ليستخيل
″	١٤	بابايكر	بابي بكر
٢٩٣	٢	عليها	عليا
٢٩٤	٦	ومسلم	وسلم
٢٩٥	٢	يحيى	يحيى
″	٣	النبي	للنبي
″	٧	اسردا	اسروا
″	١٢	جائزا	جائزا
٢٩٦	٩	النبي	للنبي
٢٩٦	١٤	وجمع	وجمع
٢٩٧	٨	فذال	فزال
٢٩٨	٧	محرسا	محرم
٢٩٩	٤	ينفردا	ينفروا
″	٥	الى الحجة	والى الحجة
٣٠٣	١٠	في البر	في السير
″	١٧	قسطملا	قسطلاني
″	[illegible]	[illegible]	[illegible]

صفحہ	سطر	غلط	صحیح
٣٠٧	٧	يحسب	يجيب
٣٠٩	٢	اخير	اجير
″	٤	موجب	فوجب
٣١١	٧	الشعراء	المشعر
″	١٢	وسوسة	وسوسته
٣١٢	٢	الصحبة	الصحة
″	٣	ويمثله	وبمثله
″	٧	اصابة	اصابته
٣١٤	٣	مما انزلنا	مما نزلنا
٣١٥	١٣	بصبرحوا	يصرحوا
٣١٦	٨	يدل	تدل
″	١١	استحاله	استمالة
٣١٧	٤	كثير	كثيرة
٣١٨	١٢	طمعا	طمعا
″	″	عصمة	عصمته
٣٢٠	٤	يستحيون	يستخفون
″	٥	فاطردهم	فلو طردهم
″	٦	الواجبان	الواجبات
٣٢١	١٥	في للوجود	في الوجود
″	″	وغفره	وغفرانه
٣٢٢	١	القشري	القشيري
٣٢٣	٢	الحاجة	لحاجته
″	٨	على تشده	على تشيرفها

صفحه	سطر	غلط	صحیح
٣٢٣	١١	زيد ما	زيد لها
〃	١٢	وقلت	وقلة
〃	١٣	عيينته	عينيه
٣٢٤	٢	اوارادہ	اوارادة
〃	٣	بكتم	يكتمه
٣٢٤	٨	بشفاعة	يشفاعته
〃	٩	الى عينك	الى عينيك
〃	١٤	مسطيعة	مطيعة
٣٢٥	١١	سماء	سماع
٣٢٦	٣	اداء الامر	اداء للامر
〃	٤	سماء	سماع
〃	〃	حرمة النبي	حرمة النبي
〃	١١	لا نقيم	لا يقدح
٣٢٧	٩	او لحق	او الحلق
٣٢٩	٢	استخفف	استخف
〃	١١	تعظيما	وتعظيما
٣٣٠	٥	سمنون	سحنون
〃	١٣	من الاثار	من الاثار
٣٣١	٣	ولا معتقد	ولا معتقدا
〃	١٠	لاعتقادة	لاعتقاده
٣٣٢	٣	ولا يشئ	ولا بشئ
〃	٤	صلبه	وصلبه
〃	٨	بماله	بحاله

صفحه	سطر	غلط	صحیح
〃	٩	خبر	خبر
٣٣٢	٩	ماكا	ملكا
〃	١٢	وانكسار	وانكسارا
〃	١٣	واصحاسحنون	واصحاب سحنون
٣٣٣	٩	فى رتبة	فى مرتبته
〃	١٤	بالهجرة	بالهجرة
٣٣٤	٢	نبوته	نبوة
〃	٥	منتر	مستتر
〃	١٣	الظفر	الظفر عليه
٣٣٥	٤	وكذبه	او كذبه
〃	١٠	لبنته	لبنة
〃	١٢	او يثلم	او يتكلم
〃	١٤	العبرة	العبر
٣٣٦	٢	او ورد اللحدود	او ورد الحدود
〃	٩	بجبيل	بميل
〃	١٢	اوالغيره	او لغيره
〃	〃	اوعند هضيمة	اوعند هضيمته
〃	〃	نقيضة	نقيصة
〃	١٣	اصابة	اصابته
٣٣٧	١	السود	السوء
〃	٤	عباو	عباد
〃	٩	ولا اضافة	ولا اضافته
〃	١٢	ولا عزاز	ولا عزز

صفحه	سطر	غلط	صحیح
۳۳۸	۳	ان دریٔ	ان دریٔ
″	۴	فقاله	مقاله
″	۷	یقبنه	بقیته
″	۱۲	اجزشئ	اجزشیئ
″	۱۳	حبه	حبه
″	۱۵	فنیستنع	فتستنع
۳۳۹	۱	وکفر	وکفره
″	۲	وبصفة	بصفة
۳۴۰	۳	روایة	روایته
″	۴	حکایة وقرینة ماحالتة	حکایته وقرینته ماحالته
″	۵	لاحلاد	لاحداد
۳۴۱	۶	الغرض	الفرض
″	۸	بغیرما	لغیرما
″	۹	التنوه	النفوه
۳۴۲	۱	لنسبة	لنسبته
″	۸	عمداو	عمدااو
″	۱۰	مایفسه	مالقیه
۳۴۳	۱	ویحبون	ویجیلون
″	″	عساء	عساه
″	۷	وینقط	وبتغیط
″	۱۴	الکیرة	الکبیرة
۳۴۴	۴	هناک	هنالک
″	۸	مجمع	مجمع
۳۴۵	۲	نوبة	نوبته
″	۱۰	القاسی	القابسی
″	۱۳	یقدره	بقدره
۳۴۶	۱۰	کفروان	کفرهان
۳۴۷	۹	ماصدر	مماصدر
″	۱۳	سرتی	یسرنی
۳۴۸	۳	هرعقل	هرعقل

تمت